الديوان السابع

رسالة الخلود
جاويدنامه

نقله إلى العربية شعرًا
الدكتور حسين مجيب المصري

روحِ رومی پرده‌ها را بردرید از پسِ کُه پارهٔ آمد پدید!

يعتبرُ هذا الدِّيوانُ التُّحفةَ الأدبيةَ لمحمد إقبال ، وهو عبارةٌ عن شعرٍ (مثنوي) للفلسفة الدِّينية ، ويحتوي على نحو ألفي مقطعٍ شعريٍّ مزدوج ، طبع عام ١٩٣٢م ، وإنَّه يُبرزُ قُوى الشاعرالفكريَّة وذراها الرفيعة ، وفيه توريةٌ إلى جاويد ابن الشاعر ، ويشتمل هذا الدِّيوان على ثمانية أقسام ، وفيها يحكي الشاعر قصَّةَ سفرٍ في الأفلاك كقصة دانتي الشاعر الإيطالي ، تبدأ القصَّة بمقدمةٍ فيها مناجاةٌ وفصولٌ أخرى ، إلى أنْ تظهر روحُ جلال الدِّين الرُّوميِّ ، فيشرحُ أسرارَ المعراج ، وهو دليلُ الشاعر في هذه الرحلة ، ثمّ يأتي زورابه وهو روح الزَّمان والمكان ، فيحملُ الشاعرَ ودليلَه جلالَ الدين الرُّومي إلى العالم العلويِّ .

وفي **القسم الأول** يزورُ الشَّاعر « القمر » وهنا قدَّمه الروميُّ إلى الحكيم الهندي المعروف باسم « جهان دوست » (محبُّ الدنيا) يجلسُ تحت شجرةٍ يأكلُ ويشربُ في تأمُّلٍ وتفكُّرٍ على طريقة اليوجا الهندية ، وحديثُه مع الرُّوميِّ واضحٌ ، وهو يبيِّن للإنسان أنَّ الطريق إلى التقدُّم يمكنُ خلالَ المزج بين الثقافةِ الشَّرقية والغربيَّة ، فالشرقُ قد ركز على الرُّوحانيات مهملاً المادِّيات ، بينما الغرب قد ركز على المادِّيات مهملاً الرُّوحانيات .

ويوافقُ الحكيمُ الهنديُّ على ملاحظاتِ الرُّوميِّ ، لكنَّه ينقلُ إلى الشاعر أخباراً مشجعةً ، وهي أنَّ الشَّرقَ النائم الكسلان هو مع هذا كله في طريقه إلى اليقظة من النَّوم والانشغال .

ويذهبُ الشَّاعر إلى وادي جرغميد ، حيث يرى الشاعرُ كتب البوذه وزردشت والمسيح ومحمد ﷺ ، والشَّاعر لا يقابلُ الرُّسل شخصياً بل من خلال كتبهم ، وهو يشرحُ تعاليمَ كلِّ رسولٍ على لسانِ أربعِ شخصياتٍ ، فتعاليمُ بوذه تُشْرحُ على لسان فتاةٍ راقصةٍ ، بينما زردشت على لسانِ أهرمن ، وتعاليم المسيح

على لسان تولستي ، وتعاليم محمد ﷺ على لسان أبي جهل .

وفي **القسم الثاني** ينتقل الشَّاعرُ بعد ذلك إلى « عطارد » حيث يقابل جمالَ الدِّين الأفغانيَّ[1] وسعيدَ حليم باشا ، وهنا يقدِّم الرُّوميُّ الشاعرَ على أنَّه « زنده رود » أو « النهر الحي » وهو الاسم الّذي يستخدمه الشاعر من هنا فصاعداً خلال الكتاب . وفي إجاباته عن أسئلة الأفغانيِّ ، فإنَّ الشاعر يصفُ الأخطاءَ الّتي ترتكبها أممُ الشَّرقِ خاصَّةً الترك ، والفرس ، والعرب ، في تغريبهم لأنفسهم ، ويقارنُ سعيدُ حليم باشا بين الشَّرق والغرب ، ويبيِّن أنَّ إنقاذ وخلاصَ الجنس البشريِّ يَكْمُنُ في المزج والتأليف بين كلتا الثقافتين ، أو كما يعبر الشاعر في تزاوج العقل بالعشق .

ويحكي سعيدُ حليم باشا بعد ذلك للنَّهر الحيِّ (زنده رود) أنَّ دين الله قد أصابه الفسادُ من جرَّاء تعصُّب « المُلاَّ » فقد اقتصرت وظيفتُه على خَلْقِ المتاعب .

وينتقلُ الشَّاعر في **القسم الثالث** إلى « فلك الزحل » ، حيث يزورُ مسكنَ الآلهة القديمة ، ويأخذُ الرُّوميُّ الشاعرَ إلى إقليمٍ يقعُ مباشرةً تحت نهرٍ ، حيث يقيم فرعون وكتشز ، ويقدِّم فرعونُ الاعتذاراتِ ؛ لأنَّه لم يعترف بالولاء والإخلاص لموسى ، ويحذِّرُ الآخرين كي يكونوا أكثر حذراً في مثل هذه الحالات ، ويقارنُ الرُّوميُّ بين « الأثوقراطية »[2] والاستعمارية في الشرق .

وفي **القسم الرابع** يتَّجه الشاعرُ إلى « المرِّيخ » حيث يقابل فلكياً ، ويناقشُ الشاعرُ مع حكيم المريخ مشكلةَ القضاءِ والقَدَر ، وفي رأي الحكيم أنه من

---

(١) فيلسوف الإسلام في عصره ، نشأ في كابل ، جال في الشرق والغرب ، دعا إلى الوحدة الإسلامية ، له مؤلفاتٌ معروفة ، منها : « إبطال مذهب الدهريّين » أصدر والشيخ محمد عبده مجلةَ « العروة الوثقى » في باريس عام ١٨٨٤م ، توفي عام ١٨٩٧م .

(٢) الحكم الفردي .

ويقابلُ الشَّاعر كذٰلك نادر شاه ، وأحمد شاه ، والشاعرالهندي بهر تري هري ، وبينما هو يستعدُّ لمغادرة إقليم ما وراء الأفلاك يسمعُ الصَّوْتَ الإلهيَّ المقدَّس يوضحُ له أن السرَّ الحقيقيَّ للتقدُّم والتطوُّر يَكْمُنُ في نموٍّ ، وتطوُّر الفرديات ، والمجتمعات ، وهنا تنتهي الرحلة .

وفي **القسم الثامن** الذي هو الأخير يخاطب فيه الشَّاعرُ الشَّبابَ عن طريق ابنه جاويد فينصحُهم بتجنُّب الرفقةِ الشرِّيرة ، وأن ينمُّوا شخصياتهم وذاتياتهم عن طريق الجهاد والكفاحِ المستمر .

وقد نَقَلَ هذا الديوانَ من الفارسيَّة إلى العربيَّة شعراً الأستاذُ الدكتور حسين مجيب المصري بعنوان « في السماء » ، ويُقدَّم الآن إلى القراء هذا الدِّيوان في عنوانه الأصل الّذي سمَّاه الشاعر بـ « جاويد نامه » (رسالةُ الخلود) توريةً إلى ابنه « جاويد » وهو الآن بين أيديكم » .

* * *

بـــدَّدَ الغيـــبَ بنـــور قـــد بـــدا ... وعلـى الـدَّهـرِ سيبقـى سَـرْمَـدا[1]

يـا إلهـي مثـلَ هـذا اليـوم هَبْنـي ... إنَّ يـومـي مُـزمَهِـرٌّ فلتُغِثْنـي[2]

آيـةُ التَّسخيـر فيمَـنْ أنـزلـت ... هـذه الأفـلاكُ فِيْمَـنْ حَيَّـرت[3]

(علَّـم الأسمـاء) سـرٌّ مـنْ دَراه ... أسكرتْ مِنْ خمرِها أو مِنْ سقاه[4]

مِـنْ جميـعِ الخَلْـقِ منـذا تَصْطَفـي ... فـإليـهِ بُحْـتُ بـالسـرِّ الخَفـي[5]

قَـدْ رَشَقْـتَ الصَّـدْرَ منَّـا بـالسِّهـام ... حرفُ ﴿ادعوني﴾، لمن هذا الكلام؟[6]

لـكَ وجـهٌ هـو قـرآنـي ودينـي ... أتضـنُّ ؟ وعلـى روحـي الحـزيـن

لـو رَمَـتْ ألـفَ شعـاعِ شمسُنـا ... مـا رأتْ فـي الشَّمـسِ نقصـاً عينُنـا

قَيْـدُ هـذا العصـرِ قيـدٌ مـنْ نُهـىً ... أيـنَ روحٌ لـي تنـاهـى صبـرُهـا[7]

ويمـرُّ الـدَّهـرُ مـنْ عمـرِ الـوجـود ... كـي نـرى روحـاً ومـا فيهـا خُمـود

أنـتَ مـا لَـمْ تَفْلَـحِ الأرضَ الجديبـة ... لم تنلْ ما كنتَ تبغي مِنْ رغيبة[8]

إنْ نَمَـا مـنْ ذَلـكَ الطِّـينِ المَهِيـن ... قلـبُ إنسـانٍ فـذا كنـزٌ ثميـن

أنـتَ بـدرٌ مـرَّ بـي فـي مَخْـدعـي ... ظلمـةَ الـرُّوحِ تـأمَّلهـا معـي

---

(١) السَّرمد : الدائم .

(٢) ازمهر اليوم : اشتدَّ برده .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [لقمان : ٢٠] أي سخر الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والثمار ، والأنهار ، والدواب للإنسان لينتفع بها .

(٤) إشارةٌ إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] أي أسماء المسميات ، فأراه الأجناسَ التي خلقها ، وعلَّمه أنَّ هذا اسم فرس ، وهذا اسم بعير ، وهلم جرا .

(٥) اصطفى : اختار .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ؛ أي : اعبدوني أثبكم .

(٧) النُّهى : العقل . وتناهى : بلغ النهاية .

(٨) فلح الأرض : شقها ليزرعها . والرغيبة : الأمر المطلوب .

لـمْ نُـنْءِ عـنْ هشيـمِ شعلـةً أيخـافُ البـرقُ ليـلاً زلـةً !
عِشْتُ ما قد عِشْتُ لكنْ في الفراق اهـدنـي ربَّـاه مـزرقَّ الـرُّواق[1]
افْتَحَـنْ كـلَّ بـابٍ لـي هُنـالـك واجْعَـلِ الطِّـين نَجِيّـاً للملائـك[2]
هـاكَ صـدري فيـه أشْعِـلْ لهبـا وَدَعِ العُـوْدَ وأضـرِمْ حَطَبـا
نـحِّ تلـكَ النَّـار عـودي أوقـدَنْ وعلـى الكـونِ دُخـانـي بـدِّدَنْ
أجِّـجِ النـارَ بكـأسـي خمـرةً وبغـضِّ الطَّـرفِ هبنـي نظـرةً
قَـدْ طلبنـاكَ ومـا تبـدو لنـا إنَّمـا كـانَ عمـانـا ذنبُنـا
وعـنِ السـرِّ أمِـطْ ستـراً خفـاه أُوْخُـذِ الـرُّوح التـي مـا إنْ تـراه[3]
دوحُ فكـري لا يُـرجَّـى مـنْ ثمـر أرسـلِ المعـولَ أو ريـحَ السَّحـر[4]
قَدْ وُهِبْتُ العقلَ فامنحني الجنون واهدِ هذا القلبَ للجذبِ الدَّفين
إنَّمـا للعلـمِ فـي الفِكْـرِ المَقَـام عُـشُّ ذاك العِشْـقِ قلـبٌ لا يَنَـام
وإذا العلـمُ عـن العِشْـقِ انفـردْ مسـرحـاً أضحـى لأفكـارٍ تُعَـد
فيـه سِحْـرُ السَّـامـريِّ ظـاهـرُ علمُنـا مـنْ غيـرِ وحـيٍ سـاحـرُ[5]
بـالتَّجلِّـي عـالـمُ القـومِ اهتـدى مـا رمـاهُ الـوهـمُ فـي جـوفِ الـرَّدى
عيشُنـا لـولا التَّجلِّـي سقمُنـا عقلُنـا مَـسٌّ وجَبْـرٌ دينُنـا
هـذه الـدُّنيـا بهـا بحـرٌ وبـر نحنُ نرنو وهي منْ يروي الخبر

---

(١) مزرق الرواق : السماء .

(٢) يريد بالطين نفسه ؛ لأنه إنسانٌ خلق من طين . والنَّجي : صاحب السر . والملائك : الملائكة .

(٣) خفاه : أخفاه .

(٤) الدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .

(٥) بعد أن ذهب موسى لميقات ربه ، تحيَّن رجلٌ يسمى السَّامري غيبته ، وأخذ من بني إسرائيل حلي نسائهم ، وألقاها في النار ؛ ليسبك منها عجلاً ، وجعله بحيث يكون له صوتٌ كالخوار ، وخدعَ بني إسرائيل بقوله : هذا إلهكم وإله موسى .

فـإلـى الـدَّار فـؤاداً ضـلَّ رُد ... فِلْقـةُ البَـدْرِ إليـه فلتَعُـد[1]

مـن تـرابـي مـا نمـا إلَّا الكـلام ... وكـلامُ الهجـر يخلـو مـنْ خِتَـام

إنَّـني فـي الكـون ذيَّـاكَ الغـريـب ... مـن بعيـدٍ فلتقـلْ إنِّـي قـريـب

ريثمـا كـالشَّمسِ يُطوى بـالغـروب ... فكـلُّ صـوبٍ وشمـالٍ وجنـوب

مِـنْ غَـدي والأمـس إنِّـي مُنْطلـق ... ووراءَ كـلِّ نجـمٍ استبـق[2]

أنـتَ نـورُ خـالـدٍ نحـنُ الشَّـرار ... ولنـا الأنفـاسُ عمـرٌ مستعـار

قـلْ لمـن مـا مـازَ مـوتـاً مـنْ حيـاه ... أي عبـدٍ غـارَ مـنْ صُنْـعِ الإلـه[3]

جـابَ آفـاقـاً وليـسَ بـالصَّبـور ... لـم يسـرَّ بغيـابٍ أو حُضـور[4]

إنَّـني الفـانـي فهـبْ أنـتَ البقـاء ... وأنـا الأرضُ أسكنِّـي السَّمـاء

يـا إلهـي هَـبْ فعـالـي والكـلام ... كـلَّ خيـرٍ ، ومسيـري لـلأمـام

ليـس مـنْ دنيـاي هـذاك الخطـابْ ... لا ولا تِلْـكَ السَّمـا هـذا الكتـاب

إنَّـني بحـرٌ سكـونـي لا يليـق ... أينَ منْ غاصَ على قاعي العميق[5]

وعلـى السَّـاحـلِ دُنيـا تستقـر ... وتـرى فـي البحـر مـوجـاتٍ تفـر

قـد يئسـتُ مـنْ شيـوخِ الأقـدميـن ... ولـديَّ عـن غـدي قـولٌ مبيـن

وعلـى الفتيـان يسِّـرْ مـا أقـول ... وليكـنْ كـلُّ عميـق كـالضَّحـول[6]

***

---

(١) فلقة البدر بكسر الفاء : القطعة منه .

(٢) استبق : تسابق .

(٣) ماز الشيء : فرزه عن غيره .

(٤) جاب البلاد : قطعها .

(٥) غاص على اللؤلؤ : غطس يستخرجه .

(٦) الضحول : جمع ضحل ، وهو الماء لا عمق له .

تمهيدٌ سَماوِيٌّ

في اليومِ الأولِ لِلْخَلْقِ ، تنشي السَّماءُ على الأرضِ بالملام
لِلْحُضورِ لذةٌ أو لِلْغياب وبها قدْ خُلِقَ الكونُ العُجاب
كانَ للأنفاسِ خيطٌ فانقَطَع بَنَتِ الحيرةُ صرحاً ما انْصَدَع[1]
حيثُما تمضِ تُشاهدْ قائلا بَعْدَ شوقٍ : لَسْتَ مثلي يا فُلا[2]
علَّمُوا الأنجمَ طُرَّاً سَيْرَها مَنَحُوها في السَّماءِ نُورَها[3]
هذه الشَّمسُ أقامتْ خيمةً زانَها التِّبْرُ رسوماً جمَّةً
أوَّلُ الإصباحِ في الأفق انْبَثَقْ ورأى الكونَ وليداً فاعْتَنَقْ
كانَ للإنسانِ أرضٌ قاحلهْ لا تمرُّ في ثراها قافِلَهْ
الجبالُ ليس فيها من نَهَرْ والفيافي تَحْتَ غيم ما انْهَمَرْ
ما شَدَتْ في الغُصْنِ طيرٌ بالغِناء لا ولا في المَرْجِ سِربٌ منْ ظِباء
التَّجَلِّي غابَ عنْ بحرٍ وبرّ ولها الثوبُ دخانٌ وانْتَثَر
في ربيعٍ ما بَدَتْ منْ خُضْرَةٍ وانْطَوَتْ تحتَ الثَّرى في غبرةٍ
لامَ تِلْكَ الأرضَ مزرقُّ الفَلَكْ « ما رأتْ عينٌ كهذا هَيْتَ لك! »[4]
وفضائي ليسَ فيه منْ ضَرِير لكَ نورٌ منْ سِرَاجي أيَّ نور
قد يطولُ التُّرْبُ طوداً في السما لا يضاهي فَلَكاً أو أنْجُما[5]
فَلْتعيشي مثلما عاشَ الجميلْ أوْ فموتي من شَنَارٍ للذَّليل[6]
فاعترىٰ الأرضَ منَ اللَّومِ الخَجَلْ بَعْدَ حزنٍ وضَياعٍ لِلأمَل

---

(١) الصرح : كلُّ بناء عال .
(٢) يا فلا : ترخيم يا فلان .
(٣) طُرَّاً : جميعاً .
(٤) هيت لك : هَلُمَّ وتعالَ .
(٥) الترب : التراب . والطَّوْد : الجبل .
(٦) الشَّنار : العيب والعار .

ومـــنَ الظُّلْمـــةِ أضْـــوَاهـــا الألـــم ... ونـــداءٌ جـــاء مـــنْ فـــوقِ القِمَـــم[1]

يـــا أمينـــاً لَسْـــتَ تـــدري مـــا الخبـــر ... أيَّ بـــأسٍ ؟ ذاتَـــكَ امْنَحْهـــا النَّظَـــر

النَّهـــارُ نـــورُه مـــنْ مُعْتـــرك ... ليـسَ مـنْ نـورٍ أتـانـا مـنْ فَلَـك[2]

نورُ هذا الصُّبْح منْ شَمْسٍ جريح ... مـنْ صُـروفِ الـدَّهـرِ أنـوارٌ لـروح

نـورُ تِلْـكَ الـرُّوحِ مـاضٍ فـي سَفَـر ... يسبـقُ الشَّمْـسَ شُعـاعـاً والقَمَـر

منْ كتابِ الرُّوح أسْقَطْتَ « المنى » ... وهي تبدي منْ ثراكَ ذا السَّنا ![3]

يملـكُ العَقْـلُ مـنَ الـدُّنيـا العَنَـان ... ولهـذا العِشْـقِ غـزوُ الـلاَّمكـان

يهتـدي الفِكْـرُ ومِـنْ غيـرِ الـدَّليـل ... عينُـه يقظـى وفـاقَـتْ جِبْـرئيـل !

يـا لَـهُ تـربـاً يطيـرُ كـالْمَلَـكْ ... ولـه يَبْـدُو رِبـاطـاً ذا الفَلَـكْ[4]

يَخـزُ الـزَّرقـاءَ جسـمٌ فـي المسيـر ... إبـرةٌ قـد خَـرَقَـتْ ثـوبَ الحـريـر

ثـوبُ دُنيـانـا محـا عنـهُ الـوضَـر ... فضَّلَـهُ فـي عينهـا نـورُ البَصـر[5]

ورقيـقُ الـدِّيـنِ سفَّـاكُ الـدِّمـاء ... وهو كالمِهمازِ في جَنْبِ القضاء[6]

تستنيـرُ عينُـه بـالكـائنـات ... لترى الذَّاتَ تَجَلَّتْ في الصِّفات

مـنْ تَلَظَّـى عِشْقُـه مـنْ حُسْـنِ ذات ... سيـداً أضحـى لِكُـلِّ الكـائِنـات[7]

* * *

---

(١) أضواها : أضعفها .

(٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد به معترك الحياة .

(٣) السنا : النور .

(٤) الرباط : مبنى لنزول المسافرين كما أنه لإقامة المتعبدين .

(٥) الوضر : الوسخ .

(٦) رقيق الدين : الملحد .

(٧) تلظت النار : تلهبت .

أغنية الملائكة[1]

ويـــومـــاً تبهـــر الصلصـــال نـــوريـــاً بـــأنـــوار
ويـــومـــاً تُصْبـــحُ الأرضُ سمـــا مـــنْ نجـــمِ أقـــدار
خَيـــالُ المـــرءِ ظمـــآنٌ ، سيـــولُ الـــدَّهـــرِ تـــرويـــه
ويـــومـــاً خـــارجَ الأفـــلاكِ فـــي أمـــنٍ سَتُلْقيـــه
وفـــي معنـــىً لإنســـانٍ تـــأمَّـــل أنْـــتَ ثـــمَّ اســـأل
ويـــومـــاً بَعْـــدَ تطـــويـــعٍ سَيُمْســـي ذلـــكَ الأكْمـــل
ويعلـــو منْـــهُ شـــأنٌ لـــم يكـــنْ فـــي أمســـهِ شيَّـــا
ويـــومـــاً أنْـــتَ لا تلقـــاهُ عِنْـــدَ الله مَـــرْضِيَّـــا

* * *

تمهيدٌ أرضيٌّ

تلوحُ روحُ جلال الدِّين الرومي ، وتتناولُ بالشَّرْحِ سرَّ المعراج

شُعْلـةٌ لِلْعِشْـقِ شَبَّـتْ فـي المـدينـة ضجـةٌ لِلْقَـوْمِ تَطْـويهـا دَفينـة
تَنْشُـدُ الخلـوةَ فـي طَـوْدٍ أشَـم أو على السَّاحلِ مِنْ بحرٍ خِضَم[2]
مـا وَجَـدْتُ لـي حميمـاً مـرَّةً فَقَصَـدْتُ البَحْـرَ أُلقـي نظـرةً
ورأيـتُ البَحْـرَ فـي وقـتِ الغُـروب زرقـةً فيهـا يـواقيـتُ تَـذُوب
للضَّـريـرِ واهـبٌ نـورَ البَصَـرِ للمسـاءِ مكسـبٌ لـونَ السَّحـر
ثـم نـاجيـتُ طـويـلاً مُهْجَتـي وطَلَبْـتُ فـي خيـالـي مُنْيتـي[3]

---

(١) هذه المنظومة من بحر الهزج ، وهو في العربية سداسيٌّ أصلاً ، ولا يستعملُ إلا رباعياً، غيرَ أنَّ الفرس يستعملونه ثمانياً . وقد أوردناه ثمانياً كما ورد في هذا الشعر الفارسيِّ .

(٢) الطودُ الأشم : الجبلُ المرتفع . البحرُ الخِضَمُّ : العظيمُ الواسع .

(٣) المُهْجةُ : دَمُ القلب . والمرادُ به هنا القلب .

إنَّني الفاني ومالي منْ خلود ... وأنا حيٌّ ومثلي في اللُّحود
ظامىءٌ والنَّبع عن ثغري بعيد ... فإذا بي منشدٌ هذا النَّشيد

* * *

غزل

افْتَحِ الثَّغْرَ لذةَ الشَّهْدِ أطْلُبُ ... أظهرِ الخدَّ روضةَ الوَرْدِ أطْلُبُ
هذه الكأسُ في يدي وبأخرى ... شَعرُه ، إنَّ رقصةَ الوَجْدِ أطْلُبُ[1]
في دلالٍ تقولُ قُمْ أنْتَ عنَّا ... قلْ وكرِّرْ ، فقولةَ القَنْدِ أطْلُبُ[2]
أنْتَ يا عقلُ فانصرِف عنْ هُذاءٍ ... أنْتَ يا عِشْقُ صحوةَ الجدِّ أطْلُبُ[3]
إنَّ تلكَ الحياةِ كالسَّيْلِ تمضي ... وأنا الحوتُ لُجَّةَ المدِّ أطْلُبُ[4]
ذاكَ فرعونُ أرْمَضَ النَّفسَ جَوْراً ... نورَ موسى بليلةِ البَرْدِ أطْلُبُ[5]
طافَ في الليلِ شيخُنا بسراجٍ ... قالَ إنِّي مؤجَّلَ العَوْدِ اطْلُبُ[6]
ورفاقٍ كَرِهْتُ مِنْهُمْ خِصالاً ... رُستماً لي وسيِّدَ الأسْدِ أطْلُبُ[7]

---

(١) يريد برقصة الوجد رقص المولوية ، وهم أتباعُ جلال الدِّين الرومي المعروف بمولوي ، وكانوا يرقصون ، على أنَّ الرَّقص والسماع مما يثير في القلوب لوعةَ العِشْق الإلهي . وسنصفُ رقصهم تفصيلاً في الصفحاتِ الأخيرة من الكتاب .

(٢) القَنْدُ : السكر .

(٣) الهذاء : الاسم من هذي بمعنى تكلم بغير المعقول لمرض أو غيره .

(٤) اللجة : معظم الماء . والمدُّ : ارتفاع ماء البحر .

(٥) ذكرنا ليلة البرد هنا لأنَّ موسى عليه السلام كان يرعى غنمه ومعه امرأته في ليلة باردة وأراد أن يقدح بزَنْدِه فما أخرج الزَّندُ ناراً غير أنَّه شاهد ناراً من بعيد ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ١٠] .

(٦) العود : العودة وجعلناها مؤجلةً للمبالغة .

(٧) رستم : بطلُ الأساطير الفارسية المشتهرُ بشجاعته وشهامته في الملاحم ، وأردنا بسيد الأسد أسد الله وهو عليٌّ كرم الله وجهه .

كـــم بحثنـــا ، وأيَّ شـــيءٍ وجـــدنـــا
قلـــتُ إنِّـــي بـــرغـــمِ ذا الفَقْـــدِ أطْلُـــبُ

فـــوقَ مـــاءٍ أغبـــرِ المـــوجُ نـــام ... غابتِ الشَّمسُ وفي الأفقِ الظَّلام
إنَّ منهـــا اللَّيْـــلُ شيئـــاً قـــد سَـــرَق ... يَشْهـــدُ الكـــوكـــبُ بـــالنُّـــور ائتلـــق
روحُ « رومـي » مـزَّقَـتْ كـلَّ السُّتور ... ولهـا مـنْ خَلْـفِ أطـوادٍ ظُهـور[1]
إنَّـــهُ شَمْـــسُ الضُّحَـــى فـــي طَلْعَتِـــه ... وشبـــابُ شيبـــه ، فـــي مَيْعَتِـــه[2]
وبنـــورٍ ســـرمـــديٍّ قـــدْ أضـــاء ... مـنْ حُبُـورِ الخُلْـدِ غطَّـاه الـرِّداء[3]
شفتـــاه فيهمـــا ســـرُّ الـــوجـــود ... فـــكَّ عنـــهُ القَـــوْلَ فكَّـــاً للقُيـــود
إنَّ هـــذا القَـــوْلَ مـــرآةٌ تـــدلَّـــت ... وهـــو عَلَـــمٌ فيـــه نـــارٌ قـــد تجلَّـــت
غَيْـرُ مـوجـودٍ ومـوجـودٌ ؟ أجبنـي ... غيـرُ محمـودٍ ومحمـودٌ ؟ أجبنـي
قال لي الموجودُ ما يبغي الظهور ... فـالـوجـودُ يقتضـي هـذا الظُّهـور
لـلـوُجـودِ زينـةٌ تُـدْعـىٰ « أنـا » ... رغبـةٌ فـي الـذَّاتِ بـرهـانٌ لنـا[4]
لِفُـوا يـومَ « ألَسْـتُ » مجمعـا ... « أينَ مَنْ يشهد ؟ » قالوها معا[5]
إنْ تكـنْ حيّـاً أو الميـتَ الـدَّفيـن ... أو تَجُدْ بالرُّوح سلْ عن ذا الأمين[6]
شـاهـداً فلتتخـذْهُ مـنْ شعـور ... أو عيـونٍ مـا لهـا إلاكَ نـور

---

١) روميٌّ : هو جلال الدين الرومي . والأطواد : الجبال .
٢) مَيْعةُ الشباب : أوَّلُه .
٣) السَّرمديُّ : الخالد . والحُبورُ : السُّرور .
٤) أنا هنا بمعنى الذَّات أو الفرد . وفي رأي إقبال أنَّ حياة الإنسان لن تكون إلا فردية ، ولا وجود لحياة كلِّية في واقع الأمر ، وتجلِّي الحياة في الفرد ليس إلَّا . فالأنا أو الإنسان يسمو ويخلد بالعمل ، وإلى تلك الحقيقة كانت إشارةُ الإسلام .
٥) يُكثرُ شعراءُ التصوُّف من الفرس ذكرَ يوم « ألستُ » مشيرين بذلك إلى قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .
٦) المراد بهذا الأمين : الشَّاهد .

واجعلِ الثاني شعورَ الآخرين ... شاهد الذَّاتِ بعينِ الآخرين
ولتكنْ ذاتُ الإله خيرَ شاهد ... ولها نورٌ به ذاتاً فشاهد
أنتَ إنْ واجهْتَ ذيَّاكَ الضِّياء ... نِلْتَ طولاً سرمديّاً للبقاء
الحياةُ هي للذَّات الوصول ... وهي ذاتٌ ليس يُخفيها سُدول[1]
لم تلائمْ مؤمناً قطُّ الصِّفات ... ما اختيارُ المصطفى إلا لِذَات
ما هو المعراجُ ؟ مرجاةٌ لشاهد ... واختبارٌ ، وتراهُ عينُ شاهِد
شاهدٌ عدلٌ وممَّا قاله ... عيشُنا البستانُ أزهارٌ له
ما لإنسانٍ ثباتٌ في الحضُور ... أو هو الكاملُ لا يشكُو القُصور[2]
ذرةً لا تلق من هذا اللَّهيب ... ثم صُنْهُ مِثْلَ تِذْكارِ الحبيب
أنْ تزيدَ النُّورَ فيك ذاك أخْلَقُ ... أنْ تضاهيه بشمسٍ ذاكَ أليَقُ
جسمَك البالي جدِّدْ بالصِّقال ... واختبرْ ذاتك عِشْ فالعمرُ طال

ليس بالمحمودِ إلا ذو الوجود
عيشُنا لولاهُ ما يعلو الوقُود[3]

قلت كيفَ نحنُ نمضي قصدُنا الحقُّ ... لجبالٍ ومياهٍ كيفَ ذا الشقُّ[4]
وبعيدٌ آمرٌ عن أمرنا ... والزَّمانُ شَصُّه في حلقنا[5]
قلت والسُّلطان إمَّا كانَ لك ... لاستطعتَ اليومَ تحطيمَ الفَلَك[6]
انتظرْ يوماً تعرَّى الكائنات ... والغبارُ طالَ منْ ذيلِ الجهات

---

(١) السُّدول : جمع سدل ، وهو الستر . واللام في للذات بمعنى إلى .
(٢) الحضور عند المتصوفة هو حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبيُّ عنده كالحكم العينيِّ . ونقيضُه الغيبة ، وهي غيبة القلب من دون الله حتى يغيبَ عن نفسه ، ويستطيع مشاهدتها .
(٣) الوقود : النار واتِّقادها . والدُّخان هو المراد بما يعلوها ، وهو متفرِّقٌ متبدد .
(٤) الحق : هو الله جل وعلا .
(٥) الشص : حديدة عقفاء يصاد بها السمك .
(٦) إما : مركبة من إن الشرطية وما الزائدة .

الأقـــلَّ لا تـــرى والأكثـــرا ... أنـتَ منـه وهـوَ مِنْـك مـا تـرى
قـولُـه ﴿ إلا بسلطـان ﴾ تَـذَكَّـرْ ... أو فَمُتْ في الوَحْل والذرِّ المبعثر[1]
بـــولادِ أيُّهـــذا الألمعـــي ... كنـتَ فـي دنيـا الجهـات الأربـع[2]
بـولادِ أنْـتَ قـد تمضـي بعيـدا ... وتفـكَّ عنـك هـاتيـكَ القُيـودا
ليـسَ مِـنْ مـاءٍ وطيـنٍ ذا الـولادْ ... مـــا دراهُ قـــطُّ إلا ذو فـــؤادْ
ذاكَ مـــنْ جبـــرٍ وذا بـــالاختيـــار ... ظـاهـرٌ هـذا وذا خَلْـفَ السِّتـار
بـــالبكـــا ذاكَ وذا بـــالابتســـام ... بـاحـثٌ هـذا وللثَّـانـي المـرام
ذا سكـونٌ ، سيـره فـي الكـائنـات ... ذاكَ قـطُّ لا يسيـرُ فـي الجهـات
ذا لليـــلٍ ولصبـــحٍ حـــاجتُـــه ... مـــا همـــا إلا لـــذاكَ دأبتـــه
مـولـدٌ للطِّفْـل بطنـاً قـد فطـر ... للـرِّجـالِ المـولـد الـدُّنيـا فَطَـر
ودليـــلُ العـــالميْـــنَ فـــي الأذان ... ذاكَ بـالـرُّوح وهـذا بـاللِّسـان[3]

مـــولـــدٌ للـــرُّوح حلَّـــت جسمَنـــا
زَلْـزَلَ الـدُّنيـا فمـاجَـتْ حـولَنـا

قلـــتُ لمـــولـــدٍ معنـــىً لا أراه ... قـال شـأنٌ مـن شـؤونٍ للحيـاه
إنَّمـا دنيـاكَ غيـبٌ أو حضـور ... ثـابـتٌ هـذا وللثـانـي المُـرور
ولـــذاتٍ ذوبُهـــا فـــي جلـــوةٍ ... وتـــراهـــا جَمَعـــتْ فـــي خلـــوةِ
جلـوةٌ للـذَّات فـي نـور الصِّفـات ... لكـنِ الخلـوةُ مـنْ نـورٍ لِـذَات
عقلُهـا الـدَّافـعُ نحـو الجلـوةِ ... عِشْقُهـا المـاضـي بهـا لِلْخَلْـوةِ
وإلـى العـالـمِ هـذا العقـلُ جـاء ... كـي يَحُـلَّ اللُّغْـزَ مـن طيـنٍ ومـاء

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن : ٣٣] والشاعر يصف قدرة الإنسان بطاعة الرحمن . والذر : صغار النمل .

(٢) الولاد : الولادة . والألمعيُّ : الذكي الحصيف .

(٣) جرت العادة بالأذان في أذن الوليد .

كلُّ جلمودٍ له أضحى أديبا ... ثم أمسى البَرقُ والغَيْمُ الخطيبا
عينُه تألف ذوقاً للنَّظر ... لا كعربيدٍ جريءٍ في الغَرَر[1]!
يَرْهَبُ السَّيْرَ فيمضي كالضرير ... نملةً أنتَ تراه إذْ يسير
حيثُ كانَ العقلُ فوقَ القوَّة ... أمَّ مَنْ يهوىٰ وئيدَ الخُطْوَة[2]
أمرُه شيئاً فشيئاً ينتظمْ ... فمتى أمرٌ له يوماً يَتمْ
ما درىٰ العِشْقُ شهوراً منْ سنين ... لا ولا حتَّى قريباً منْ شَطُون[3]
وَيَشُقُّ العقلُ شقّاً في الجبل ... أو حواليه يطوفُ في مهل
ومِنَ العِشْقِ جبالٌ كالهشيم ... وقلوبٌ كالسُّموكِ إذْ تعُوم[4]
إنَّما العشقُ بَياتُ اللاَّمكان ... والمماتُ دونَ قبرٍ لِلْعِيَان[5]
ليس يقوى العِشْقُ من ريحٍ وماء ... لا ولا منْ قُوَّةٍ للأقوياء[6]
خيبراً نال بخبزٍ منْ شعير ... شقَّ ذلكَ البدرَ المنير
رأسَ نمرودٍ بلا ضربٍ حَطَمْ ... جيشَ فرعونَ بلا حربٍ هزم[7]
إنَّه في الرُّوحِ ، في العَيْنِ البصر ... كامنٌ فيها وها منها انتشر
والرَّمادُ العِشْقُ والعِشْقُ الضَّرم ... يفضلُ الدِّينَ ومنْ علمٍ أهم
وهو سلطانٌ وبرهانٌ مبين ... وله قدْ عفَّر الكونُ الجبين
أمسُنا والغدُ وهو اللاَّزمان ... ما دنا أو شطَّ وهو اللامكان
منْ إلهِ الكَوْن ذاتاً يطلب ... وله الكونُ جوادٌ يُرْكَبُ

---

(١) العربيد : من يؤذي نديمه في سكره ، والمراد به هنا الصُّوفي . والغرر : التعرُّض للهلاك .
(٢) أمَّ : قصد . والوئيد : البطيء .
(٣) الشَّطون : البعيد .
(٤) السُّموك : الأسماك .
(٥) البيات : الهجوم ليلاً . والعيان : المعاينة والمشاهدة .
(٦) الريح والماء والتراب والنار هي العناصر الأربعة .
(٧) حطم بمعنى حطَّم .

منه يبدو ما لقلبٍ من مَقام ... يبطلُ الفتنةَ في دنيا الحطام
يَهبُ العشَّاقُ ربَّاً نَفْسَهُم ... باذلينَ العقلَ قرباناً لهم
عاشقٌ أنت ؟ على اللاصَوْب أقدِمْ ... وعلى ذاتِكَ موتاً فلتُحَرِّم[1]
أنتَ يا منْ أنتَ ميتٌ في الحفير ... القيامُ ممكنٌ مِنْ غيرِ صور[2]
لكَ لحنٌ مُطربٌ في المَسْمَعِ ... فإلامَ منكَ صوتُ الضَّفْدَعِ
المكانَ والزَّمانَ ارْكَبَنْ ... ذلكَ الزُّنَّارَ عنْكَ اطْرَحَنْ[3]
اشحَذِ الأذْنَ واشْحَذْ عينكا ... ما تراهُ عَنْهُ فاسألْ عَقْلَكا
« منْ بسمعٍ منْهُ صوتُ النَّملِ مرَّا ... فَمِن الدَّهر وعَىٰ للدَّهرِ سرَّا »[4]
تَخْرِقُ النَّظرةُ لي كلَّ الستور ... في عيونٍ ما لها ذُلُّ الأسير

إنَّما الإنسانُ هذاكَ النَّظر
فبهِ مَنْ كانَ يَهوىٰ قَدْ غَمَر
كلَّ هذا الجسم فاصْهَرْ في النَّظر
فعليكَ وعليكَ بالنَّظر[5]

مِنْ سمواتٍ تَخافُ ! لا تَخَفْ ... وُسْعةَ الدُّنيا تخاف ! لا تَخَفْ[6]
الزمانُ والمكانُ فلتشاهدْ ... فيهما حالًا لروحٍ أنتَ وَاجِدْ
نظرٌ من جلوة إمَّا سبق ... فاختلافُ الغَدِ والأمسِ انْبَثَقْ
حبةٌ في جوفِ طينٍ مظلم ... لا ترى عُلو الفضاء الأعظمِ
وهي لا تدري قريباً أنَّها ... قد تمدُّ في السماء غصنَها

---

(١) الصَّوب : الجهة .
(٢) الحفير : القبر .
(٣) الزنار : حزام يتمنطق به أهل الذمة .
(٤) هذا البيتُ للشاعر الفارسي جلال الدِّين الرُّومي .
(٥) هذان البيتان من شعره كذلك .
(٦) الوسعة : الاتِّساع .

ولهـــا الجـــوهـــرُ نعـــرقُ للنمـــاء
ومقـــامٌ ، وهمـــا أيضـــاً ســـواء[1]

قلـتَ إنَّ الجسـمَ لـلأرواحِ مَحْمِـل أبصـرِ الـرُّوح وعـن جسـمٍ فَمِـل[2]
إنَّمـا الجسـمُ تعلـك الـرُّوح حـال قـولُـك المحمـل زوراً ومحـال
ما هي الرُّوح ؟ احتراقٌ بالوجيب وهي ذوقُ الغزو للأفقِ الرَّحيب[3]
واعتيـادُ اللـونِ والـريـحِ والجسـد والمَقَـامُ فـي الجهـات بـالعـدد[4]
القـريـبُ والبعيـدُ فـي الضميـر إنمـا المعـراجُ تغييـرُ الشُّعـور
في الشُّعور ذاك من جذبٍ وشوق خلِّصـنَّ الـذَّات مـن تحـتٍ وفـوق

ليـسَ هـذا الجسـمُ للـرُّوح النَّظيـرا
والتُّـرابُ مـانعـاً مـن أنْ نطيـرا[5]

***

« زروان » وهو روحُ الزَّمان والمكان

يمضي بالمسافر في سفرته إلى العالم العلوي[6]

دبَّ فـي روحـي فتـورٌ مـنْ كـلامـه زئبـقٌ ذرَّاتُ جسمـي مـنْ أمـامـه[7]

---

(١) النماء : النمو ، يقول : إنَّ الحبة هي جوهرها .
(٢) المحمل : شقَّان على البعير يُحمل فيهما العدلان .
(٣) الوجيب : خفقان القلب .
(٤) المقصود بتلك الجهات الجهات الأربع أو الاتجاهات الأربعة .
(٥) التراب هنا هو مادة جسم الإنسان .
(٦) زروان في المجوسية أو الزرادشتية هو الزمانُ المطلق . وعند بعض المجوس : الذين يقولون بوجود إلهين أهورامزدا إله الخير وأهريمن إله الشر ، وأنَّ هذين الإلهين ظهرا من زروان ، ويُعرفون بالزروانيَّة ، كما يذهبون إلى التوحيد ، ويرفضون الثنوية .
(٧) يعني بقوله : إنَّ ذرات جسمه كالزئبق : أن جسمه يرتعد . ومن : بمعنى في .

بَغْتَةً شاهدتُ بين الخافقين ... السَّماءَ في غمامٍ كاللُّجين[1]

مَلَكٌ يَهْبطُ من هذا الغمام ... طلعتاهُ في البياضِ والقَتَام[2]

هذه كاللَّيلِ والأخرى مُنيْره ... هاهما يقظىٰ ووسنىٰ كالضَّريره[3]

في الجناحِ حمرةٌ أو صفرةٌ ... ولُجَيْنٌ أزْهَرَتْه خُضْرةٌ[4]

في طباعٍ منه سَرْبٌ للخَيَال ... بينَ أرضٍ ونجومٍ في انتقال[5]

فتراهُ كلَّ يومٍ في سماء ... لجناحَيْهِ جديدٌ منْ فضاء

قال زروان أنا الدُّنيا قَهَرْتُ ... وأنا منْ قَدْ ظَهَرْتُ واختفيت

كلَّ تدبيرٍ بتقديرٍ رأيتُه ... كلَّ حيٍّ في شباكي قد حملته

إنَّ بي للزَّهر في الغُصنِ النَّماء ... وَلِتلْكَ الطَّيرِ في الوَكْرِ الغَنَاء

تُصْبحُ الحبَّةُ إنْ طِرْتُ الغُصونا ... وبفيضي الوَصْلُ نالَ العاشقونا

وأنا منْ لي العتابُ والخِطاب ... أُظمىء الظَّامي وآتي بالشَّراب

الحياةُ والمماتُ والنُّشور ... وأنا النَّارُ وجنَّاتٌ وحُور

في يدي الإنسانُ بل كلُّ الملائك ... وبنيَّ عالمٌ منْ فيه هالك[6]

ما قَطَفْتُ منْ ورودٍ فهو لي ... أمُّ ما لِنَاظَرَيْك يَنْجَلي

إنَّما الدُّنيا أسيرٌ في طلسمي ... وتشيخُ في زفيرٍ منْ فَمي

« لي مع الله » حديثٌ منْ وعاه ... سرى المغمورُ في لَبْسِ وَعاه[7]

إنْ أردتَ لي رحيلاً منْ هنالك ... « لي مع الله » اذكرنَّ في فُؤادك

---

(١) الخافقان : المشرق والمغرب . اللجين : الفضة .

(٢) يقول : إن له طلعتين أو وجهين ، أحدهما : أبيض ، والثاني : أسود . والقتام : السَّواد ، والظلام .

(٣) وسنى : نائمة .

(٤) أزهر المصباح : أضاءه .

(٥) سرب سرباً : مضى في الأرض على وجهه .

(٦) الملائك : الملائكة .

(٧) يشير إلى قوله ﷺ : « ولي مع الله وقت » .

أيُّ شيءٍ كان لي من رؤيته ... قد نسيتُ عالمي منْ قُدرته
عالماً آخرَ أبدي يا ترى ... أو كأنَّ عالمي قد غيَّرا !
بَيْنَ ألوانٍ وريحٍ قد قَضَيْتُ ... وإلى دُنيا الكونِ قَدْ مَضَيْتُ[1]
وأنا عن عالمي هذا انقطعتُ ... عالماً آخرَ إنِّي قد مَلَكْتُ
لِضَياعِ عالمي إنِّي حَزِنْتُ ... منْ تُرابي غيره ها قدْ وَجَدْتُ
خفَّ جسمي ، ذاك روحي ما استقر ... وبقلبي زادَ نورٌ للبصر
والخفايا ما عليها مِنْ حِجَاب ... والنُّجومُ لحنُها لحنٌ عُجاب

* * *

زَمْزَمةُ[2] النُّجوم

عقلُكَ الحاصلَ كانَ للحياة ... لكَ عشْقٌ هو سرُّ الكائنات
فتعالَ ، أنت يا هذا التُّراب ... مرحباً ولتمضِ في دنيا الجهات
وعليكَ المشتري والزُّهْرةُ الحسـ ... ـناءُ كانا في شديدٍ منْ نِزاع
رغبةٌ في نظرةٍ منْكَ أثارتْ ... ما أثارتْ من تجلِّي المعجزات[3]
وطريقٌ للحبيب ، كم جديدٍ ... وجديدٍ فيه يبدو للتَّجلِّي
إنَّما هذا الحنينُ للوحيد ... في قلوبِ العاشقينَ الشَّيقات[4]
الحياةُ إنَّها هذا الصفاء ... الحياةُ إنَّها هذا النَّماء

---

(١) الريح : الرائحة . وقضى : مات .
(٢) الزمزمة : الترنُّم ، أو التكلُّم بصوتٍ خفي . وقد آثرنا أن نترجم هذه المنظومة على نسقها في أصلها .
(٣) الزُّهرةُ : كوكبٌ معروفٌ وقد سكنت الهاء فيها لضرورة الشعر . يقول الشَّاعر : إنَّ رغبةَ المشتري والزهرة في نظرةٍ منك إليهما وهما المتنافسان عليك ، مما أثار هذا التجلِّي .
(٤) الشيق : المشتاق .

الحيـاةُ مُلـك ربـي ، بـاعـدِ الـ ـخطو سريعاً ولْتَسِرْ حتَّى الفناء[1]
غـزلٌ إنْ شـاقَ منـك النفـس يـو ـمـاً فلـه رَجْـعَ الصِّيـاح ، امْتَحَـنْ
شحْنـةَ السُّلطـان يبـدو ثـمَّ خـ ـميرا بحانٍ ، جرَّةَ الرَّاح امْنَحَنْ[2]
فـي العـراقِ والشـآم بـلْ وهنـ ـد ثم فرس ، يألفون الطَّعْمَ حلوا
هـؤلاءِ يطلبـونَ الحُلْـوَ دوْ ماً ، طعم هذا العِشْقِ مرَّاً ، امْنَحَنْ
كـي يمـورَ البحـر بـالأمـواجِ مـوْ راً وهو طامٍ في عُرامٍ واحتدام[3]
متعـةٌ للسَّيْـلِ يجـري بـالهـديـ ـر منْ حَدُورِ السَّهل نهراً ، امْنَحَنْ[4]
الفقيـرُ كـانَ نـاراً كـلُّ مُلـ ـكٍ ليس إلا من غُثاء ، فاعْلَمنْ
الملـوكُ حَسْبُهُـمْ فـي بطشهـم منْ مُعْدَمٍ رَفَعَ النِّداء ، فاعْلَمنْ[5]
إنَّ للصُّـوفـيِّ عـزَّاً يـا لـه عـزَّاً ، وهـذا المُلْـكُ لـلإسكنـدرِ
إنَّ للصُّـوفـيِّ جـذبـاً مـن كليـ ـم الله ، لكنَّ ذاكَ سِحْرُ السَّامري
يُقْتـلُ الصُّـوفـيُّ بـالعينيـن لـ ـكـنَّ الملـوكَ بـالجيـوش قَتْلُهـم
ذاكَ يبغـي السِّلْـمَ والصُّلْـح وهـم يبغـون بـالهيجـاءِ حُكْـمَ الجائر[6]
ذا وذاك يـا لعمـري يفتحـا ن عـالَمَيْـن ، والـدُّوام بُغيـةٌ
ولهـذا كـانَ قـولٌ ليِّـنٌ لكـنْ لـذاكَ كـان عنفُ القاهر[7]

---

(١) النماء : النُّموُّ . ولتسر حتى الفناء : أي إلى الأبد .

(٢) الشِّحنة : من يقوم للسلطان بضبط اليد . والخمير : من يُدمن شرب الخمر . والرَّاح : الخمر .

(٣) يمور : يضطرب . الطامي : الممتلىء الجائش . العارم : العنف والشدَّة . والاحتدام بهذا المعنى .

(٤) الهدير : صوت أمواج البحر . والحَدُور : المكان ينحدر منه .

(٥) الغثاء : ما يحمله السيل من القش واليابس من أوراق الشجر . يقول : إنَّ للفقير ناراً تحرق الملك قشاً وصوت الفقراء إذا ارتفع بالشكوى قوَّض ملك الملوك .

(٦) الهيجاء : الحرب .

(٧) أي أنَّ الصوفي والملك كل منهما له عالم يفتحه ، وإنِ اختلف هذان العالمان ، وكيفية=

فتعـالَ وتقـدَّم ، قبضـةُ الصُّـوفـي قـدِّم ، سَـدَّ ذي القـرنيـن حَطِّـمْ
أحـي مـا كـان لمـوسـى مـنْ رسـو م، ليس هذا السِّحْرُ غَيْرَ المَيْنِ، حَطِّمْ[1]

* * *

= فتحهما ، كما تختلف رغبة الصوفي عن رغبة الملك في الدوام .

(١) المين : الكذب . والكلام في الشطر الأول من هذا البيت منصرف إلى ذي القرنين الذي قيل عنه إنه الإسكندر الذي ملك الدنيا ، كما قيل : إنَّه كان نبياً . وسمي ذا القرنين لأنَّه طاف قرني الدنيا ، يعني شرقها وغربها . وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان ، أو انقرض في وقته قرنان من الناس ، كما ذهب بعضهم إلى أنه سمِّي ذا القرنين لقرنين على تاجه ، وهو من الروم ، وإقبال يلمح إلى ما جاء في القرآن عنه ، وهو قوله عز من قائل : ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف : ٩٤] .

القسم الأول

فَلَكُ القَمَر

من چو کوران دست بر دوشِ رفیق　　پا نہادم اندران غارِ عمیق

ہاتھ اندھوں کی طرح ساتھی کے شانے پر رکھے　　اس اندھیرے گھپ کے اندر میں نے پاؤں رکھ دیئے

ایسا اندھیارا کہ جس سے چاند کا دل داغ داغ　　بلکہ سورج بھی تھا محتاجِ تب و تابِ چراغ!

إنَّما الأرضُ لربي والسَّماءُ ... الثريَّا ما ورثنا وال
كلُّ ما للنَّاظرَيْنِ قدْ بدا ... بعيونٍ لصفيٍّ فاقد
لا تَسِرْ مِثْلَ الغريب في ديارك ... لا تَخَفْ منْ غُرْبةٍ مَرَّتْ
إنَّ منْكَ القولَ كلٌّ يَمْتثل ... وبأمرٍ أو بنهيٍ قدْ
عالمٌ لِلْعَيْن والأذنِ الصَّنم ... والرَّدى ما كانَ في الدُّنيا ا
أشْبِه المجنونَ في وادي الطَّلب ... كُنْ كإبراهيم في قومٍ وَ
إنْ طَوَيْتَ الأرضَ طيّاً والسماء ... عالميكَ اطوِ على حدٍّ
غيرَها سبعاً من الله اطْلُبَنْ ... كمْ زمانٍ ومكانٍ تَسْأَلَ
خارجَ الذَّاتِ بشطِّ الكوثر ... لا ترى خيراً وشرّاً ينبـ
لو بكفِّ الذَّاتِ عن بحثٍ أمان ... كانَ هذا القَبْرُ خيراً من

وتموتُ الرُّوحُ منْ طُولِ المَقَام
أيُّها الرَّاحلُ ، فامضِ للأمام

ومَعَ النَّجْمِ تطيبُ سفرتُك ... حبَّذا منْ غيرِ وقفٍ رح
حينَ كانَتْ في الفَضَاءِ وطأتي ... ما عَلا ألقيتُ تَحْتَ نَظْ

---

(١) اخترمه الموت : أخذه .

(٢) المجنون هنا هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى . وقد ولهه العشق حتى عقله ، وهام على وجهه في القفار . وشعراء التصوف يرمزون به إلى العاشق الإ ووكب بمعنى قام . والإشارة إلى إبراهيم عليه السلام الذي قام في قومه أصنامهم .

(٣) يريد سبع سموات يطلبها وما لا يحصى كثرةً من الأزمنة والأمكنة .

(٤) انبرى : تعرض .

ـذه الغبـراءُ قنـديـلُ اللَّيـالـي ... وعلـى رأسـيَ ظِلِّـي قـد بـدا لـي
اقتـربـتُ فـي صُعـودي واقتـربـت ... وعلـى البَـدْرِ جِبَـالاً قـد رَأَيْـت
وْلـةَ « الرُّومي » : بـدِدْ كـلَّ شـك ... وتـرسَّـم مـا تـراهُ لِلْفَلَـك[1]
عُـدُ البَـدْرُ ولكـنْ تـألفُـه ... منـزلاً فـي نهجنـا ذا نعـرِفُـه[2]
ليلُـه والصُّبْـحُ فيـه مـا يُـرى
فيـهِ غِيْـرَانٌ لإعجـابِ الـورى[3]
ـا لصمـتٍ ولـرعـبٍ فـي الجبـل ... ظهـرُه الأخـدودُ والجـوفُ اشتعـلْ
ـأمَّـلْ « خـافطيـن » و« يلـدرم » ... والـدُّخـان فـوقَ نـارٍ تَضْطـرِمْ[4]
ـا زكـا عشـبٌ بِتِلْـكَ الأرضِ قـط ... لا ولا طيـرٌ جنـاحـاً قـد بَسَـطْ
جهـام ، والـرِّيـاحُ العـاصفـات ... ناشبتْ حرباً لها تِلْك الموات[5]
ـالـمٌ مـا فيـه مـن لـونٍ وصـوت ... لا حيـاةَ فيـه أوْ آثـارَ مَـوْت
ـس فـي بطـنِ لـه أصـلُ الحيـاة ... لا ولا في الصُّلْب سَيْرُ الحادثاتِ
سليـلٌ لـذُكـاءٍ ذا الـوجـودْ ... لانقـلابٍ قـطُّ مـا كـانَ الـولـودْ[6]
ولة : « الروميّ » : تابعْ خَطْوَتَكْ ... وعلـى مـا نِلْـتَ شـدِّدْ قَبْضَتَـكْ
ـا اختفـى يَفْضـلُ فيـه مـا ظَهَـرْ ... ولـدَيْنـا فيـهِ كـانَ المُسْتَقَـرْ
ـا ذكـيَّ اللُّـبِّ كـلُّ مـا حَصَـلْ ... فبسمعيـكَ احْتَجِنْـهُ والمُقَـل[7]
ظْهـرُ الـدُّنيـا لعيـنٍ بـاصـرة ... إنَّهـا الميـزانُ وهـي النَّـاظـرة

---

١) الرومي : جلال الدين الرومي . وترسَّم الدار : نظر إلى آثارها وتأمَّلها .
٢) المنزل : مكان النزول . والنَّهج : الطريق .
٣) الغيران : جمع غار وهو الكهف . والورى : الناس .
٤) خافطين ويلدرم : اسم جبلين يتخيلهما الشاعر في القمر .
٥) الجهام : السحاب لا مطر فيه . والموات : الأرض الخربة .
٦) ذُكاء : الشمس . والسليل : الابن . والولود : الوالدة .
٧) اللب : العقل . السمع : الأذن . احتجن الشيءَ : جذبه إليه .

أينمـا يَحْملـكَ مـولانـا انْطَلـقْ لا تفكّـر فـي سـواه واصطَفِـقْ »[1]
ثـم شُـدَّ الكـفَّ منـي فـي مَهَـلْ
وإلـى غـارٍ حثيثـاً قـد وَصَـلْ

* * *

الحكيم الهنديُّ الذي آثر الخلوة في غارٍ منْ غيرانِ القمر

ويسميه أهل الهند « صديق النَّاس كافة »

كضـريـرٍ قـادنـي هـذا الـرَّفيـق ودخلـتُ ذلـكَ الكهـفَ العميـق
مـن ظـلامٍ فيـه ذا بـدرٌ ملـول تحملُ المصباحَ شمسٌ للدُّخول !
وعـذابـي طـال فـي وهمـي وظنِّـي وكـأنَّ العَقـلَ منِّـي مـاتَ عنِّـي
ومَضَيْـتُ واللُّصـوصُ فـي الكَمين مـا بقلبـي الصِّـدقُ أو بَـرْدُ اليقيـن
جلـوةٌ لاحـت لعينـي فـي جـلاء ظَهَـرَ الصُّبْـحُ ولـم تَبْـزُغ ذُكـاء[2]
هـذه الأحجـارُ عبَّـادَ الصَّنـم أرضُ جـنٌّ نخلُهـا مِثْـلُ الأكَـم[3]
كـانَ مـنْ مـاءٍ وطيـنٍ ذا المَقَـام أو خيـالـي يتهـادىٰ فـي المنـام[4]
النَّسيـمُ مثـلُ خمـرٍ تُسْكـرُ والظِّـلالُ ومـضَ نـورٍ تُظْهـرُ
مـا رأيـتُ قُبَّـةً مـنْ لازَوَرْدِ لا ولا في الأفقِ من ألوانِ وردِ[5]
مـا أقـامَ النُّـور فـي أسـرِ الظَّـلام وامَّحـى صُبْـحٌ وليـلٌ مـن قَتَـام[6]

---

(١) مولانا هو جلال الدين الرومي . اصطفق : تحرك ، واضطرب .
(٢) بزغت الشمس : أشرقت . وذُكاء : الشمس .
(٣) الأكم : جمع أكمة : وهي الهضبة .
(٤) يتهادى : يتمايل في مشيته .
(٥) اللاَّزَوَرْد : حجر تشبه زرقته زرقة السماء .
(٦) القَتام : السواد والظلام .

وحكيمُ الهِنْدِ في ظلِّ جلس ... عينُه في الكُحْلِ نورٌ لِلْغَلَس[1]
جِسْمَهُ الوهنانَ عرَّى كلَّه ... حيةٌ بيضاءُ تسعى حَولَه
وعلى الإنسانِ من طينٍ مفضَّل ... صورةُ تلك الدُّنى ممَّا تخيَّل[2]
لا يَعُدُّ الوَقْتَ أياماً تمرُّ ... والزَّمانُ لا يفيدُ أو يضُرُّ
قال للروميِّ منْ هذا الرَّفيق ؟ ... منيةُ الدُّنيا بعينيه البريق !

***

الرُّوميُّ[3]

إنَّه الجوَّالُ في وادي الطَّلب ... يُشْبهُ السيَّار في السَّيْرِ اضطرب
غِرَّةٌ منها له رأيٌ سديد ... وعلى عيبٍ له إنِّي شَهيد[4]
كأسُه قد أصبحت قوسَ السَّماء ... فِكْرهُ يبغي إلى الوحي انتماء
كالعقابِ صَيْدُه للنَّيِّرَيْن ... في السَّماءِ طوفُه بالخافِقَيْن[5]
كلَّمَ الأرضَ كمَنْ نشَّى بدَن ... والجنانُ عِنْدَهُ بيتُ الوَثَن[6]
لدخانٍ مِنْهُ نارٌ في صعود ... ورأيتُ الكبرياءَ في سجود
ناحَ كالنَّاي لِفَرْطِ الاشتياق ... وقتيلٌ في الوِصَالِ والفِراق
لست أدري السرَّ في صَلْصاله
والمَقَامَ ، والذي في منزله

***

---

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .
(٢) الدُّنى : جمع دنيا .
(٣) هو جلال الدين الرومي أكبر وأشهرُ شعراء التصوف عند الفرس . وقد سبقت ترجمته في الديوان الثاني (القسم الأول) .
(٤) الغرَّة : الغفلةُ وعدم التجربة .
(٥) النيِّران : الشمسُ ، والقمر . والخافقان : المشرق والمغرب .
(٦) نشَّى : سكر . والدَّن : جرَّة الخمر . والفرس يشبهون الحسناء بالوثن أي الصنم في الحسن .

جهان دوست

ما لِرَبِّ الكونِ لونٌ ، وهُوَ لون
أيُّ ربٍّ أيُّ إنسانٍ وكَوْن ؟

الروميُّ

إنَّما الإنسانُ سَيْفٌ لِلإلٰه ذلكَ الكَوْنُ مسنٌّ قد تراه
شاهدَ الشَّرقُ الإلهَ وَحْدَهُ وأشاحَ الغَرْبُ عَنْهُ خَدَّهُ[1]
أنْ ترى الله بعينيك التُّقاة أنْ ترى الذَّاتَ ولا سِتْرَ الحياة[2]
وإن العبدُ من الدُّنيا انعتق رحمةَ الرَّحمن بالعبدِ اسْتَحَق
إنْ غَفَلْتَ ذاتَ يومٍ عنْ قَدَر
فارق الصَّلْصَالَ روحٌ ذو شَرَر

جهان دوست

في طِلَسْمِ للوُجودِ والعَدَم ذلكَ الشَّرْقُ بسرٍّ ما ألم
ما لنا أهلَ السَّما إلا النَّظَرْ في غدٍ للشَّرقِ تحقيقُ الوَطَرْ
شاهَدَتْ عيني على رأسِ الجبلْ مَلَكاً منْ قُبَّةِ الزَّرقا نَزَلْ
كانَ منْ عينيه ذوقٌ للنَّظَرْ وهو بالعينين دنيانا غَمَرْ
قلتُ سرّاً عن صفيٍّ لا تكنْ أرضُنا كيف تراها اذْكُرَنْ
حُسْنُ نجمٍ لاح في أُفُقٍ عَشِقتا في قليبِ السِّحر قلباً قَدْ رميتا[3]

---

(١) أشاح عنه وجهه : أعرض متكرهاً .

(٢) التقاة : التقوى .

(٣) القليب : البئر . والإشارة إلى البئر التي نكس فيها هاروت وماروت . وهما شيطانان كانا يُعلِّمان الناس السحر في بابل . ويقال : إنَّهما ملكان عشقا النساء وعلقا منكسين في بئر . كما قيل : إنَّهما مثالٌ لرجلٍ اتقى ربَّه ، واقترب منه ، ثم أضلَّه الشيطان .

ـــال يَبْـــدُو الآنَ هـــذا المَشْـــرِقُ شَمْسُـــهُ الأخـــرى عليـــهِ تُشْـــرقُ
ظْهرُ الياقوتُ مـنْ صَخرِ الطَّريـق يـوسفُ يخرجُ مـنْ جُبٍّ عميق[1]
ـيـولِّـي عـــن ديـــارٍ مـــنْ كَفَـــرْ ليـرى عـن ذلـك الكُفْـرِ المَفَـرْ[2]
حبَّـذا شعـبٌ بـروحٍ قـد خَفَـقْ ذاتُـــه مـــنْ طينـــه هـــذا خُلِـــقْ
حـامـلُ العَـرْشِ بـأعيـادٍ فَـرِحْ[3]
إنْ رأى للشَّعْـــبِ عينـــاً تَنْفَتـــحْ

اصَ شيخُ الهندِ في صمتٍ قليلا فـرآنـي تِهْـتُ فـي فهمـي مَلـولا
ال : موتُ العقلِ ؟ قلتُ : تركُ فِكْرِ قال : موت القلب ؟ قلتُ : تركُ ذكرِ
ال : جسم ؟ قلت : تُرْبٌ قد تراه قـال : روح ؟ قلـت : رمـزٌ لـلإلـه
ـــال : والإنســـانُ ؟ أبـــدى ســـرَّه قلت : كونٌ ؟ قال : وَجَّهَ شَطْرَه[4]
ال : علم ؟ قلتُ : قشرٌ لا يَطيب والـدَّليـلُ؟ قلـتُ : وجـهٌ للحبيـب
الَ : ما دينُ العوام ؟ : ما سمعنا قـالَ : ديـنُ العـارفيـن؟ : مـا رأينـا
طـابَ نفســاً قـرَّ عينـاً مـن مقـالـي
صفـوةً مـن حكمـةٍ ألقـى ببـالـي[5]

* * *

---

١) الجبُّ : البئر العميقة . والإشارة إلى قصة يوسف عليه السلام مع إخوته الذين غاظهم أن يؤثره أبوه عليهم ، فذهبوا به وجعلوه في الجب ، ثم تركوه وجاؤوا أباهم يبكون مدَّعين أنَّ الذئب أكله . وجاءت قافلةٌ ، فلما أدلوا الدلو في الجبِّ تعلَّق بها يوسف ، وأنجاه الله من الهلكة .

٢) في الأصل إشارة إلى إبراهيم عليه السلام وما جاء عنه في سورة الأنعام وهو ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] .

٣) حامل العرش : أحد الملائكة الذين يحملون العرش .

٤) الشطر : الجهة والناحية . وشطره منصوب على الظرفية .

٥) صفوة الشيء : خلاصته وخياره . والبال : القلب .

تسعُ كلماتٍ للعارفِ الهنديِّ

ليـــس يُخْفـــي عـــالـــمٌ ذاتَ الإلـــه
غـــائصـــاً مـــا رَدَّ رَسْـــمٌ فـــي الميـــاه

* * *

أنـــتَ إنْ فـــي غيـــر ذي الـــدُّنيـــا وُلِـــدْتُ
بشبـــابٍ غيـــرِ هـــذا قـــد نَعِمْـــتْ

* * *

بعـــد مـــوت ربِّنـــا ، وهـــو الحيـــاهْ
لا يُحـــسُّ العَبْـــدُ شيئـــاً بـــالـــوفـــاهْ
نحـــنُ طيـــرٌ بجنـــاحٍ لا تطيـــرْ
علمُنـــا بـــالمـــوت مقطـــوعُ النَّظيـــرْ

* * *

إنَّمـــا الـــوقـــتُ سمَـــامٌ فـــي الشِّهـــادْ[1]
رحمـــةٌ فـــي قَهْـــرِ قَهَّـــار العِبـــادْ
ويلـــوحُ قهـــرُه فـــي كـــلِّ صـــوبْ
رحمـــةٌ فيـــه مَضَـــتْ مـــنْ غيـــرِ أوبْ

* * *

إنَّمـــا المـــوتُ كفـــورٌ يـــا حكيـــم

السِّمام والشِّهاد : جمع سُمٌّ وشَهْد .

أنــتَ إنْ جــاهــدتَ أمــواتــاً مُليــم[1]
ومــع النَّفــس التقــىٰ فــي قِتَــالْ
يــا لــهُ الليــثُ الهَصُــورُ والغَــزالْ[2]

* * *

كــافــرٌ صــاحــي الفــؤادِ ذو صَنَــمْ
يفضُــل المــؤمــنَ نــامَ فــي الحَــرَمْ

* * *

عَمِيَــتْ عيــنٌ رأتْ غَيْــرَ السَّــداد
لا تــرىٰ الشَّمْــسَ الليــالــي فــي ســواد
صحبــةٌ للحــبِّ والطيــن النَّمــاء
صحبــةُ الإنســانِ والطِّيــن الشقــاء
يــرتضــي الحــبُّ مــن الطِّيــن العــذاب
ليــرى النُّــور كتبــرٍ فــي انْسكــاب
قــد ســألــتُ الــوردَ ذا الصَّــدرِ الجــريــح
أيُّ حســنٍ لــك مــنْ طيــنٍ وريــح ؟
فــأجــابَ : يــا حكيمــاً مــا شَعَــرْ
بخُمــودِ البَــرْقِ هــل يــأتــي الخَبَــرْ !
روحُنــا فــي الجســم جــذبٌ وانْجــذاب
منــكَ مــا يخفــى لــدينــا كــالسَّــراب[3]

---

(١) جاهد العدو : قاتله . والمليم : الملوم .
(٢) الهصور : الذي يهصر فريسته .
(٣) يقول : إنَّ الروح في جسمنا مما يقع بين الروح والجسم من تجاذب . وجذبك خفي أما جذبنا فظاهر .

تَجَلِّي سُروش[1]

أوصد العارفُ باباً للكلام ... أسْكَرَتْه الذَّاتُ لا تِلْكَ المُدام
إنَّه بالشَّوْقِ والذَّوْقِ انْجَذَبْ ... في وجودٍ من شهودٍ قد وَقَبْ[2]
بالحضورِ مِنْهُ ذراتٌ كطور ... أوْ فلا نورٍ ولا حتَّى ظُهُور[3]
في أساطير الليالي غانِيَهْ ... كوكبٌ منهُ الظَّلامُ حَالِيَهْ[4]
شعرُها المِعْطارُ حتَّى خَصْرِها ... والسُّهوبُ نورُها مِنْ نُورِهَا[5]
وهي في سُكْرِ التَّجلِّي أغرقت ... وتَغَنَّتْ ما بكأسٍ أسْكَرَتْ
ولديها دارُ مصباحِ الخيال ... فلكاً كمْ دَارَ في الدَّهر الطُّوال[6]
فيهِ تبدو كلُّ ألوانِ الشُّكُول ... نَمِرٌ يَفْرِسُ أو صقرٌ يَجُول[7]
قلتُ للرُّومِيِّ بالسرِّ العليم ... اكشفِ الأسرار ، لي فهمٌ سقيم
قال : « ذا الجسمُ لُجَيْنٌ يَلْمعُ ... وهو في فكرِ الإله يَنْبُعُ »
ثُمَّ حنَّ الشوقُ فيه للظُّهور ... فأتى الدُّنيا خَلَتْ منْ كلِّ نُور
ومن الغُربةِ كان ذا نَصِيب ... كلُّنا يا صاحِ في الدُّنيا غَرِيْب[8]

---

(١) سروش : اسمُ ملك في الديانة الزرادشتية ، واسمه مشتق منْ : سراوشا ، بمعنى السماع في الفارسية القديمة ، وهو رمزٌ للطاعة ، ومرشدُ الأرواحِ في الآخرة .

(٢) وقب : دخل .

(٣) الطور : الجبل .

(٤) الغانية : المرأة التي يغنيها حسنها عن أن تتحلَّى . والحالية : هي التي تلبس الحلي .

(٥) المعطار : من تعود أن يتعهَّد نفسه بالعطر . والسُّهوب : جمع سَهْب ، وهو السَّهلُ المنبسط .

(٦) مصباح الخيال : مصباحُ ما يعرف بخيال الظلِّ ، وهو مصباح يُدار حوله ستار فيه نقوشٌ وصور . والطوال : الطويل .

(٧) الشُّكول : جمع شكل . وفرس النمر : افترس .

(٨) يا صاح : بمعنى يا صاحبي .

عـرفـوه بسُـروش ، كـالمـلائـك أبعـدَ الحـسَّ وقـد أدنـى كـذلـك
فتـحَ البُـرعـوم منَّـا بـالنَّـدى وبـأنفـاسٍ رمـاداً أوقـدا[1]
منـه ألحـانٌ لأوتـارِ القـريـض وشقـوقُ السِّتْـر بـالبيتِ الأريض[2]
ثـمَّ غَنَّـى فَشَهـدْتُ عـالمـا
أسْمَـعُ الألحـانَ جمـراً مُضْـرَمـا

* * *

لحنُ سُروش

أخشـى عليـكَ ركـوبَ بحـرٍ مـنْ سَـراب
وكمـا وُلِـدْتَ العُمْـرَ تطـوي فـي الحجـاب[3]
لِلْفَخْـرِ كحـلٌ عـن جفـونـي أغْسِلُـه
فـأرى مصيـرَ الشَّعْـبِ فـي هـذا الكتـاب[4]
فـي كـلِّ صَـوْبٍ انْطـواءٌ لاحَ لـي
لِلْبَـرْقِ كـانَ المـوتُ فـي جـوفِ السَّحـاب
فـي الغَـرْب كُنْـتُ وقلَّمـا عينـي رأت
مـنْ كَـانَ ذا لحـنٍ تجـافـىٰ عـنْ حِسَـاب
دُنْيـاكَ فـاملِـكْ إنْ أرَدتَ القُـرْبَ لـك
الـروضَ خُـذْ يـا عطـره فـي المـاءِ ذاب[5]

---

(١) البرعوم : الزهرة قبل أن تتفتح .
(٢) الستر هنا كسوة الكعبة . والأريض : المعجب للعين .
(٣) يريد ذلك الغشاء الذي يكون على الوليد حين يولد ويعدُّه حجاباً كذلك الحجاب الذي يحجب المعرفة .
(٤) الفخر هو الرازي صاحب تفسير القرآن .
(٥) في هذا تلميح إلى شطر من بيت من مأثورات الصوفية وترجمته (إنه في وأنا فيه كالعطر=

مـــا أنْـــتَ إلا للفَنَـــا يـــا زاهـــداً
أنَسِيْـتَ طـوفـانـاً تـوارى فـي الحَبَـاب[1]
اللحـــنَ تَسْمـــعُ مـــا تـــرى مِـــنْ مُطْـــرِبٍ
حـــوريـــةٌ قـــد غُـــرِّبـــتْ تُبْكـــي الـــرَّبـــاب

* * *

الرحيل إلى وادي يرغميد
المسمَّى عند الملائكة وادي الطواسين[2]

إنَّمـــا الـــرومـــيُّ لِلْعِشْـــقِ الـــدَّلـيـل ... قـــولُـــه للظَّـــامئيـــنَ السَّلْسَبيـــل
قـــالَ : « إنَّ النَّـــارَ إنْ كـــانَـــتْ بشعـــر ... قولُ « اللهُ هو » حباها حرَّ جَمْر[3]
نغمـــةٌ منهـــا الهشيـــمُ روضـــةٌ ... كـــانَ لـــلأفـــلاكِ منهـــا نَفْضـــةٌ
وعلـــى الحـــقِّ العلـــيِّ شـــاهـــدٌ ... وبهـــا المُلْـــكَ الفقيـــرُ واجـــدٌ
وبهـــا دَفْـــقُ الـــدِّمـــاء فـــي الـــوتيـــن ... ثم يصحو القَلْبُ كالرُّوحِ الأمين[4]
نـــاظـــمُ الأشعـــارِ بـــالسِّحْـــرِ اشتهـــرْ ... ســـارقُ القلـــبَ وإبليـــسَ النَّظـــر
شـــاعـــرُ الهِنْـــدِ الإلـــه أيَّـــدَه ... روحُـــه مـــنْ سِحْـــرِ قـــولٍ جـــرَّده
علَّمـــوا الشِّعْـــرَ أفـــانيـــن الغِنـــاء ... وضـــروبَ الكُفْـــرِ حتَّـــى الأتقيـــاء[5]

= في ماء الورد) .

(١) الحَبابُ : الفقاقيع التي تعلو الماء والشَّراب .

(٢) الطواسين : جمع ط . س ، وهما حرفان في أوائل سورٍ قرآنية ، وهي : النَّمل ، والشعراء ، والقصص . وللحلَّاج كتابُ الطواسين . وقد جَعَلَ إقبالُ هذا الاسم اسماً للمكان الذي تتجلَّى فيه صفات الأنبياء .

(٣) حباه : حبا فلاناً كذا وبكذا : أعطاه .

(٤) الوتين : عرق في القلب . والروح الأمين : جبريل .

(٥) الأفانين : الأساليب والأجناس . والضُّروب : الأنواعُ والأشكال .

لفظُهم ما فيه شيءٌ من ألمْ ... ما تراهم في حياةٍ بلْ عَدَمْ
إنَّ خيراً منْ لحونٍ أفْسَدتْ ... قولةٌ كانتْ برؤيا أضْغَثَتْ[1]
يَبْحثُ الشَّاعرُ طوعاً بالسَّليقة ... يجعلُ الآمالَ في النَّفْسِ الحقيقة
لَيْسَ إلَّا القلبُ في صدرِ الشُّعوب ... إنَّها لولاه كالوادي الحطيب[2]
نَقَشَ السُّكْرُ ونارٌ عالما ... بهما لم يكُ شِعْرٌ مأتما !

في الأنامِ يُخلَقُ الرُّوحُ السَّويَّا
ورثَ الشاعر منْ ثمَّ النَّبيَّا »

قلتُ : هاتِ القولَ في تلك النُّبوَّة ... سرَّها لا تطوِ عن مِثْلي بِقُوَّة
قال : « أقوامٌ لها آياتُها ... والعصورُ كلُّها ميزاتُها
الصخورَ أنطقتْ أنفاسُها ... كلُّنا في حقلنا زرعٌ لها
أصلُنا في العُمْقِ منَّا طهَّرت ... بجناحِ الرُّوحِ فكراً علَّقت[3]
إنَّها صوتٌ دويٌّ في الكائنات ... تقرأ النُّور وتَتْلُو النَّازعات[4]
ما لشمسٍ أطلعتها منْ زوال ... منكِرُوها قد تجافَوْا عن كمال[5]
رحمةُ اللهِ نراها قولةً ... غضبُ اللهِ نراها صولةً
إنَّ عَقْلَ الكلِّ حتَّى إنْ مَلَكْتُه ... فبها شيئاً رأيتُ ما رأيتُه
يرغميدُ امضِ وأسْرِعْ في السَّرى ... لترى ما ليسَ بدٌّ أنْ ترى[6]

في جدارٍ منْ صخورٍ بالقمر
للطَّواسينِ أطلْ منكَ النَّظر »

يعرفُ الشَّوْقُ الطريقَ لا الدَّليل ... ويَطِيْرُ بجناحِ جِبْرئيل

---

(١) أضغث الرؤيا : أتى بها ملتبسة .
(٢) الحطيب : الكثير الحطب .
(٣) الرُّوحُ : جبريل .
(٤) في الأصل : أن سورةَ النَّجم ، والنُّور ، والنَّازعات من شفة النبوة .
(٥) تجافى عن الشيء : مال عنه .
(٦) يرغميد : اسم جبل في القمر .

البَعيـــدُ عِنْـــدهُ كـــالخُطْـــوَتَيْـــن في المَقامِ يشتكي منْ فَرْطِ أين[1]
مثـــلُ نشـــوانٍ قَصَـــدْتُ ذا الجبـــل ورأيـــتُ مـــا رأيـــتُ مـــنْ قُلَـــل[2]
أيُّ قـــولٍ لـــي ؟ ومـــا وَصْفـــي لَـــهُ ؟ هـــذه الأنجـــمُ طـــافَـــتْ حَـــوْلـــهُ
عِنْدَ أهْلِ الفرش ضاءَ في الضَّمير عند أهل العَرْشِ في الجَفْنِ البَصير
عينَنـــا والقَلْـــبَ ربٌّ قـــدْ حَبـــانـــا لاكْتِنـــاهِ السِّـــرِّ فـــي الـــدُّنيـــا هَـــدَانـــا
سِـــرَّ دنيـــانـــا ســـأُبـــدي مَـــنْ سُـــدِلْ[3]
وحـــديثـــي عـــنْ طـــواســـينِ الـــرُّسُـــلْ

* * *

طاسين جوتاما بودا[4]
توبةُ الراقصةِ اللَّعوب

جوتاما

الشَّمُـــولُ والحبيـــبُ ، ليـــس شيئـــا[5]
بـــلْ وحـــورٌ فـــي الجنـــانِ ، ليـــس شيئـــا
كـــلُّ مـــا أنـــت تـــراه ســـوفَ يَفْنـــى

---

(١) فرط الأين : شدَّةُ التعب .
(٢) القلل : جمع قلة ، وهي القمة .
(٣) السَّدْلُ : السَّتْرُ .
(٤) التزمنا في هذه المنظومة ما يعرف في الشعر الفارسي بالرديف ، وهو كلمة أو عبارة ترِدُ في نهاية كل البيت على أن تسبقها قافيةٌ موحدة ، وجعلنا القافية في الترجمة نفس القافية في الأصل (المترجم) .
(٥) الشَّمول : الخمر .

الفَـــلا والشـــاطِئـــانِ ، ليـــس شيئـــا[1]
علَّـــمَ غـــربٌ حكمـــةً للمَشْـــرِقِ
مَعْبـــدٌ والطـــائفـــانِ ، ليـــس شيئـــا[2]
ذاتَـــكَ اذكُـــرْ وامـــضِ واعْبُـــرْ
أنـــتَ هـــذا ، العـــالمـــانِ ، ليـــس شيئـــا
هُـــذْبَ عينـــي لـــي طـــريقـــاً شُقَّهـــا
كـــلُّ مـــا فيهـــا عـــرانـــي ، ليـــس شيئـــا
دَعْـــكَ مـــنْ غيـــبٍ فمـــا وهـــمٌ بشـــيءِ
لا تكـــونُ أو تكـــونُ ، ذاكَ شـــيء[3]
لا تكـــونُ جنـــةً كـــالجنَّـــةِ
لـــوى أهـــلِ الجِنـــان ، ذاكَ شـــيء[4]
راحـــةَ الـــرُّوح طلبـــتَ ، مـــا تســـاوي !
فـــي حبيـــبٍ دمعتـــان ، ذاكَ شـــيء
نظـــرةٌ والعيـــنُ سَكْـــرَىٰ والتَّغَنِّـــي
يـــا لهـــذا مـــنْ حُســـانٍ ، منـــه شـــيء[5]
كـــان خيـــراً فـــي المعـــانـــي ، ذاكَ شـــيء

* * *

---

(١) الفلا : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .

(٢) ذكرنا الطائف بالمعبد في المثنى مع إرادة الجمع (المترجم) .

(٣) كان هنا تامة .

(٤) يريد الشاعر ليقول : إنَّ الجنة لا تكون إلا مأوى للمتَّقين جزاءً لهم على عمل الصالحات .

(٥) الحُسان : الحسن .

الرَّاقصة

لا تَـزِدْ أحـزانَ قلبـي مـا لقلبـي مـنْ قَـرار
زِدْ جمـالَ الشِّعـر ثِنْيـاً ، يـا لـهُ ليـلُ السَّـرار[١]
في صميم القلبِ منِّي ، منْكَ أنوارُ التَّجلِّي
فـأذقـت الشَّمْـسَ والبَـدْرَ مـريـرَ الانتظـار
إنَّ ذواق الحضـورِ يعبـدُ الأصنـامَ عِشْقـا
يخـدعُ العِشْـقُ فـؤاداً مـنْ مُنَـاهُ فـي الخُمـار[٢]
فـي صفـاءٍ إنْ تَـرَنَّمْـتُ بلحـنٍ لـي جـديـد
عـادَ طيـرٌ للـرِّيـاض عـودَ مشتـاقِ الـدِّيـار
طبعيَ السَّامي وُهِبْتَ حُلَّ عنْ ساقي قيودي
خِـرْقـةً هبنـي لتحظـى بقشيـبٍ مـنْ إزارِ[٣]
أيُّ معنـىً للكـلام ؟ والصُّخـورُ تَحْـتَ فـأس
يَحْملُ العِشْقُ الجبالَ ثم يمضي في انحدار[٤]

***

طاسين زرادشت[٥]
أهرمن يختبر زرادشت

خلقـتُ منْـكَ نـايـاتِ البُكـاء وربيعـي مثـلُ شَهْـرٍ فـي الشتـاء[٦]

الثني : كلُّ شيء بعضه على بعض . وليلةُ السِّرار : آخر ليلة في الشهر .
الخمار : الصُّداع منْ شدَّة السُّكْر .
الخرقة : ثوب الزاهد . والقشيبُ : الجديد . والإزارُ : الملحفة وكل ما يستر .
يمضي في انحدار : أن يمضي في سرعةٍ وخفَّة .
زرادشت : هو نبيُّ الفرس القديم الذي اعتقد وجود إله للخير هو أهورا مزدا وآخر للشر يسمَّى أهرمن . وجاء قومَه بكتابٍ يسمَّى : الأبستاق .
النايات : جمع ناي .

أنا في الدُّنيا أعاني صَوْلَتَكْ بدمائي قد رَسَمْتَ صُوْرَتَكْ
إنَّ مِنْ سيناك للحقِّ الحياة
واليدُ البيضاءُ لي منها الممات[1]

آخذٌ بالعَهْدِ منْ ربٍّ خَبِل ضلَّ منْ وَفْقَ هوى نفسٍ عَمِلْ[2]
وَمِزاجُ الرَّاح في الكاساتِ سَمْ ولهُ المِنْشَارُ والدُّودُ النِّعَمْ[3]
إنَّ نوحاً لم يجدْ غَيْرَ الدُّعاء والدُّعاءُ كان خِلواً منْ غناء[4]
اعتزلْ في الغارِ وارْحَلْ عنْ ديار نحو أهلِ النُّور عَنْ مَحْضِ اختيار
وبعينٍ اجْعَلِ التُّرْبَ الذَّهَبْ وَبِنَجْوَاكَ السَّماءَ منْ لَهَبْ[5]
كالكليمِ في الجبالِ كُنْ شَرِيدا واحْتَرِقْ ممَّا رَأَتْ عينٌ بعيدا[6]
وتناسَ شِيْمَةً للأنبياء دَعْكَ مِنْ فَرْطِ الذَّكاءِ والدَّهاءْ
بين من هانوا تهُون الفِطْرَة والرَّماد في الرِّياحِ الجمرة
الوليُّ إنْ شأى يوماً نبيًّا للهوىٰ كانَ النَّبيُّ داءً عَصِيًّا[7]

قُمْ وفي عُشِّ انفرادِ عُزْلَتِك
وَلْتَدَعْ هذا التَّجلِّي خلوتُك

***

---

(١) يلمِّحُ إلى طور سيناء ، وإلى قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [طه : ٢٢] .

(٢) الخبل : المخبول الذي اختلط عقله .

(٣) الإشارة إلى تعذيب زكريا بالمنشار ، وأيوب بالدُّود .

(٤) الغَناء : الكفاية .

(٥) التُّرب : التراب ، والنَّجوى : المسارَّة .

(٦) يريد قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ٩ و١٠] .

(٧) شأى : سبق وكان أفضل . والدَّاء العصي : هو الذي لا شفاء له .

زرادشت

الضِّيـاءُ البَحْـرُ والشَّـطُّ الظُّلـم ... مـا حَـوَتْ سيلاً كمثلي وارْتَطَمْ[1]
فـي فـؤادي المـوجُ دُفَّـاعٌ يمـور ... إنَّمـا السَّيْـلُ علـى شـطٍّ يَغِيْـر[2]
صـورةٌ مـا كـان فيهـا مِـنْ طِـلاء ... وإلـهُ الشَّـرِّ رسَّـامُ الـدِّمـاء[3]
أظهـرِ الـذَّاتَ ، فهـاتيـكَ الحيـاه
واختبـارُ المـرءِ مـا أدَّت يـداه

يُنْضـجُ الـذَّاتَ التـردِّي فـي البـلاء ... عـن قضـاءِ الله قـد تمحـو الخَفَـاء
رَجُـلُ اللهِ رأى بـاللهِ ذاتَـه ... فـي دمـاه خـرَّ كـي يُنْهـي حيـاتَـه
بـالـدِّمـاء العِشْـقُ يَسْمُـو وَيَسُـود ... ولـهُ العِيـدَانُ منشـارٌ وَعُـوْد[4]
فـي سبيـلِ اللهِ مـا يجـري يَطيـب
مـرحبـاً بـالصَّـدِّ إنْ صَـدَّ الحَبِيـبْ

لا تـرى عينـي التَّجلِّـي وَحْـدَهـا ... تَـرْمُـقُ الحُسْـنَ عيـونٌ حَـوْلَهـا[5]
خلـوةُ الإنسـانِ ؟ وجـدٌ سُعِّـرا ... إنَّهـا البحـثُ ، وجَمْـعٌ قـدْ يُـرى
خلـوةٌ فـي العِشْـقِ مـنْ شـأنِ الكَليـم ... إنْ تجلَّـى كـانَ كـالملْـك العظيـم[6]
خلـوةٌ أو جَلْـوةٌ فـي القَلْـبِ وَقـدُ ... ومَقَـامٌ أو همـا حـالٌ وَوَجْـدُ[7]
ويلـوحُ فيهمـا الـرَّحمـٰـنُ آيـهْ ... بـدأ الأولـى وذي الأخـرىٰ نهـايـهْ

---

(١) ارتطم : ازدحم ، وتراكم .
(٢) الدُّفاع : معظم السيل والموج . ويمور : يضطرب .
(٣) يقول : إنَّ « أهرمن » إلهُ الشر رسمها بالدِّماء .
(٤) يقصد تعذيب المسيح عليه السلام بصلبه ، كما يعتقد المسيحيون ، وتعذيب زكريا عليه السلام بالمنشار .
(٥) لا يريد أن يرى الحسن وحده ، بل في جماعة .
(٦) الكليم : موسى عليه السلام .
(٧) الوَقْدُ : النار .

النُّبــوَّاتُ ، كمــا قُلْــتَ ، المِلَــلْ يخلــق الإنســانَ عِشْــقٌ إنْ كَمُــلْ
حَبَّــــذا رَكْــــبٌ ولله المسيــــر[1]
وبــــدنيــــانــــا كــــأرواحٍ نَطِيــــرْ

* * *

طاسين المسيح

(رؤيا تولستوي الحكيم)

شــامــخٌ قــدْ ضــمَّ أنــواعَ المَمَــاتْ فيــه وادٍ مــا بــه رفَّ النَّبــات[2]
فيــه نــورُ البَــدْرِ قــارٌّ مــنْ غُبَــار بسمــاه الشَّمــسُ ظمــأىٰ فــوقَ نــار
والغــديــرُ زِئْبــقٌ قــدْ فَــارَ فــورَه وهــو يجري دافقاً مثل المجرَّه[3]
لا ارتفــاع لا انخفــاضَ فــي الطريــق زاخــرٌ طــامٍ وذو مــوجٍ حَنِيْــق[4]
صــاحَ شــابٌّ قــدْ حــواهُ الــزِّئبــق جــازِعــاً وهــوَ يكــادُ يَغْــرقُ
منــهُ ذاكَ الغيــمُ مــا إن يقــرب ظــامــئٌ ، مــنْ زئبــقٍ هــل يَشْــربُ !
وعلــى الشَّــطِّ رأيــتُ غــانِيَــهْ لحظُهَــا يــأسِــرُ ألــفَ سَــارِيَــهْ[5]
عَلَّمَــتْ مــنْ سِحْــرِهــا العبَّــادَ كُفْــرا شــرُّهــا الخيــر وكــانَ الخيــرُ شــرَّا
يــا تــرى مــنْ أنْــتِ قُلْــتُ فلتجيبــي مــا بُكــاكِ بــل ومــوصــولُ النَّحيــب
« إنَّ فــي عينــيَّ سِحْــرُ السَّــامــري واسمي افرنگين واسمُ السَّاحر[6]

---

(١) الرَّكب : ركبان الخيل ، أو الإبل .
(٢) الشامخ : المراد به الجبل . ورفَّ النبات : اهتزَّ نضارةً .
(٣) الغدير : النهر . والمجرَّة : مجموعة من النجوم تشبه النَّهر .
(٤) الطَّامي : الممتلىء . والحنيق : الشَّديد الغضب .
(٥) الغانية : الحسناء . والسَّارية : الجماعة .
(٦) افرنكين : من فرنكيّ في الفارسية بمعنى الإفرنجي في العربية . وإقبال يجسِّد التفرنج على أنه أفسد المسيحية الأولى . أما الإنسان المغمور في ماء النهر فهو رمزٌ إلى الخائن=

الجليـــدُ فَجْـــأةً كـــانَ الغَـــديـــر ... وبـأعضـاءِ الفتـى العَظْـمُ الكَسِيْـر[1]
رَدَّدَ الشَّكْـــوىٰ ومـــنْ قلـــبٍ وَجِـــعْ ... فَلَـهُ الشَّكـوىٰ ومـا مِـنْ مُسْتَمِـعْ[2]
قـــالـــت افـــرنگيـــن « فكِّـــرْ فِكْـــرةً ... مـــا عَمِلْـــتَ فيـــهِ فـــانْظُـــرْ نَظْـــرةً
إنَّمـــا عيســـى ســـراجُ الكـــائنـــات ... نـورُه اللمَّـاح فـي كـلِّ الجِهـات[3]
اذْكُـــرَنَّ بيـــلاطـــوسَ الممتقِـــع ... ما صنعتَ ؟ أيَّ شيءٍ قد صَنَع[4]
لـــذَّة الإيمـــانِ فـــي رُوْحٍ حُـــرِمْـــت ... إنَّ أصنـامَ اللُّجيـنِ قـدْ عَبَـدْت[5]

مـا عَـرَفْـتَ الـوحـي والجسـمَ اشتـريْـتَ
ولـــذا فـــالـــرُّوحُ أمـــوالٌ فَقَـــدْتَ »

وَمِـــنَ الحسنـــاءِ تجـــريـــحُ المـــلام ... كـانَ فـي قلـبِ الفتـى حـزَّ الحُسام
قال : « منْ خدعك ، فالزُّور الجليّ ... بـــاعَ شيـــخَ أمَّـــةٍ أو بَـــرْهَمـــيّ
ذلَّ عقـــلٍ ذلَّ ديـــنٍ مـــنْ فُســـوقِـــك ... هانَ حتَّى العشقُ منْ سَوْمٍ بسُوقِك[6]
الـــودادُ منـــكَ ضُـــرَّ خِفْيَـــة ... مِنْـكَ هـذا الحِقْـدُ مـوتٌ بغتـة
أنْـتَ بـالمـاءِ وبـالطِّيـن عَقَـدْتَ ... صلـةً ، والعَبْـدُ مِـنْ ربٍّ سَلَبْـتَ
حكمـةُ الإنسـان حلَّـت مشكـلات ... وبهـا چنگيـزُ صِـرْتَ فـي غـزاة
مـا لـدى المُنْصِـفِ قـطُّ أيُّ رَيْـبِ ... فـي ذنـوبٍ لـكَ فَـاقَـتْ كـلَّ ذنـب
المسيـــحُ أسْكَـــنَ الـــرُّوحَ البَـــدَنْ ... أنتَ منْ أدْرَجْتَ ميتاً في الكَفَنْ[7]

= الذي خانَ المسيح عليه السلام .
(١) الكَسِيْرُ : المحطَّم .
(٢) وجع : بمعنى تألَّم ، ومَرِض .
(٣) اللَّماح : المتلألىء . يقول : إنَّ نوره يغمرُ العالمين .
(٤) بيلاطوس : هو من يعتقد المسيحيون أنه القائل إني بريء من دم المسيح .
(٥) اللجين : الفضة .
(٦) الفسوق : ترك أمر الله وعصيانه . السَّوم : من سام السلعة ، أي : عرضها وذكر ثمنها ، فكأن المنافقين يتّخذون الدين سلعةً لتجارتهم .
(٧) يريد ليقول : إنَّ المسيح عليه السلام أحيا الموتى .

مـا صنعنـا كـانَ مِـنْ نـاسُـوتِـهِ كـانَ مـا لِلْقَـوْمِ مـنْ لاهـوتِـهِ
بممـاتٍ لـك نحيـا قـاطبـةْ
لا تمـوتـي ، لتـري مـا العـاقِبَـةْ »[1]

***

طاسِن محمَّد (ﷺ)

(نياحةُ أبي جهل في حرم الكعبة)

زارتْ روحُ عمرو بن هشام ـ زعيمُ الجاهلية والنخوة العربية ـ مكَّة ، وقد أصبحت بلدَ الإسلام والتَّوحيد ، وطُهِّرَ بيتُ الله للطائفين والقائمين والركع السجود ، وحُرِّمت عبادة الأصنام والأوثان الجاهلية ، فلا اللات ، ولا مناة ، ولا هبل ، ولا العزى ، ولا أساف ، ولا نائلة[2] ، وقام المؤذن على شرفات الحرم ينادي بأعلى صوته خمسَ مرات : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » .

وذهبت نخوةُ الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، وأصبحَ الناس يعتقدون أنَّهم من آدم ، وآدمُ من تراب ، فلا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ إلا بالتقوى ، وسمعَ الناسَ يتلون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وأصغى إلى الناس في غدوِّهم ورواحهم ، فلم يسمعهم يفتخرون ببلدٍ أو نسب ، ووطنٍ أو شعبٍ ، وطاف في الناس ، فلم ير أحداً يعيِّر أحداً بأمِّه ، أو سواده ، أو حرفته ، أو حبشيته ، أو عجميته ، ويتطاول بعربيته ، أو قرشيته ،

---

(١) قاطبةً : جميعاً .

(٢) كان أكثرها أصنام قُريش ، والتي كانت لغيرها كانت قريش تعظمها ، راجع ابن هشام وابن الكلبي .

وغشي مجالسَ الناس ، فلم يسمع مفاضلةً بين عدنان وقحطان ، وبين ربيعة ومضر ، وبين بني عبد مناف وبين عبد الدار ، وبين بني هاشم وبني عبد شمس، ولا مساجلةً في مآثر الجاهلية ، وأيام العرب ، ورأى الناس بالعكس يرجعون إلى عبدٍ أسود ، قد فاق الناس في علمه وفقهه ، ويلتفُّون حوله ، ويَصْدُرون عن رأيه .

ودقَّق في حديث الناس ، وآدابهم ، وعاداتهم ، وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وعقيدتهم ، فلم ير عرفاً جاهلياً ، أو نزعةً عربيةً ، أو نعرةً قومية ، يتعلَّق بها سيد بني مخزوم ، ويقرُّ عيناً ، ورأى أنَّ الحياة القديمة قد نُسِخت وأُبطلت ، وولد مجتمع جديدٌ قام على أساسٍ من العقيدة ، والخلق ، والفضيلة ، والتقوى ، وتغيَّرت الموازين والقيم ، وتغيَّرت عقولُ الناس ونفوسُهم ، وسُمِعَ يُنشدُ في حزنٍ واستعجاب :

فما النَّاسُ بالنَّاس الذي عهدتُهم ولا الدَّارُ بالدَّار التي كُنْتُ أعْرِف

لقد أشكلت الأمورُ على سيد بني مخزوم ، وأبهمت مكة عليه ، وهو ابنُ البلد ، وسيِّدٌ من ساداتها ، فلولا البيت ، ولولا الحطيم ، ولولا الحجر ، ولولا زمزم ، ولولا المكان ، الذي كان يجلس فيه مع سادة قريش ، ويمتحنُ فيه ضعفاءَ المسلمين : لأنكر مكَّة ، وأنكر الوادي ، ورأى أنَّه قد ضلَّ الطريق .

لقد كان يرى في الدِّين « الجديد » الذي جاء به محمد ﷺ الخطرَ والضَّررَ على الدين الذي قام على تقديس القومية الضيقة ، والعصبية القرشية ، والنظام الجاهليِّ الذي يقوم على النسب والوطن ، وتفضيل الدَّم والعرق ، ويرى العالمَ كلَّه في حدود « المملكة القرشية » التي قامت في مكَّة ، ولا يُعنى بخارج هذه الحدود .

ويرى الفضل كلَّه في العرب ، فغيرُهم عجمٌ وعلوج ، لا يستحقُّون مدحاً ،

ولا يستحقُّون رحمةً ، ولا يستحقون عدلاً ، لقد كان يرى كلَّ ذلك ويتوقعه ، وكان من أشد الناس حماسةً في الدفاع عن الجاهلية ، وأصدقِ الناسِ فِراسةً في معرفة غايات الإسلام ، ولكنَّه على بعد نظره وذكائه ، لم يكن يعرف أنَّ الأمر يبلغُ بالناس هذا المبلغ ، وأنَّ الإسلامَ يؤثِّر في الناس هذا التأثير ، وأنَّ الجاهليةَ تُطرد من عاصمتها ومهدها هذا الطَّردَ الشنيع .

هاجتِ النَّخوةُ الجاهلية في أبي جهل ، وثارت روحُه ، ورئيَ متعلقاً بأستار الكعبة ، يستغيث على محمد ﷺ وينوحُ ، ويقول : « إنَّ قلوبنا ـ معشر الجاهليين ـ قروحٌ وجروح ، تسيل دماً مما صنع محمد ، فقد أطفأ نورَ الكعبة ، وحطَّ من مكانتها وقدرها ، لقد نعى قيصرَ وكسرى ، وتنبأ بزوال الملوك والسلاطين ، ونادى بأعلى صوته : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٤٠] و ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] واغتصب شبابنا ، فثاروا علينا ، وفُتنوا به وبدينه الجديد ، ساحرٌ يسحر بكلامه قلوبَ الناس وعقولَهم ، وهل كفر أعظم من قوله : « لا إله إلا الله » ، وإنكارُ جميع الآلهة التي آمن بها الناس ، وعبدوها في جميع الأعصار والأمصار ، إنَّه طوى بساط دين الآباء ، وفعل بآلهتها الأفاعيل ، لقد جعل اللَّات ، ومناة جذاذاً بضرباته الموجِعة ، فليت العالم ينتقم منه ، ويأخذَ ثأر الآلهة ، يا عجباً ! لقد جرَّد القلوب عن معبود مشهور يُرى ويُلمس ، وربطها بمعبودٍ غير مشهودٍ لا يُرى ولا يُلمس ، حتى كان هذا الإيمان بالغيب أقوى وأعمق من الإيمان بالمشهود الموجود ، هل لهذا الإيمان أساس ؟ وهل لما لا يُرى وجود ؟

أليس من الجهل والضَّلالة ، والعَمى والبلاهة سجودٌ لغائب ؟ هل يجدُ الإنسان لذَّةً وحلاوةً في ركوعٍ وسجودٍ أمام غائب ؟! .

إنَّ دينه حتفٌ للوطنية والقومية ، إنَّه من قريش ، ولكنه لا يفضِّل حرّاً على عبد ، وغنياً على فقير ، وعربياً على عجمي ، يجلس مع مولاه على مائدةٍ واحدةٍ ، ويأكل معه ، أسفاً إنَّه لم يعرف قدر العرب الأحرار ، وأكرمَ العلوجَ

والعبيدَ السُّود ، لقد اختلط الأحرار البيض بالعبيدِ السود ، واختلط الكريمُ باللئيم ، والجميلُ بالدَّميم ، وذلَّ العرب ، وذلَّ بنو قصي .

إننا لا نشك في أنَّ هذه المؤاخاة ، التي يحثُّ عليها محمد كثيراً ، مبدأٌ عجمي ، وقد تحقَّق لدينا أنَّ سلمان مزدكيٌّ ، وأنَّ ابن عبد الله خُدِع به ، وجرَّ البلاء والشقاء على الأمة العربية ، لقد جهل هذا الفتى الهاشميُّ قيمته وشرفه ، لقد أعمته هذه الصلاة التي يصليها ، هل لعجميٍّ أصلٌ عدنانيٌّ ، وهل لأعجميٍّ نطقٌ عربيٌّ ولهجةٌ مضرية ؟ عجباً لعقلاء العرب ! هبوا من نومكم ، اغلبوا هذا الكلام الذي يسمِّيه محمدٌ وحياً ، بكلامكم البليغ السَّاحر .

ولماذ لا تنطق أيها الحجر الأسود ! ولا تشهد بصدق ما نقول ! ولماذا لا تقوم يا هبل ! يا إلهنا الأكبر ! ولا تنتزع بيتك من هؤلاء الصُّباة ، أَغِرْ عليهم ، وعكِّر عليهم الحياة ، أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية ، تجعلهم أعجازَ نخلٍ خاوية ، يا مناة ! ويا أيها اللات ! فبالله ! لا ترحلا من ديارنا ، وإن رأيتما الرحيل فبالله ! لا ترحلا من قلوبنا ، وإن كان لا بدَّ من الرحيل ، فلا تعجِّلا ، وأمهلانا أياماً نتمتع بكما »[1] .

وإليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

صدرُنا نارٌ تلظَّت مِنْ مُحمَّد ... فسراجَ الكعبةِ الوضاءِ أخْمَد
وَبِهُلْكِ الرُّوم أو كسرى تغنَّى ... سَلَبَ الفتيانَ طُرّاً من يَدَيْنَا
ساحرٌ والقولُ منه ساحرٌ ... وبقولِ « لا إله » كافرٌ !
وبساطُ دينِ آباءٍ طَوَىٰ ... وأذاقَ ما عبدناه التَّوى[2]
حطَّمَ اللاَّتَ فكانَتْ كالفُتَات ... مِنْهُ فلتقتصَّ كلُّ الكائِنَات[3]

---

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الندوي ، صفحة ١٦٩ ـ ١٧٤ .
(٢) التَّوى : الهلاك .
(٣) الفتات : كسارة الشيء بعد أن يتفتت .

نـاطَ مِنْـهُ القلـب بـالغيـبِ الكَنيـن ومحا الحاضرَ بالسِّحْرِ المُبين[1]
ويعيـبُ المـرءُ للغيـبِ النَّظَـر أيـنَ شـيءٌ ليس يبدو لِلْبَصَـر[2]
الضَّـريـرُ مَـنْ لغيـبٍ يَسْجُـدُ يـا لهـذا الـدِّيـن أعمـى يُبْعـد

مـا السُّجـودُ ولـربٍّ لا يُحَـد
الصَّلاةُ مـا ارتضـاها قـطُّ عَبْـد !

فـي قـريـشٍ بـتَّ أصـلاً للنَّسـب يـا لـديـنٍ منكـرٌ فَضْـلَ العـرب[3]
الـوضيـعُ كـالـرَّفيـعِ عِنْـدَهُ لِلْخِـوانِ فَهْـوَ يـدعـو عَبْـدَهُ[4]
مـا درىٰ فضـلاً لأحـرارِ العـربْ وِدَّ أحبـاشٍ غـلاظٍ قَـدْ خَطَـبْ[5]
ولحمـرِ القَـوْمِ بـالسُّـود اجتمـاعْ يـا لعمـري عـزُّنـا هـذا مُضَـاعْ
المسـاواةُ أراهـا أعجميَّـه دانَ سلمـانُ بـديـن المـزدكيَّـه[6]
ابـنُ عبـد اللهِ مَخْـدوعٌ بـه فـأذاقَ العُـرْبَ مِـنْ تخـريبـه
وبنـي هـاشِـمَ جـافـى قـومُهـم بـالصَّـلاة فـي ظـلامِ عَيْنُهـم !
أيـنَ مِـنْ عـدنـانَ أصـلُ الأعجمـي أيـنَ مِـنْ سَحْبَـانَ صَمْتُ الأبْكَـم[7]
لخـواصِّ العُـرب عيـنٌ لا تُـرى قـمْ زهيـرٌ شُـقَّ مـركـومَ الثَّـرى[8]

---

(١) الكنين : المستور .
(٢) يقول : إن الشيء الكائن وحده هو الذي يشاهد .
(٣) بت : قطع .
(٤) الخِوان : ما يوضع عليه الطعام .
(٥) خطب الودَّ : طلبه .
(٦) لم يكن الصَّحابيُّ الجليل سلمان الفارسي على الدِّيانة المزدكية قبل إسلامه بل على الزرادشتية . والمزدكية تدعو إلى المشاع في الأموال والنساء . ولكن الشاعر هنا يبالغ في التهكم بأبي جهل وجهالته ، فيقول إنَّه توهم أنَّ النبيَّ ﷺ عرف المساواة عن سلمان ، وهو يُجري على لسان أبي جهل من الكلام ما يؤيد أنَّ أبا جهل من الكافرين .
(٧) سحبان مضرب المثال في الفصاحة عن العرب .
(٨) هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى من أصحاب المعلقات ، وجاء في سيرته أنه رأى قبل موته بعام كأنه رفع إلى السماء ثم انقطعت به الحبال . وفسر رؤياه لبنيه =

أنت في صحرائنا خيرُ الدَّليل
قُمْ وحطِّم سِحْرَ لَحْنِ جِبْرَئيل

وَحدِّثنا طويلاً يا حَجَرْ ! ما رأينا منه ؟ واصدُقنا الخَبَرْ
لَ الأعذارَ أنت يا هبل عَنْكَ ذُدْ منْ ديننا ما إنْ عَقَلْ
مْ ألقِ لذئبٍ أو هَصُور ولْيَكُنْ في نخلهم مُرُّ التُّمور[1]
رَصَراً واجعلْ هواءَ البادِيهْ إنَّهم أعجازُ نخلٍ خَاوِيَهْ
دومي ، لا تَريمي يا مناةْ أنتما فينا قلوبٌ خافِقَاتْ[2]
تَسْكُنانِ بينَ جَفْنَيْنَا الحِدَاقا
مهلةٌ إنْ كنتِ أزْمَعْتِ الفِراقا[3]

* * *

بقوله : سيكون بعدي أمرٌ يعلو من اتبعه فخذوا بحظِّكم منه . وما حال الحول حتَّى بُعِثَ النبي ﷺ . والمركوم : الذي بعضه فوق بعض .

الهصور : الأسد . والتُّمور : جمع تمر .

اللَّات ومناة : من الأصنام التي كانت العرب تعبدها في جاهليتها . لا يريم : لا يفارق مكانه .

الحِداق : جمع حَدَقة ، وهي معظم سواد العين . والشَّطر الثاني من البيت مما اقتبسه إقبال عن شاعرٍ عربي .

العلامة محمد إقبال مع نجله جاويد

القسم الثاني

فلكُ عُطارِد

امیرِ کبیر حضرت سید علی ھمدانی اور ملا طاہر غنی

شاعرِ رنگیں نوا طاہر غنی — فقرِ او باطن غنی ظاہر غنی!

شاعرِ رنگیں نوا کشمیر کا طاہر غنی! — فقر اس کا منفرد، باطن غنی، ظاہر غنی
مرشدِ روشن ضمیرِ خطۂ جنت نظیر! — میر و درویش اور سلاطین کا کبر کا مشیر!

ساعةٌ مع السَّيِّد جمال الدِّين الأفغانيِّ[1]

خرج الدكتور محمد إقبال مع شيخه ومربِّيه الروحي والفكري ـ الشيخ جلال ن الرومي ـ في سياحةٍ روحيَّةٍ فكريَّة ، ومرَّ في جولته ـ الخيالية ـ بمنازل ةٍ ، التقى فيها بشخصياتٍ ماضية ، من أصحاب الدِّيانات والفلسفات ، ةِ الفكر والرِّجالات ، وتحدَّث معهم في مسائلَ كثيرةٍ .

ومرَّ في رحلته بمنزلٍ بكرٍ ، لم يطأه آدميٌّ بقدمه ، وظهرت فيه الطبيعة الها ، وتمثلت فيه الدُّنيا بسهولها ، وجبالها ، وميادينها ، وأزهارها ، ش منذ آلاف السنين في عزلةٍ من المدنية والصناعة الإنسانيَّة ، وأعْجَبَ عرَ جمالُ الطبيعة ، ورقةُ الهواء ، وخريرُ الماء في هدوء الصَّحراء .

وأقبل إلى شيخه الرُّوميِّ ، فقال وقد قَرَعَ أذنهُ صوتٌ عذبٌ رقيق : **ما لي ع الأذان ، ولا أرى أثر إنسان ؟ فهل أنا واهمٌ ، أم حالمٌ ؟**

قال الرُّوميُّ : **إنه منزلُ الصُّلحاء والأولياء ، وبيننا وبينه نسبٌ قريب ، فقد ى فيه أبونا آدمُ يوماً أو يومين ، لمَّا هبط من الجنة ، قد شَهِدَ هذا المكانُ اتِه وأنَّاتِه في السَّحر ، وبلَّتْ دموعُه التراب ، يزورُه أصحاب المَقامات يعة ، كفضيل ، وأبي سعيد ، والعارفون الكبار ، كجنيدٍ ، وأبي يزيد ،**

هو جمال الدين الأفغانيُّ ، ذلك المصلح الدِّينيُّ ، والسياسيُّ ، والاجتماعيُّ ، ورجل الفكر الحرِّ والأدب العالي ، ومن له الرِّيادة في دعوته إلى الحقِّ ومكافحته للباطل . وكان الدَّاعي إلى التجديد في الإسلام ، راغباً في إصلاح العالم الإسلاميِّ بالرجوع إلى القرآن . بعد أن فترت عنه همم المسلمين ولم يأخذوا بتعاليمه الدَّاعية إلى شحذ الهمم وتحرير العقول ، كان الأفغاني عظيمَ الأثر ، واسع النفوذ ، دائبَ العمل في مصر على الخصوص ، توفي عام ١٨٩٨م .

فلنقُم ولنُسْرِع لندركَ الصَّلاة في هذه البقعةِ المباركة ، ونتالَ لذَّةَ الروح ، ونعمةَ الخشوع التي حُرِمناها في العالم المادِّي .

ونهضا من مكانهما مسرعين فوجدا رجلَيْن يُصلِّيان ، أحدُهما أفغانيٌّ ، والآخر من الأتراك ، ونظر فيهما ، فإذا إمام الصلاة جمالُ الدين الأفغانيُّ ، يصلِّي خلفه الأمير سعيد حليم باشا ، فقال الروميُّ : **إنَّ الشرق لم ينجب في العصر الأخير أفضلَ منهما ، وقد حلَّا كثيراً من عقدي وألغازي ، أما الإمام السيد جمال الدين ؛ فقد نفخ في الشرق الناعسِ روحَ النَّشاط ، ودبَّت بدعوته الثائرةِ الحياةُ في الأموات والجمادات ، وأمَّا الزَّعيم سعيد حليم فقد جمع بين القلب الجريح الدَّامي ، والفكر المحلِّق السَّامي ، والرُّوح القلقة ، والعقلِ الكبير المستنير ، إنَّ ركعتين مع مثل هذين الرجلين من أفضلِ العباداتِ ، وأعظم القربات .**

وقرأ السيد جمالُ الدين سورة « والنجم » فأنشأ هدوءُ المكان والزَّمان ، وشخصيةُ الإمام ، وجمالُ القرآن جواً خاشعاً رهيباً ، رقَّ فيه القلب ، وفاضت فيه العين ، وكانت قراءةً لو سمعها إبراهيمُ الخليل لأعْجِبَ بها ، ولو سمعها جِبْرئيل لأثنى عليها ، وكانت قراءةٌ تقلق النفوسَ ، وتذيب القلوبَ ، وتعلو بها صيحةُ التكبير ، والتهليل في القبور ، وكانت قراءةً ترفع الحجاب ، وتتَّضح بها معاني أمِّ الكتاب .

وندعُ محمد إقبال يحكي قصَّته ، قال : « **قمتُ بعد الصلاة ، وقبَّلتُ يده في أدبٍ ومحبةٍ وقد قدَّمني أستاذنا الرُّوميُّ إلى السيد ، وقال : إنَّه جوَّالٌ جوَّابٌ في الآفاق ، لا يستقرُّ في مكان ، ويَحْمل في قلبه عالماً من الآمال والآلام ، لم يعرفْ غيرَ نفسه ، ولم يخضع لأحدٍ ، فيعيش حراً طليقاً** » .

وأقبلَ عليَّ السيدُ جمال الدين ، فقال : **حدّثني يا عزيزي ! عن العالم الذي عشت فيه زمناً ، وعن المسلمين الذين أصلُهم تراب ، وينظرون بنورِ الله .**

قلتُ : **يا سيدي ! لقد رأيتُ في ضمير الأمَّة التي خلقت لتسخير العالم**

معركةً حامية ، وصراعاً دامياً بين الدِّين والوطن ، لقد ضعُف الإيمانُ في قلب هذه الأمة ، ففقدت روحَها ، وقطعتِ الأملَ من سيطرة الدِّين وسيادته ، فلجأتْ إلى الوطنية والقومية ، أصبح الأتراكُ والإيرانيُّون سُكارى بصهباء أوربة ونشوتها ، وأصبحوا فريسةَ كيدها ودهائها ، أصبح الشَّرقُ خراباً بحكم الغرب وسيادته ، وذهبتِ الشُّيوعيَّةُ ببهجة الدِّين وبهاء الملة .

سمعَ الأفغانيُّ كل ذلك في صبرٍ وأناة ، وفي تألُّمٍ وحزن ، ثم انفجر قائلاً : إنَّ الباقعةَ الأوربيَّ هو الذي علَّم أهلَ الدين الوطنية والقومية ، أما هو فلا يزالُ يبحثُ عن مركزٍ لجميع الشعوب والأوطان ، ولكنَّه بذر في الشرق بذورَ الخلاف والانشقاق ، وشغل شعوبه بمصرَ والشامَ والعراقِ ، فتحرَّرْ أيُّها المسلمُ الشرقيُّ ! من قيود الوطنية والقومية ، وكنْ « عالمياً آفاقياً » يعتبرُ كلَّ بلدٍ وطنه ، وكلَّ أرضٍ أرضَه ، إنْ كنتَ تميز بين « الجميل » و« القبيح » فلا تربطْ نفسك وقلبك بالتُّراب والحجارةِ والقرميد ، إنَّ الدين هو أن ينهض الإنسانُ من الحضيض ، ويعرفَ قيمةَ نفسه ، إنَّ الذي عرف « الله » وآمن به ، لم يسعه هذا العالم ، ولم ينحصرْ في الجهات ، إنَّ الحشيش ينبتُ على التراب ، ويفنى في التراب ، ولكنَّ النفس الإنسانية أسمى من أن يكون مصيرها هذا التراب ، إنَّ آدم لو خلق من ماء وطين ، فقد يأبى أن يدور حول هذا الماء والطين . إنَّ جسمه يميل به إلى الأرض ، وروحه تطير به في الأجواء الفسيحة ، إنَّ الروح لا تنحصر في الجهات ، وإنَّ « الحرَّ » لا يعرف القيود والحدود ، فإذا حُبس في « التراب »[1] اضطرب وثار ، لأنَّ الصقور لا تستريحُ ولا تهدأ في الأوكار .

إنَّ هذه الحَفْنَةَ من التُّراب ، التي نسمِّيها « الوطن » ونطلقُ عليها أسماء « مصر » و « إيران » و « اليمن » ، بينها وبين أهلها نسبٌ ؛ لأنَّ هذه الشعوب قد نهضت من أرضها ، ولمعت من أفقها ، ولكن لا ينبغي أن تنطوي على نفسها ،

---

(١) يعني به « الوطن » .

وتنحصرُ في حدود أرضها ، أما ترى إلى الشمس تطلع بسنائها ونورها من الشرق ، ولكنَّها لا تلبث أن تتحرَّر من حدود الشرق والغرب ، وتسيطرَ على العالم وتحتضِنَه . إنَّ فطرتها بريئةٌ من الشرق والغرب ، وإن كان مولدُها وظهورُها في الشرق .

أما الشيوعية يا عزيزي! فإنَّ مصدرها ذلك الإسرائيليُّ ، الذي خلط الحقَّ بالباطل ، وآمن قلبهُ وكفر عقلُه ، إنَّ الغربيين فقدوا القيم الرُّوحية ، والحقائق الغيبيَّة ، وذهبوا يبحثون عن الرُّوح في « المعدة » إنَّ الروح ليست قوَّتها وحياتُها من الجسم ، ولكنَّ الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة والبطن » ، وديانةُ « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون . إنَّ الأخوة الإنسانية لا تقوم على وَحْدة الأجسام والبطون ، إنَّما يقوم على محبَّة القلوب ، وألفة النُّفوس .

إنَّ المُلوكيَّة سمنٌ يطرأ على الجسم ، صدرُها مظلمٌ خاوٍ ، ليس فيها قلبٌ خفَّاق ، إنَّها كالنحلة تجلس على كلِّ زهرة ، وتتشربُ منها الرُّضاب ، وتغادرها إلى زهرةٍ أخرى ، وتبقى هذه الزَّهرات بلونها وشكلها ورائحتها ، ولكنَّها أوراقٌ بالية ، وحشائش ذاوية ، كذلك المُلوكية تستحوذُ على الشعوب والأفراد ، وتمتصُّ منها دماءها ، وتتركُها أجساداً هامدة .

إنَّ « الملوكيَّة » و « الشيوعية » تلتقيان على الشَّره والنَّهامة ، والقَلق والسآمة ، والجهل بالله ، والخداع للإنسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج »[1] ، وعند الملوكية « خراج » ، والإنسانُ البائسُ بين هذين الحجرين قارورةُ الزُّجاج ، إنَّ الشيوعية تقضي على العلم ، والدين ، والفنِّ ، والمُلوكية تنزع الروحَ من أجسام الأحياء ، وتسلُبُ القوتَ من أيدي العاملين والفقراء ، لقد رأيت كلتيهما غارقتين في المادَّة ، وجسمُهما قويٌّ ناضر ، وقلبُهما مظلمٌ فاجر .

---

(١) يعني : تجرُّد من العقائد ، والعواطف ، والآداب ، والحضارات .

ألا ! منْ يبلغُ « روسيا » أنَّ القرآن وتعاليمه في وادٍ والمسلمين في وادٍ ، لقد انطفأت شرارةُ الحياة في صدورِ المسلمين ، وانقطعتْ صلتُهم عن النَّبيِّ ﷺ إنَّ المسلم اليوم لا يؤسِّسُ حياته ، ولا ينظِّمُ مجتمعه على مبادىء القرآن ، وقد أفلس لذلك في الدِّين والدنيا ، لقد ثَلَّ عَرْش قيصر وكسرى ، ونعى على ملوكيتهم ، ونصب لنفسه عرشاً ملوكياً ، وتربَّع عليه ، واقتبس من العجم الملوكية وأساليبها ، وبذلك تغيَّر نظرُه إلى الحياة ، وتغيَّر منهج تفكيره .

لقد حطَّمت « القيصريةُ والكسرويةُ » مُثُلَ المسلمين في العصر القديم ، فاعتبري أيتها الأمة الرُّوسية ! من تاريخنا ، عليك بالثباتِ والاستقامة في معركة الحياة ، فإذا كنت قد كسرت هذه الأصنامَ « الملوكية والوطنية » فلا تعودي إليها ، ولا تطوفي حولها مرَّةً ثانية . إنَّ العالم اليوم يطلب أمةً تجمع بين التبشير والإنذار ، وبين الرَّحمة والشدَّة ، فاقتبسي من الشرق ديانته وروحانيته ، لقد أصبحت دياناتُ الإفرنج ودساتيرُهم عتيقةً باليةً ، فلا تعودي إليها مرَّة ثانيةً ، لقد أحسنت إذ ألغيت الآلهة القديمة ، وقطعت مرحلة النفي « لا إله » فعليك أن تبدئي مرحلة الإثبات « إلا الله » ، وهكذا تكمِّلين مهمَّتَك ، وتُتمين رحلتك العظيمة ، إنَّك تبحثين عن نظامٍ للعالم ، فعليك أن تبحثي له عن أساسٍ مُحْكمٍ ، وليس هو إلا الدينُ والعقيدةُ .

لقد محوت يا روسيا ! أساطيرَ الأولين أسطورةً أسطورة ، فعليك أن تدرسي الآن القرآن سورةً سورةً ، وما أدراكِ ما القرآن ؟ إنَّه نعيٌ للملوكية والسُّخرة ، وحتفٌ للاكتناز والأثرة ، وحياةٌ للصعلوك ، وبشرى للملوكِ ، إنَّه يذمُّ الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، ويحثُّ على إنفاق كلِّ ما فضل عن حاجة الإنسان ، ويقول في صراحة : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] إنه يحرِّم الربا ، ويحلُّ البيع ، ويحثُّ على القرض الحسن ، وهل يتولَّدُ من الربا إلا الشرورُ والفتن ، والقساوةُ والضَّراوة ؟ إنَّ اكتساب الرزق من الأرض جائز ، فكلُّ ما في الدنيا ملكٌ لله تعالى ، ومتاعٌ

للعبد ، والإنسانُ أمينٌ في مال الله ، ووصيٌّ على أرضه ، وخلقه ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد : ٧] ، قد انتكست رايةُ الحقِّ بطغيان الملوك ، وخربت القرى والمدنُ بظلمهم ، وعبثهم . إنَّ المبدأ الذي يقرِّره القرآن : أنَّ قوت بني آدم من مائدةٍ واحدة ، وأنَّ الأسرة الإنسانية كلَّها كنفسٍ واحدة[1] .

إنَّه لما قامت دولةُ القرآن ، اختفى الرُّهبان والكهَّان ، أقول لك ما أُؤمنُ به وأدين : إنه ليس بكتابٍ فحسب ، إنَّه أكثر من ذلك ، إذا دخل في القلب تغيَّر الإنسان ، وإذا تغيَّر الإنسان تغيَّر العالم . إنَّه ظاهر ومستترٌ ، كتابٌ حيٌّ خالدٌ ناطقٌ ، إنَّه يحتوي على جدود الشعوب والأمم ، ومصير الإنسانية .

لقد ابتكرتِ تشريعاً جديداً ودستوراً جديداً ، فجديرٌ بك أنْ تنظري إلى العالم بنورِ القرآن نظراً جديداً »[2] .

* * *

والآن إليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً :

يقول إقبال :

التـــرابُ كـــلُّ مخلـــوقٍ شـــأى ... وتجلِّيـــه جليـــاً قـــدْ رأى[3]

أبكـــانَ أم يكـــونُ سقطتـــي ... والـوجـودُ قَنصتْ أحبـولتـي[4]

أنـا فـي الـزرقـاء لـي شقـاً شققتُ ... إنَّنـي منهـا وإيَّـاهـا مَلَكْـتُ[5]

أفـــؤادي فـــي حنـــوٍّ عـــانقـــت ... أم أراهـا منـه فـي الصَّـدرِ ارتمـت

---

(١) قال الله تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨] .

(٢) مأخوذ عن « روائع إقبال » لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدوي ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٣) شأى : تفوَّق على غيره .

(٤) السَّقطة : المرَّة منَ الوقوع والتردِّي . وَقَنص : اصطاد . والأحبولة : المصيدة .

(٥) الزرقاء : السماء .

ما الذي يخفى وما شيءٌ ظَهَرْ ... لستُ أدري كُنْهَ ما تَحْتَ البَصَر
في سماء غيرها طيراً خفقتُ ... فرأيتُ عالماً ما إن رأيتُ
عالمٌ بالبرِّ والدَّأماء مُفْعَمْ ... منْ ثرانا إنَّه خيرٌ وأقْدَمْ[1]
عالمٌ منْ بَعْضِ أرماءٍ ظَهَرْ ... ليس للإنسانِ فيهِ مِنْ أثَرْ[2]
ما عَلَيْهِ صورةُ لوحِ الوجود ... ليسَ للفِطْرَة من نقدٍ حَديد[3]
قلتُ للرُّوميِّ يا حسنَ اليَبَابْ ... في الجبال حبذا هَدْرُ العُبَابْ[4]
أينَ آثارُ الحياة هاهنا ؟ ... والأذانُ فاضَ مِنْه سَمْعُنا ![5]
قال لي « هذا مقامُ الأولياء ... أرضُنا والأرضُ في فيءِ الإخاء[6]
آدمٌ عنْ خُلْدِهِ حينَ ارْتَحَلْ ... ذلك العالَمَ يوماً فيه حَلْ
ورأى هذا الفضاءُ زفْرَتَهْ ... وبفجرٍ وهو يشكو ، رنَّتَهْ[7]
زائروه منْ خواصِّ الكُمَّلِ ... كلُّهمْ في قومِهِ هذا العَلي
بوسعيدٍ والفضيلُ بينهمْ ... بايزيدُ والجُنَيْدُ عِنْدَهمْ[8]

---

(١) الدأماء : البحر .
(٢) الأرماء : جمع رمي ، هو السَّحابةُ الصَّغيرة .
(٣) النقد الحديد : النقد الشديد الحاد .
(٤) اليباب : الخراب . والعباب : الموج .
(٥) يعجب الشاعر لوجوده في أرض خراب ، ومع ذلك يسمع صوت المؤذن .
(٦) الفيء : الظلُّ .
(٧) الرَّنةُ : الصَّوت ، أو صوتُ القوس .
(٨) أبو سعيد بن أبي الخير من مشاهير المتصوفة في أوائل القرن الخامس الهجري . وممن أذاعوا بين الناس في خراسان نظرية وَحْدة الوجود . وله رباعيَّات يعبِّر فيها عن مذهبه الصُّوفي وهو رقيقُ المعاني أصيلُ الشاعرية . والفضيل شيخ الحرم المكي كان في الحديث ثقةً ، أخذ عنه خلقٌ كثير منهم الشافعيُّ . وهو في عداد زهاد المسلمين كانت وفاته عام ١٨٧هـ وبايزيد أو أبو يزيد البسطامي أوَّلُ صوفي نسبت إليه الشطحات ، وأراد ابن تيمية أن يدّفع عنه غلوه في شطحاته ، وتوفي عام ٢٦١هـ. أما الجنيد فصوفيٌّ بغداديٌّ مرموقُ المنزلة من أهل الصَّحو لا أهل السُّكْر ، أي أنَّه لم يكن من غلاة =

قُمْ معي كيما نصلي ركعتين
ونذابُ برهةً أو برهتين »

إنَّما الرومـيُّ دوماً في الحضور ... مشرقُ الطَّلعةِ ذوقاً في السُّرور
قال : « إنَّ الشرق قطُّ ما وَلَدْ ... مثلَ هذين فقدْ حلاَّ العُقَدْ
سيِّدُ السَّادات مولانا جمال ... منه يحيى الطِّين والصَّخرُ المقال
ورئيسُ التُّرك منْ يُدْعى حليما ... كانَ في فكرٍ وفي جاهٍ عظيما
مَعَ هذين الصَّلاةُ طاعةٌ
وجزاءُ منْ يُصلِّي جَنَّةٌ

سورةُ النَّجم تلاها شيخُنا ... غَمَرَ الصَّحراء صَمْتٌ هاهنا
ويثيرُ اللَّحنُ وَجْداً في الخليل ... وكذا في عمقِ رُوْحِ جِبْرئيل
ويذودُ الصَّبْرُ عن قلبٍ صَبُور ... يرفعُ « إلا الله » منْ كلِّ القبور
يَهَبُ النَّار دخانَ الزَّفْرَة ... وَلداودَ ضِرَامُ السَّكْرَةِ
وبذا اللَّحنِ الظُّهورُ للغياب ... وارتفاعُ السِّتْرِ عنْ أمِّ الكتاب
والصَّلاةُ بَعْدَ أنْ تَمَّتْ نَهَضْتُ ... ويَدَيْهِ في خشوعٍ قَدْ لَثَمْتُ
قال « هذي ذرةٌ تَطْوي الفَلَكْ ... عالمٌ مِنْ حُرْقَةٍ فيها اعْتَرَكْ[1]
ذاتُها منها تَلَقَّتْ نظرةً ... لمْ تَهَبْ قلباً وكانَتْ حُرةً
وحثيثٌ في الوجودِ سيرُها ... زنده رودٍ إنَّني سمَّيتُها[2]

* * *

= المتصوِّفة ، ويعدُّ أولَ المتكلمين في التوحيد ببغداد ، وكانت وفاته عام ٢٩٧هـ .

(١) اعترك : اختلج واضطرب .

(٢) زنده رود في الفارسية بمعنى النَّهر الحي ، وهو اسمُ نهرٍ عظيم يجري بمدينة أصفهان في إيران . ولكن الشاعر آخذ عن الشاعر الألماني كوته في منظومةٍ له بعنوان « نشيد محمد » وقد عرفها إقبال وترجمها ، وفيه يشبِّه الشاعر الألماني روح النُّبوَّة بالنَّهر المتدفق المزبد ، كما قال المستشرق الإيطالي باوزاني .

الأفغانيُّ

ده رود ، تِلْـكَ دنيـانـا تكلَّـمْ أرضَنا صِفْ أو سمانا أنْتَ أعْلَمْ
ا تُـرابيَّـاً سمـاويَّ البَصَـر أمَّـةُ الإسـلامِ عنهـا مـا الخبـر ؟

زنده رود

ـةٌ قـدْ دوَّخَـتْ كـلَّ الأمـم فيهـا فكـرُ الـدِّيـن والأوطـانِ عـمْ
ـوتُ الـرُّوح مِـنْ ضَعْـفِ اليَقيـنْ بـأسُهـا مـنْ قـوَّةِ الـدِّيـن المبيـن
ـرَنْـجُ المسلميـنَ أسْكـرُوا وبِشَـصٍّ فـي الحُلـوق جـرَّروا[1]
نُفُوذِ الغَرْبِ في الشَّرق الخراب والشُّيـوعُ لانحطـاط الـدِّيـن بـاب

* * *

الأفغانيُّ
الدِّين والوطن

ٌ لـوردِ الغَـرْبِ كـمْ أعيـا الفطَـنْ فطَّـنَ القـومَ بمعنـىً لِلْـوَطـن[2]
كـزاً يبغـي وأنـت فـي النِّفـاق انسَ حتَّى الشَّام ، دَعْ أمْرَ العراق
تَ إنْ أدْرَكْـتَ مـا خيـرٌ وشـرْ فَلْتَفُـكَّ عنـك قيـداً مـن حجـر[3]
هـو الـدِّيـن ؟ القيـامُ مـن ثـرى ذاتَـه القلـبُ الطَّهُـورُ كـي يـرى
« هُـو » مـنْ قـالهـا قـولًا يجـود لم تَعُدْ تحويهِ هاتيْكَ الحدُودْ[4]

الشصُّ : حديدةٌ معقوفةٌ يُصاد بها السَّمكُ حين يتعلَّق من فمه . يقول إقبال : إنَّ الأوربيين خدعوا العرب ، والفرس ، والترك ، وجذبوهم إليهم كما يجذبُ الصيَّادُ السمك .

فطن : فهم .

يريد بالحجر المنازل التي تتألف منها المدن .

يجود : يحسن .

قشَّةٌ في الأرضِ قامت منْ تُراب ... ويلُ روحٍ في التُّراب منْ تَبَابْ[1]
يُخلقُ الإنسانُ مِنْ ماءٍ وطِيْن ... لونُهُ كالوَرْدِ منْ ماءٍ مَعِيْن[2]
بئسَ للإنسانِ في الطِّينِ الدَّوام ... إنْ بِهِ لمْ يَعْلُ ذيَّاكَ المَقَامْ
يا حكيمُ ، الرُّوحُ تسمو عن جهاتْ ... ضاقَ حرٌّ بقيودٍ مُثْقَلات

من ظلامِ الأرض حرٌّ قد يَثُوْرْ
ما كفأرٍ فَعَلَتْ تِلْكَ الصُّقُورْ !

قَبْضَةُ الطِّينِ تسمِّيها الوطن ... دَعْكَ مِنْ مِصْرَ وفُرْسٍ واليَمنْ[3]
بينَ أوطانٍ وقومٍ نسبةٌ ... إنَّهم في الأرض منها نَبْتةٌ
أنْتَ إنْ أمْعَنْتَ في هذا النَّظَرْ ... دقةً أدْرَكْتَ دَقَّتْ كالشَّعَرْ
فَمنَ الشَّرْقِ ذُكاءٌ تَطلُعُ ... باجتراءٍ وَتَجلٌّ تَسْطع[4]
في عذابٍ واصبٍ منْ نارِ قَلْبِ ... عِنْدَ فَكِّ القَيْدِ منْ شَرْقٍ وَغَرْبِ[5]
بالتَّجَلِّي أسْكِرَتْ في شَرْقها ... أفقاً ما أفْلَتَتْ منْ غَزْوها

مِنْهُما قد قطَّعت أصلَ السَّبَبْ
إنَّها للشَّرق لَكنْ في النَّسَبْ[6] !

* * *

الشُّيوعيَّة والرأسماليَّة

صاحبُ « المالِ » سليلٌ لِلْخَلِيلْ ... وبلا جِبْريلَ أضحى كالرَّسول[7]

---

(١) التباب : الهلاك والخراب .
(٢) المعين : الجاري .
(٣) الفرس هنا بمعنى بلاد الفرس .
(٤) ذُكاء : الشمس .
(٥) الواصبُ : الدائم .
(٦) يقول : إنَّ الشمس قطعت كلَّ صلةٍ بينها وبين المشرق والمغرب .
(٧) يريد كارل ماركس صاحب كتاب رأس المال .

لٌ ، في الزَّيْغِ حقّاً يُضْمرُ مؤمنُ القَلْبِ بعقلٍ كافِرُ
هلَ الغربِ أفلاكاً أضاعوا طلبوا الرُّوح ببطنٍ حينَ جاعوا !
ستمدَّ الروحُ حسناً منْ جَسَدْ وعلى الجِسْمِ الشُّيوعيُّ اعْتَمَدْ
لُه في كُفْرِه هذا المُبين ليس إلا في مساواة البُطون

في صميمِ القَلْبِ ذيَّاكَ الإخاءْ
ما احتوى أصلاً له طينٌ ومَاءْ[1]

ـومُ بالثَّراءِ سُمِّنَتْ والصُّدورُ مِنْ قلوبٍ جُرِّدَتْ[2]
لَهُ الزُّنْبُورُ يرعى وردَهُ ثم يمضي ، نالَ مِنْهُ شَهْدَهُ
ضنَ الوَرْدِ هذا حُسْنُهُ ولهُ البُلْبُلُ هذا لَحْنُهُ[3]
نْ جمالٍ رَاقَ فَلْتَطْوِ النَّظَرْ اقْصِدِ المعنى وَدَعْ عَنْكَ الصُّوَرْ

أنْ ترى لِلْقَلْبِ موتاً يَصْعُبُ
أنْ تسمِّي الطِّين وَرْداً يَكْرُبُ[4]

انِ الرُّوْحَ ندَّ صَبْرُها تَخْدَعُ النَّاسَ ويَبْدُو كُفْرُها[5]
ا العيشُ الخروجُ والخَرَاجْ حَجَران ، والورىٰ هذا الزُّجَاجْ[6]
ذه ديناً وعلماً حَطَّمَتْ تِلْكَ روحاً ورغيفاً حَرَّمَتْ
ا في الماءِ والطِّينِ الغَرَقْ أظْلَمَ القَلْبُ وذو الجِسْمِ ائْتَلَقْ

والحياةُ الاحتراقُ والعَمَلْ

يقول : إنَّ الإخاء في الروح لا في الجسد .

يراد بالثراء الرأسمالية .

درج شعراء الفرس على قولهم : إنَّ البلبل يَعْشقُ الوردة ، ويغني لها ، وهم يشبهون بالبلبل عاشق الذَّات الإلهية .

كل في الفارسية بفتح الأول بمعنى الوردة وبكسره بمعنى الطين ، ولبلغاء الفرس ولوع بذكر هذين الاسمين على أنهما رمز للنقيضين . ويكرب : يثير الحزن .

يتحدَّث الشاعر عن الشُّيوعية والرأسمالية . ونَدَّ : بعد .

يريد بالخروج والخراج : الإنتاج ودفع الضريبة .

والسُّـوَيْـداءُ لِتُلْقَـىٰ فـي الـوَحَـلْ[1]

***

سعيد حليم باشا[2]
الشَّرقُ والغربُ

إنَّ في الغَرْبِ الذَّكا أصلُ الحياة ... والهوى في الشَّرْقِ سرُّ الكائنات
وبعشـقٍ يَعْـرفُ اللهَ الـذَّكـاء ... ولعشـقٍ بـالـذَّكـاء ذا العَـلاء
وإذا العِشْـقُ الـذَّكـاءَ صـادقـاً ... عـالمـاً آخَـرَ قَطْعَـاً حقَّقـا
انْهَضَـنَّ العـالَـم الثـانـي اصْنَعَـنْ ... بـالـذَّكـاءِ ذلـكَ العِشْـقَ امْـزُجَـنْ
لِلْفِـرَنْـجِ شعلـةٌ قَـدْ بُلِّلَـتْ ... قَلْبُهـم مـاتَ وعيـنٌ فُتِّحـتْ
جُـرِّحـوا لكـنْ بحـدِّ سَيْفِهـمْ ... يـا لَهُـمْ صَرْعَىٰ كَمِثْلِ صَيْدِهِم[3]
نشـوةً مـنْ كـرْمِهِـمْ لا تَطْلُبَـنْ ... جِـدَّةً مـنْ عَصْـرِهـمْ لا تَـأْمُلَـنْ[4]
للحيـاةِ النَّـارُ فلتُشْعَـلْ بنـارِكْ
اصْنَـعِ العـالـمَ وارْفَـعْ مـنْ مَنَـارِكْ
و « كمـالُ » حِيْـنَ نـادىٰ بـالجـديـدْ ... قـالَ : إنَّ المَحْـوَ لِلْعَهْـدِ العهيـدْ[5]
لَيْـسَ لِلْكَعْبَـةِ تَجْـديـدُ الحيـاة ... إنْ أتـى الكعبـةَ غـربـيٌّ بِـلاتْ !
مـا تَغَنَّـى التُّـركُ مـا قـالـوا نشيـدا ... بـلْ قـديـمُ الغَـرْبِ سَمَّـوْهُ الجديـدا

---

(١) السُّويداءُ : حبَّة القلب .

(٢) هو سعيدُ حليمُ باشا الصَّدر الأعظم الذي قتل عام ١٩٢١ في روما . ولقد فَرَضَ إجلاله حتى على خصومه لِسَدادِ رأيه ، ورجاحة عقله . والجامعُ بينه وبين الأفغاني أنَّ كلاًّ منهما صاحب نزعةٍ إسلاميَّةٍ إصلاحيَّة .

(٣) الصَّيد : ما يصاد .

(٤) الكرم : شجر العنب .

(٥) كمال هو مصطفى كمال أو كمال أتاتورك رائد تركية الحديثة . والعهيد : القديم .

سٌ آخـــرُ فيهـــم مـــا خَفَـــقْ ... عـالـمٌ فـي القلـب منْهُـمْ مـا انْبَثَـقْ
ـــوا العـــالـــمَ هـــذا لا جَـــرَمْ ... فيـه ذابـوا شمعـةً تَحْـتَ الضَّـرَمْ[1]
الصَّميـمِ طُـرْفـةٌ للكـائنـات ... لـمْ تَكـنْ تقييـد تقـويـم الحيـاة[2]
ـيَّ القلـبِ خـلاَّق الـدُّهـور ... ومـــنَ التقليـــد كـــانَ ذا النُّفـــوْ
ـــاً إنْ كُنْـــتَ ذا عقـــلٍ منيـــر ... في الكتابِ انظرْ وفي هذا الضَّمير[3]
دُنـى تَظْهـرُ فيـه مـنْ سُتُـوْ ... والعصـــورُ مَـرُّهـــا تلـــوَ العُصـــور
نيـــا مِنْـــهُ تكفـــي عَصْـــرَنـــا ... إنْ عَقَلْـــتَ أنـــتَ فـــاجْعلهـــا لنـــا
ـــنُ الإنســـانُ مـــن آيـــات ربِّـــه ... كـــلُّ دُنيـــا يَـــرْتـــديهـــا مِثْـــلُ ثـــوبـــه
دنيـــاهُ رثَّـــتْ ثـــوبهـــا ... قـــدَّم القـــرآنُ دنيـــا غَيْـــرَهـــا[4]

* * *

زنده رود

زورقٌ نَحْـــنُ بـــلا هـــدي جـــرىٰ
عـــالـــمُ القـــرآنِ أيـــنَ ؟ مـــن درىٰ

الأفغانيُّ

ـمٌ فـي صـدرنـا هـذا اختفـى ... فـي انتظـارِ « قُـمْ » لإنسـانٍ غفـا
ـسَ فيـــه أيُّ لـــونٍ أو دِمـــاء ... مـــا لغـربٍ مـــا لَـــدَيْـــهِ مـــنْ بَهـــاء

---

(1) الضَّرم : الحطب المشتعل والمراد به هنا النار .
(2) الطُّرفة : الشيء العجيبُ النادر .
(3) الكتاب : القرآن .
(4) رثَّ الرجل ثوبه : جعله رثاً أي غير صالح .

ليس فيه مِنْ ملوكٍ أو عبيد ... مثلُ قلبٍ في خلوٍّ منْ حُدُود[1]
عالمُ الحُسْنِ ، ومنْ فَيْضِ النَّظر ... بذرُه ألقي بقلبٍ منْ عُمَرْ[2]
سرمديٌّ فيه أحداثٌ تَدُومْ ... محكماتٌ فيه تهدي منْ يَرُومْ[3]
لا يهابُ باطنٌ فيه التَّغَيُّرْ ... ولهُ الظَّاهرُ دوماً في التطوُّرْ
بينَ جنبيكَ ، عليكَ بالنَّظر
محكماتٌ ، ألق سمعاً للخبر[4]

***

مُحْكماتُ العالَمِ القُرآنيِّ
خلافةُ الإنسان

أثرُ العِشْقِ بدا في العالَمِيْن ... ويرى في المرءِ منَّا رأي عَيْن
ليسَ سرُّ العِشْقِ من دنيا الرَّحم ... ما إلى سامٍ وحامٍ يَحْتَكِمْ[5]
كوكبٌ ، ما منْ شروقٍ أو غروبْ ... لا ولا يَدْري شمالاً مِنْ جَنُوْب
قول ﴿ إني جاعل ﴾ تقديرُه ... بَيْنَ أرضٍ وسما تفسيرُه[6]

---

(١) يشبه هذا العالم بقلب المؤمن الذي يخلو من الحدود .

(٢) يذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أسلم بعد أن ألقى نظرة على آيةٍ قرآنية ، وهو يهمُّ بقتل أخته التي كانت قد أسلمت سراً .

(٣) السَّرمديُّ : الدائم الخالد . والمحكمات : الآيات التي أحكمت فلا تمس حاجة سامعها إلى تأويلها لبيانها كقصص الأنبياء . ويقابلها المتشابهات .

(٤) أي أن هذا العالم في داخلك وبين جنبيك . فانظر في نفسك واستمع إلى الآيات المحكمات .

(٥) الرَّحم : القرابة . وسام أحد أبناء نوح ؛ وينسب إليه الجنس السَّامي ، وكذلك حام وهو أبو السُّودان .

(٦) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا=

ـاة مِنْـهُ كـانـتْ والـرَّدى نـورَ دُنيـانـا ونـاراً أوْجَـدا
ـامُ والصَّـلاةُ والحَـرَمْ والمِـدَادُ والكِتـابُ والقَلَـمْ
ـهُ يُمسـي رُويـداً ذا الحضـوزْ مُلْكُـهُ مـا فيـهِ حَـدٌّ أو ثُغُـوزْ
ـهُ كـانَ اعْتبَـارُ الكـائنـات واعتـدالٌ فيـهِ قـاسَ المُمْكِنـات
لـه بحـراً بـلا شـطٍّ يفـور قلبُـه قـد أُغـرقـتْ فيـه الـدُّهـور
ـا الإنسـانُ دُنيـا قـدْ وَسِـعْ هـذه الـدُّنيـا لَـهُ لـمْ تَتَّسِـعْ
لَّـى فـإذا نـورُ السَّمـاء واختلىٰ يـوماً فجبرائيـلُ نـائي[1]

وعـنِ الأفـلاكِ أعلـى قَـدْرَهُ
والحميـدُ مـنْ تغنَّـى شُكْـرَهُ

الحيـاةُ يـا بصيـرٌ هـل فَهِمْتَـا أنْ تُـرى اثنيـنِ ، وَفَـرِّدْ مـنْ عَشِقْتَـا
ـطُ الجنسيـنِ موصـولُ الصِّلات يَـرْسُمـانِ شـوقَ تِلْـكَ الكـائنـات[2]
ـلُ المـرأةُ نيـرانَ الحيـاة طبعُهـا لـوحٌ لأسـرارِ الحيـاة[3]
رَمَـتْ فـي الـرُّوح منهـا نـارَنـا جـوهـرٌ فيهـا أتـمَّ خَلْقَنَـا
ـناتُ العَيْـشِ مِنْهَـا في الضَّمير وثباتُ العيشِ في وَهْجِ الشُّعور[4]
غِـبْ عـن هـذه النَّـارِ الشَّـرَرْ لـمْ يَلُـحْ جسـمٌ وروحٌ للنَّظَـرْ
لنـا مـنْ قيمـةٍ ، منهـا لنـا رَسَمتْنَـا وأجـادتْ رَسْمَنـا

إنْ حبـاكَ اللهُ عقـلاً لِلتَّفَكُّـرْ
طهِّـرِ النَّفْـسَ بتقـديـسٍ لهـا انْظُـرْ

ـدَ الإيمـانُ فيـكَ عَصْـرَنـا يَكْشِـفُ السِّـرَّ الخفـيَّ قـولُنـا

﴿ نَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ومعنى استخلاف الله آدم في الأرض أنه سيكون له سلطانٌ عليها ، وسيتصرَّف في موادها ليجعلها ملائمةً لحاجاته .

يقول : إنَّ جبريل لم يقتحم عليه عزلته .

الجنسان : المراد بهما الرجل والمرأة .

اللوح : ما يكتب فيه .

الوهج : اشتعال النار .

فـي الجسـومِ الخلـقُ نـارٌ تَتَّقِـدْ أيُّ فـردٍ حـولَهـا لـمْ يَسْتَفِـدْ ؟
مـنْ يَنَـلْ مـنْ هـذهِ النَّـارِ النَّصيبـا يَجْعَـلِ النَّفسَ على الفِعْـلِ الرَّقيبـا
إنَّـه ذو الـرأي فيمـا قـدْ عَمِـلْ لا يـرى الغَيْـر وَلٰكـنْ يَعْتمـلْ[1]
مُـدَّةً فـي الغـارَ ظـلَّ المصطفـى غَيْـرَ آثـارٍ لـذاتٍ مـا اقتفـى
رَسْمَنـا قـد أغـرقـوا فـي مُهْجَتِـه وأقـامـوا أمـةً مـنْ خَلْـوَتِـه
وعلـى إنكـار ربٍّ إنْ قَـدَرْنـا كـلُّ فضلِ المُصْطفى حتماً عَرَفْنَا
لـو أنـارتْ فيـك روحٌ كـالكليـم لَشَقِيْـتَ أنـتَ بـالفِكْـرِ العَقِيْـم
فـالخيـالُ فيـك تحيـي عـزلـةٌ
ثـم تـأتـي بعـد بحـثٍ ضـالَّـةٌ[2]
مـن مقـامـاتٍ لنـا علـمٌ وَشَـوْق لهمـا فيمـا جـرى لِلْقَـوْمِ حَـقْ
بهجـةٌ لِلْعِلْـمِ تحقيـقٌ دقيـق متعـةٌ لِلْعِشْـقِ خَلْـقٌ قـدْ يَلِيـقْ
صـاحـبُ التَّحقيـق رامَ المُنْجلـي صـاحـبُ الخَلْـقِ بـذاتٍ يَخْتَلـي
عيـنُ مـوسـى رؤيـةَ الـدُّنيـا أرادتْ وإليهـا رغبـةَ التَّحقيـق سَـاقَـتْ
﴿ لن تراني ﴾ إنَّها المعنى الدَّقيق وَلْتَضِعْ فيـهِ فـذا البحـرُ العَمِيـق[3]
إنْ تَلُـحْ للعيـنِ آثـارُ الحيـاة تستمـدُّ النبـعَ جـوفَ الكـائنـات
هـذه الآفـاقُ بـالعيـنِ ارْمُقَـنْ وتجلِّـي ربِّهـا لا تَطْلُبَـنْ

---

(١) اعْتَمَلَ : عَمِلَ عملاً يتعلّق به دون سواه . والمبتكر : المجدِّد لا يقلِّد غيره .

(٢) الضَّالة : الناقة الضائعة التي لا يعرف لها صاحب . والمراد هنا ما يراد معرفته .

(٣) الشاعر يريد قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وقد تضاربت أقوال المفسرين في معنى تلك الآية الكريمة . وفي شعرٍ لجلال الدين الرُّومي : أنَّ الله خالقُ الوجود من العدم ، والرؤية لا تكون إلا لما ظهر وخلق .

خلـــوةٌ تحفـــظُ كـــلَّ مَـــنْ صَنَـــعْ
جـوهـراً فـي خـاتـمٍ كـانـت لَمَـعْ[1]

* * *

الحكمُ الإلهيُّ

عبـــدَ اللهِ لا يبغـــي المقـــامـــا ... مـــا لـــه عبـــدٌ ولا كـــانَ الغُـــلامـــا
ـه حـــرٌّ وذو نَفـــسٍ زكيَّـــة ... مُلْكُـه هـذا مـن المـولـى عَطِيَّة[2]
ـه والعُـــرْفُ مـــنْ ربٍّ كـــريـــم ... حُلْـــوُهُ والمـــرُّ مـــنْ ربٍّ عظيـــم
ـازَ عقـــلٌ فـــي الغـــرورِ حـــدَّهُ ... ولـــه النَّفْـــعُ تمنَّـــى وَحْـــدَهُ[3]
ـز كـلِّ النَّـاسِ يبغـي وحـيَ ربِّـي ... ويـــرى الخَيْـــرَ نـــداءً كـــيْ يُلَبِّـــي
ـونُ السِّلْـمُ أو حتَّـى المَصَـافْ ... لا يـراعـي منصفٌ بـل لا يَخَـافْ[4]
الإنســـانُ أضْحـــىٰ آمـــرا ... كـــانَ لِلْمِسْكِيْـــنِ حتمـــاً قـــاهِـــرا
ومـــنَ القَهْـــرِ صُـــدُوْرُ أيِّ أمْـــر
ولغيـــر اللهِ أمْـــرٌ مَحْـــضُ كُفْـــر
ـرٌ بـــالأمـــرِ زكَّـــى عَقْلَـــهُ ... مـــنْ قـــوانيـــن بنـــى حصنـــاً لـــه
صقـــراً فـــي ذُرىٰ جـــوٍّ يَطِيْـــرِ ... صعـــوةً فـــي أمْـــرِه قـــدْ يَسْتَشِيـــرْ[5]
ـره القـانـون ، مفقـودُ البَصِيْـرَة ... يضعُ الإثْمدَ في العَيْنِ الضَّريرة[6]

يقول : إنَّ الخلوة تحمي كلَّ من أوجد شيئاً ، وهي فصٌّ من الجوهر لخاتمه .
الزكية : الطاهرة .
جاز : تجاوز .
المصاف : الموقف في القتال .
الذُّرى : جمع ذروة وهي أعلى الشيء . والصَّعوة : أنثى الصَّع وهو عصفور صغير .
الإثمد : الكحل .

صاحبُ الأرضِ البدين ، كان شِرْعَه
والنَّحيـلُ زارعٌ مـا اقتـاتَ زَرْعَـه[1]

ما في الغربِ حقّاً حُكْمُهُمْ ويزيدُ الميتَ موتاً صُوْرُهم[2]
رونَ ، خَدْعُ دَهْرٍ خَدْعُهُمْ من شعوبِ الأرضِ كان نَرْدُهُمْ[3]
رقُون ، ذا ثريٌّ ذاكَ كَادِح بالعداءِ بعضُهم للبعضِ كاشِحْ[4]
فُ السرَّ جليّاً قولُنا سلعةٌ نحنُ وَهُمْ تُجَّارُنا
مْ في المالِ حُبّاً قد جَمَدْ كلُّ أمٍّ آدَها ثِقْلُ الوَلَد[5]
مْ ! خوفاً على حُلْوِ الثَّمَرْ يُخْرِجُون الماءَ منْ جِذْعِ الشَّجرْ !
لا يبعثُ العُودُ الرَّنينا في البطونِ قَتَلُوا حتَّى الجنينا
دَهُمْ منْ كلِّ فنٍّ كثرةٌ كلُّ ما حصَّلْتَ منهم عَبْرَةٌ

يا أسيراً كانَ مِنْ تقليدِهم
الكتابَ اقرأ ، وَعُدْ منْ أسْرِهم[6]

* * *

الأرضُ ملكٌ للهِ

الإنسانُ في شرقٍ وَغَرْب لامتلاكِ الأرضِ في حربٍ وَضَرْب
روسٍ ولها كُنَّا الرِّجالا سَحَرَتْنا ، قطُّ ما نلنا الوِصالا

البدين : السَّمين . والشِّرْعَةُ : الشريعة . واقتات الشيء : اتخذه قوتاً .
الصُّور : ما ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة ليبعث من في القبور .
النرد : شيءٌ معروفٌ يلعب به مع تحريك قطعٍ من العاج على لوحٍ من الخشب .
كشح له بالعداوة : أضمرها له .
جمدت العين : قل دمعها ، أو انقطع . وآده الحمل : أثقله .
الكتاب : القرآن الكريم .

ضمَّنتْ كلَّ خداعٍ دَلَّها ... في هواها إنَّنا لسنا لها[1]

أيُّ شيءٍ رُمْتَ منْ ذاكَ الحَجَرْ ... إنَّه الباقي وَأَنْتَ في سَفَرْ[2]

وعنِ اليقظانِ منْ نَامَ افترقْ ... ومعَ السَّيَّار ضدٌّ ما اتفق[3]

هذه الأرضُ منحناها مَتَاعَا ... منْ شَرَاها منحةً يوماً وباعا[4]

مالكَ الأرضِ إليكَ القولُ عَنْها ... اتَّخذْ رِزْقاً وقبراً ثُمَّ دَعْهَا[5]

وإلامَ لَيْتَ شِعْرِي تبْقَيان ... قَدْ تَظَلُّ وَتَغِيْبُ عَنْ عِيَان[6]

طُفْ بأفلاكِ السَّماءِ كالعُقَاب ... كنْ طهوراً واجْتَنِبْ رِجْسَ التُّراب[7]

إنَّما الأرضُ لربِّي ، ذاكَ ظاهر
كلُّ من أنْكَرَ هذا فَهوَ كافر

لم أقلْ دَعْ عنكَ هاتيك الدِّيارا ... عالماً تملك منْ حسنٍ أنارا

ارفعنْ عنْ جوهرِ الأرضِ التُّرابا ... الْتَقطْ حَبَّ النُّجومِ طِرْ عُقابا

في الجبال اضْرِبْ بفأسٍ صَخْرَها ... وبنورٍ منك أوْقِد نارها

وطريقُ آزرَ فلتجتنبها ... وكما تهوى لك الدُّنيا أقِمْهَا[8]

بالجمالِ لا تَصِلْ قلباً سَقِيما ... أعْطِها قلباً لها كانَ الحَريما[9]

---

(١) الدَّل : الدلال . ويقول : إنها لا تقبل عشاقها .

(٢) الحجر هنا رمز إلى الدار والوطن . والإنسان سوف يرحل عن دنياه وما البقاء إلا لوطنه وداره من بعده .

(٣) السَّيار هو الكوكب السيار ، وضدُّه الكوكب الثابت .

(٤) شرى الشيء : اشتراه . والمنحة لا تباع ولا تشترى .

(٥) يقول : حسبك أن تجني من الأرض رزقَك ، وتحفرُ فيها قبرك .

(٦) ليت شعري : ليتني أشعر أي ليتني أعلم .

(٧) العقاب : من جوارح الطير . والرِّجس : القذر .

(٨) آزر : هو أبو إبراهيم عليه السلام . وجاء في سورة الأنعام قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] .

(٩) الحريم : كل موضع تلزم حمايته . يقول : إنَّ القلب يحيطُ بتلك الأرض وتلزمُ حمايتها وحمايته .

أنمـــوتُ ؟ مـــا لنـــا مـــالٌ وقَبْـــرُ أنضيـــعُ ؟ ولنـــا أهـــلٌ وَوَفْـــرُ[1]
« لا إلـــه » ولهـــا القلـــبُ اتَّســـعْ عـــالمـــاً فـــي الـــذَّاتِ إنســـانٌ جَمَـــعْ
كيـــفَ فَقْـــرُ الجـــوعِ أو فَقْـــرُ العُـــراة
حُكْـمُ سلطـانٍ ، فَـدَعْ ذِكْـرَ العُفَـاة[2] !

* * *

(١) الوفر : الكثير من المال .

(٢) يقول : إنَّ الفقر هو حكمُ الحاكم . والعُفاةُ : السائلون والفقراء . والمراد بهم هنا الزُّهَّادُ .

سر اقبال عالم شباب میں

الدكتور الشيخ محمد اقبال فی شبابه

زندہ رود! از خاکدانِ ما بگوے از زمین و آسمانِ ما بگوے

افغانی

زندہ رود آ اپنے دیرینہ جہاں کی کچھ سنا گوش شنوا کو زمین و آسماں کی کچھ سنا

تو ہے خاکی اور مثالِ قدسیاں روشن ضمیر کچھ مسلمانوں کے دے احوال کی ہم کو خبر

الحكمةُ خَيْرٌ كثير

قالَ ربِّي إنَّها الخَيْرُ الكَثِيرْ ... إنْ تَجِدْهُ فاغْتَنِمْهُ يا بَصِيرْ[1]

ولحرفٍ وَهَبَ العِلْمُ الجناحا ... للخَسِيْسِ رونقَ الغالي أتاحا[2]

وإلى الأفلاكِ عِلْمٌ قَدْ طَلَعْ ... نظرةٌ من مُقْلَةِ الشَّمْسِ اقْتَلَعْ

للوُجُوْدِ ، ما يرى تَفْسِيْرَهُ ... والمَصِيْرُ للوَرَىٰ تَقْدِيْرُهُ[3]

للصَّحارى قال جودي بالحَبَابْ ... للْبِحارِ قال مُوْجي بالسَّرَابْ[4]

عينُه دوماً على ما قَدْ جَرَىٰ ... أصلَ تِلْكَ الكائناتِ كي يَرَىٰ

كَنَبِيٍّ ، ربَّه إمَّا ذكر ... وبقطعِ الفِكْرِ عنْ ربٍّ كَفَرْ[5]

وَبِغَيْرِ القَلْبِ عِلْمٌ كانَ شَرَّا ... نورُه الظَّلماءُ بحرٌ ضلَّ بَرَّا

مِنْ دخانٍ عالمٌ أضحى كَفِيْفا ... والرَّبيعُ فيه قَدْ أمسى الخَرِيفا[6]

الفَيافي والرِّياضُ النَّاضِرَاتْ ... والجبال هَدَّمَتْها الطَّائراتْ

صَدْرُ أهلِ الغربِ يُضْنِيْهِ اللَّهَابْ ... لذةٌ للسَّطْوِ والغَزْوِ اسْتَطَابُوا[7]

نَكَّسُوا الأوضاعَ في أيامِنَا ... نَهَبُوا الأموالَ مِنْ أقوامِنا

---

(١) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

(٢) أتاح : هيَّأ .

(٣) أي أنَّ ما يراه العلم ، ويحكم به ، هو وحده ما يفسِّر الوجود .

(٤) الحَبَابُ : النفاخات على سطح الماء . والسَّراب : ما يشاهد نصف النهار كأنه ماء .

(٥) إمَّا : تتألف من إن الشرطية وما الزائدة .

(٦) الكفيف : الأعمى . أي أنَّ المتصاعد من الدخان والغاز يعمي العيون .

(٧) اللهاب : مصدر من لهبت النار أي اشتعلت .

واستمدُّوا بَطْشَ إبليسَ الرَّجيمْ تُصْبِح الأنوارُ ناراً بالجَحِيمْ[1]
قَتْلُهُ ما زالَ كالأمرِ الصَّعُوب إنَّه قد ضاعَ في عُمْقِ القُلُوب[2]
كان أولى مؤمناً أنْ تَجْعَلَهُ وبسيفٍ لِلْكتابِ تَقْتُلُه[3]
ما جلالٌ لَيْسَ فيهِ مِنْ جَمَالْ ! أيُّ هجرٍ ذاكَ يخلو مِنْ وِصَالْ !
عِلْمُنا بالعِشْقِ عِلْمُ المؤمنينا وبِغَيْرِ العِشْقِ عِلْمُ الكافِرِينا
جثةٌ عِلْمٌ لنا ما لَمْ نُحبْ ولنا العَقْلُ كَسَهمٍ لَمْ يُصِبْ
هبْ عُيُوْنَ العُمْي نوراً تَشْهَدُهْ
واهدِ للإيمان مَنْ تَبَّتْ يَدُهْ[4]

زنده رود

محكماتٌ لي أبنتَ في الكتابْ عالمٌ ما زالَ يطوي في الحِجاب[5]
النِّقَابُ عن جبينٍ ما رَفَعْ ولماذا مِنْ فُؤادٍ ما طَلَعْ
وَلَدَيْنا عالمٌ فيهِ الدَّبيبْ للبلىٰ ، والنَّوم فيه لِلشُّعوبْ
في التَّتَارِ خَمَدتْ نارُ الغِلابْ أَلِمَنْ أسْلَمَ موتٌ والكِتَاب[6]

سعيد حليم باشا

إنَّ دينَ الحقِّ كالكُفرِ الصُّراح إنْ تردَّى الشَّيْخُ في الكُفْرِ المباح ! ![7]

---

(١) يقول إنهم عززوا قوتهم بقوة إبليس . ومعاشرة أهل الجحيم تجعل النور ناراً .
(٢) الصَّعوب : الصَّعب . ويصعب قتل إبليس لأنه اختفى في القلب .
(٣) الكتاب : القرآن .
(٤) يقول : هب عيون العميان بصراً لرؤية الله بقلوبهم : ومنْ تَبَّتْ يداه هو أبو لهب . قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .
(٥) الكتاب : القرآن .
(٦) غالبه غلاباً بمعنى قاهره .
(٧) الصُّراح : الخالص . وتردَّى في الشيء : سقط .

طَلُّنا يَبْدُو كبحرٍ عندنا ... وَيُرىٰ في البحرِ هذا طلُّنا ![1]

مِنْ أعاجيبٍ لِمَنْ باعَ الكِتابا ... كم تعالى صوتُ جِبْرِيْلَ انتحابا

في السَّماء لَمْ تَشُقْهُ جولةٌ ... عِنْدَهُ أمُّ الكِتابِ قَوْلةٌ[2]

ما نصيباً نالَ مِنْ دِيْنِ النَّبيِّ ... في ظلامِ لِضَياعِ الكَوْكَبِ

وضريرُ القَلْبِ يهذي في النِّفاق ... تَعْمهُ الأمَّةُ منْهُ في الشِّقاق[3]

مكتبٌ ، شيخٌ ، وأسرارُ الكتاب ... أكْمهُ والشَّمْسُ كُمْها لا تحابي[4]

دينُ مَنْ يَكْفُرُ تدبيرَ الجهاد

في سبيلِ اللهِ شيخٌ في الفَسَادْ

« رَجُلُ اللهِ لِدُنيا الرُّوح كانا » ... قُلْ لمنْ في عزلةِ الرُّكْنِ استكانا !

أنْتَ يا مَنْ للحياةِ الفكرُ مِنْكا ... وثباتُ الشَّعْبِ قولٌ قِيْلَ عَنْكا

حفظُ قَوْلِ اللهِ كان دَيْدَنُكْ ... نَشرُهُ في النَّاسِ كانَ مَذْهَبُكْ

ارْفَعِ الرأسَ تَكَلَّمْ يا كَلِيْم ... مَنْ يَدَيْكَ يَصْدُرُ الأمرُ العَظِيْم

عن بياضِ الشِّعْبِ حدِّثنا طويلا ... وَلْتَذَكَّرْ بالفلا ظبياً جميلا[5]

أنْتَ حقَّاً مستنيرٌ مِنْ مُحمَّدْ

وَضْعُنا الحالي فصفه ، أينَ نُوْجدْ !

ما استمدَّ رجلُ اللهِ البَشَرْ ... واستمدَّ مِنْ إلهٍ قَدْ غَفَرْ

---

(١) الطَّلُّ : النَّدى .

(٢) أم الكتاب : اللوح المحفوظ . وكلُّ العلوم منسوبة إليه ومتولدة منه . يقول : إن هذا الشيخ لا يبحث فيما وراء الطبيعة ، ولا يعرف القرآن حقَّ المعرفة .

(٣) يهذي : يتكلم بغير معقول . ويعمه : يتردَّد في الضلال ، ويتحيَّر في طريقه ، وكلامُ هذا الشيخ يوقعُ الناس في الحيرة والخلاف .

(٤) الكمه : جمع أكمه وهو من ولد أعمى .

(٥) قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [طه : ٢٢] وبيضاء ؛ أي : مشعة . ومن غير سوء : من غير عاهة . والفلا : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .

كـلَّ يـومٍ سَعِـدَتْ روحٌ بِقُـرْبِـهْ كـلَّ يـومٍ كـانَ فـي شـأنٍ كَـرْبِـهْ
مـؤمنـاً أوْقِـفْ علـى السـرِّ الخفـيِّ « كلَّ يومٍ » مُدَّ بالشَّرْحِ الجليِّ[1]
مـا لـركـبٍ نـزلٌ إلا الحَـرَمْ فـي قلـوبٍ منهـمُ اللهُ الحَكَـمْ

وطـريقـاً آخـراً مـا إنْ ذَكَـرْت
نظـرةً أخـرى لهـمْ مـا إنْ عَـرَفْـت

* * *

الأفغانيُّ

منْ حديثِ المُصْطفىٰ نِلْتَ النصيبا ؟ كانَ دينُ الحقِّ في الدُّنيا غَريبا[2]
إنَّـه قـولٌ مِـنَ الأقـوالِ بكـرْ مـا عنـى بـالفقـر قـطُّ أهـلُ ذِكـرْ
عَنْـهُ مَشْغُـولٌ بِبَحْـثٍ حُقْبَـةً نـدرةُ الآيـاتِ كـانـتْ غُـرْبـةً[3]
إنَّهـا فـي كـلِّ عَصْـرٍ تَخْتَلِـفْ افْهَمَـنَّ مـا أقـولُ يـا ثَقِـفْ[4]
امْنَـحِ القـرآنَ مـنْ فِكْـرٍ مـزيـدا وكمـا شِئْـتَ افْتَتِـحْ عصـراً جَـدِيـدا
عَـنْ كتـابِ اللهِ مِـنْ زاحَ السِّتـارا فيه أهْلُ الشَّرقِ والغَرْبِ الحَيَارىٰ[5]
هـؤلاء الـرُّوسُ شيئـاً أبْـدَعـوا أوْجَـدُوا الخُبْـزَ ودينـاً ضيَّعُـوا

---

(١) جاء في سورة الرحمن : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ بمعنى يفتقر إليه كل من فيهن ويطلب منه الرزق والعون . وهو يغفر ذنباً ويشفي سقيماً ويسقم سليماً ويغفر غنياً ويغني فقيراً ويرفع قوماً ويضع آخرين .

(٢) التلميح إلى قوله ﷺ : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) أي : أن المؤمنين المُتَمسِّكين بإيمانهم سوف يجدون أنفسهم في مقبل الأيام بين قوم غرباء ، كما كان شأنهم في أول أمرهم . وهذا يذكرنا بحديثٍ آخر ، وهو : (يأتي زمانٌ يكون فيه القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمر) .

(٣) الحُقْبة : المدَّة من الدَّهر ، لا وقت لها .

(٤) الثَّقِفُ : الحاذق الفَطن .

(٥) زاح : أزاح .

بـاللِّسـانِ الحـقَّ قُـلْ وانْظُـرْ بِعَيْـن
أبْلِغَـنَّ القَـوْمَ منِّـي لَفْظَتَيْـن

***

رسالةُ الأفغانيِّ إلى شَعْبِ رُوْسيا

إنَّ للقـرآنِ قَصْـداً آخـرا ... وَيرى في الشَّرْعِ هذا منْ يَرَىٰ
قَلْبُـهُ مـا فيـه نـارٌ تَسْتَعِـرْ ... صَـدْرُه فيـهِ النَّبـيُّ لـمْ يَسْتقـرْ
ثَمَـرَ القُـرْآن عَبْـدٌ مـا أكَـلْ ... في يَـدٍ كـأساً دِهـاقاً ما حَمَلْ[1]
قيصـراً أفنـى وكِسـرَى حطَّمـا ... واعتلى عـرشـاً لـهُ كـي يَحْكُمـا
دوحـةُ السُّلطـانِ طَـالَـتْ واسْتَـوَتْ ... صورةٌ للْمُلْكِ في الـدِّين انطوت

ومـنَ الملْـكِ اختـلافُ النَّظْـرَةِ
واختـلافُ العُـرْفِ بـلْ والفِكْـرَةِ

أنـتَ أرْسَيْـتَ الأسـاسَ المُخْتَلِـفْ ... ومـنَ المـاضـي قلـوبـاً تَقْتَطِـفْ
نحن في الماضي هَدَمْنَا الكِسْرَويَّهْ ... أنْـتَ قَـوَّضْـتَ بنـاءَ القَيْصَـرِيَّـه
كـي تُنِيْـرَ اليَـوْمَ مصبـاحَ الضَّمِيْـر ... عِبْـرَةً منَّـا اتَّخِـذْ عَبْـرَ العُصـورْ
وَلْتُثَبِّـتْ قَـدَمَيْـكَ فـي المَصَـافِ ... حـولَ أصنـامٍ حـذارِ مـنْ طَـوَاف[2]
هـذه الـدُّنيـا العجـوزُ قـدْ أرادتْ ... شَعْبَها شيخاً ومنْ شَيْخٍ أفَادَتْ[3]
ثُـمَّ ولِّ الـوَجْـهَ نَحْـوَ المَشْـرِقِ ... كَيْـفَ تَنْسَىٰ يَـوْمَ مـاضٍ مُعْـرِقِ[4]
شعلـةً أخـرى بـروحٍ تُـوْقِـدُ ... ولـكَ العَصْـرَ الجـديـدَ تُـوْجِـدُ

---

(١) الدِّهاق : الممتلئة .
(٢) المصاف : موقف القتال .
(٣) أفاد : استفاد . وكأنها تستفيد من شيخ يعظها وينصحها .
(٤) وَلِّ : وجِّه . المُعْرِق : العريق في الكرم . يريد ليقول : إنَّ بين الرُّوس والشرق صلاتٌ تاريخيةٌ مجيدةٌ .

إنَّ دينَ الغرب قد أمسى رَمِيمَا ... لا تشاهدْ ذلكَ الدَّيْرَ القَديما[1]
وَتَلَلْت الحاكمينَ اليَوْمَ تلاًّ ... اتْرُكَنْ « لا » وَلْتُيَمِّمْ نحو « إلا »[2]
إنَّ « لا » ضِمْنَ كلامٍ كان نفيا ... أنت بالإثباتِ خُذْ دوماً لتحيا[3]

وإذا شِئْتَ نِظَامَ العَالَمِ
فليكنْ فَوْقَ الأساسِ المُحْكَمِ

ومنَ التَّاريخِ تَمْحُو كلَّ بابْ ... فاقبسِ الأنوارَ منْ أمِّ الكتاب
من يقولُ ماتَ كِسْرَىٰ ماتَ قَيْصَرْ ؟ ... بين سودٍ باليد البيضاءِ بشَّر ؟[4]
دَعْكَ منْ هذا التَّجلِّي لِلشَّياتْ ... اتركِ الغَرْبَ وأَدْرِكْ كُنْهَ ذَاتْ[5]
وَبِمَكْرِ الغربِ إنْ كُنْتَ الخبيرا ... لا تُقَلِّدْ ثعلباً بلْ كُنْ هَصُورا[6]
أملُ الثَّعْلَبِ في الدُّنيا طَعَامْ ... قولُ أُسْدِ الله « حُرٌّ أو حِمام »[7]
يُصْبِحُ الثعلبَ ذيَّاكَ الأسد ... دون قرآنٍ ، ومُلْكٍ ما اسْتَنَدْ
فَقْرُهُ مُلْكٌ وَذِكْرٌ ثمَّ فِكْر ... واهبَ الفكرِ الكَمالَ كانَ ذِكْر
كانَ تهذيباً لأشواقٍ وَذَوْق ... إنَّه في الرُّوح ، لم يُوْجَدْ بِخَلْق
في الصُّدورِ منهُ نارٌ تَلْتَهِبْ ... وأجيجُ النَّارِ لمَّا تَسْتَطِبْ[8]

يا شهيداً في هوى الفِكْرِ الجميل
ذا تجلِّي الفكرِ في قولٍ طويل

---

(١) الرميم : العظم البالي .
(٢) تل : صرع . ويمم : وجه . والإشارة في « لا » و« إلا » إلى « لا إله إلا الله » .
(٣) دوماً : دائماً .
(٤) السُّود : العرب .
(٥) الشيات : الألوان .
(٦) الهصور : الأسد .
(٧) الحِمام : الموت . والمعنى نعيش أحراراً أو نموت .
(٨) أجيج النار : تلهبها . لما تستطب : لم تستحسن إلى الآن .

ما هو القرآنُ ؟ هُلْكُ الظالمينا ... والخلاصَ كانَ للمُسْتَعْبَدينا[1]

أهلُ حِرْصٍ أيَّ خيرٍ حقَّقُوا ... ﴿ لَنْ تَنالوا البرَّ حتَّى تُنْفقوا ﴾[2]

ليس منْ هذا الرِّبا إلا الفِتَنْ ... منْ دَرَىٰ ما لذةُ القَرْضِ الحَسَنْ؟

يَجْعَلُ الإنسانَ صَخْريَّ الفؤادْ ... أو كليثٍ أدْرَدَ وَسْطَ المَصَادْ[3]

عن منالِ رِزْقُ أرضٍ ما امتناع ! ... مُلْكُ ربٍّ وهيَ لِلْعَبْدِ المتاع

الأمينُ العَبْدُ والرَّحمنُ مالِك ... كلُّ شيءٍ غَيْرَ وَجْهِ الله هَالِك[4]

الملوكُ نَكَّسُوا للهِ رَايَهْ ... والقُرَىٰ منْ ظُلمهم في الذلِّ غَايَهْ[5]

خبزُنا والماءُ تحوي مائدهْ
إنَّما النَّاسُ كنفسٍ واحده[6]

صورةُ القُرآن لما أظْهَرَتْ ... صُوراً أخرى سِوَاها أبْطَلَتْ

وأقولُ ما بقلبي يُضمرُ ... أكتابُ ذاك ؟ شيءٌ آخرُ ؟

مشبهُ الرَّحمٰنِ يخفى وَهْوَ ظاهِرُ ... دائمٌ حيٌّ وَمِنْطيقٌ يُجاهرُ[7]

وَلِغَرْبٍ فيهِ أقدارٌ وشرقُ ... كُنْ سريعَ الفَهْمِ أسْرِعْ مِثْلَ بَرْقِ

قال جُدْ بالرُّوح جُدْ لِلْمُسْلِم ... فوقَ ما تحتاجُ طوعاً قَدِّم

أنْتَ يا منْ ذلكَ الشَّرْعَ اتَّخَذْتا ... في كتابِ اللهِ نوراً لَوْ رأيتا

---

(١) الهلك : الهلاك .

(٢) قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

(٣) الأدرد : من ذهبت أسنانه . والمصاد : مكان الصيد .

(٤) يذكر بقوله تعالى في سورة القصص : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] .

(٥) الإيماء إلى قوله تعالى في سورة النَّمل : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [النمل : ٣٤] .

(٦) قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٨] .

(٧) المنطيق : البليغ . ويجاهر : يرفع الصوت .

لَعَـرَفْـتَ مـا تَعـالـى وانْحَـدَرْ
فـي الحيـاةِ وَفَهِمْـتَ مـا القَـدَرْ

مـا مَـعَ السَّـاقـي حـوانـا المَحْفَـل ... مِعْـزفُ القـرآنِ دومـاً يَهْـدلُ[1]
لـوْ خَـلا عـزفٌ لَـدَيْنَـا مـنْ أثَـرْ ... فـي السَّمـاءِ لاسْتَمَعْنـا لِلْـوَتَـرْ
ذكـرُ ربِّـي عـن شعـوبٍ فـي غنـى ... لـزمـانٍ ومكـانٍ مـا انثنـى[2]
أيـنَ مِـنْ ذِكْـرٍ لـربِّـي مـنْ ذَكَـرْ ... مـا لـرومٍ مـا لشـامٍ مـنْ خَبَـر[3]
لـو أرادَ اللهُ عنَّـا حَمْلَـهُ ... لاستطـاعَ لِسـوَانـا نَقْلَـهُ[4]
ذلـكَ التقليـدُ فينـا قـدْ رأيـتْ ... رِعْدةً للرُّوح في جسمي وَجَدتْ[5]
فـي غـدٍ قـدْ يُحْـرَمـون ذِكْـرَهُ
وبقلـبِ الغَيْـرِ يلقـي نـارَهُ

***

جلال الدِّين الرُّوميُّ
يرغب إلى زنده رود أن يقول شعراً

إنَّمـا الـرُّومـيُّ فـي جَـذْبٍ تَفَجَّـر ... وَعَـرَفْـتُ القـولَ فيـهِ كَيْـفَ أثَّـر
صعَّـد الـزَّفْـرَةَ نـاراً لِلْكُبـودْ ... سَكَـبَ الـدَّمْـعَ دمـاءً لِلشَّهيـدْ[6]
بـالسِّهـام راشـقٌ قَلْـبَ الـرِّجـال ... سيِّـدُ الأفغـانِ خُـصَّ بـالمقـال[7]

---

(١) المِعْزَفُ : آلة الطرب . وَهَدل الحمامُ : صوَّت .
(٢) يقول : إنَّ ذكرَ الله ليس خاصاً بشعبٍ خاصٍّ ، ولا ينتسبُ إلى زمانٍ ولا مكان .
(٣) يريد ليقول : إن ذكر الله منفصلٌ عن ذاكره ، ولا صلة له بالمكانية .
(٤) غرضُ الشاعر أنَّ الله لا يخصُّ بذكره قوماً بعينهم .
(٥) يعيب التقليد عند المسلمين .
(٦) الكبود : جمع كبد .
(٧) المراد بسيد الأفغان السيد جمال الدين الأفغاني .

« حمرةٌ للأفق ضَعْها في الوَتين ... وسموطَ الحقِّ أمْسِكْ باليمين[1]
بالمُنى الأرواحُ سيلٌ ذو زَبَدْ ... إنَّما اليأسُ لها موتُ الأبَدْ »
وأشار ثم قال « زنده رود ... فَلْيَكُنْ بالشِّعرِ ناراً ذا الوُجود
ناقةٌ من أينِها ضاقَتْ خُطاها ... آدَهَا الحِمْلُ وأنَّ من حَدَاها[2]
امتحانُ الطَّاهرينَ بالبلاء ... فَلْنَزِدْ في طولِ جُهْدٍ للظَّماء[3]
وَعَنِ النِّيلِ ابْتَعِدْ مِثْلَ الكَلِيْم ... كالخليلِ فَلْتَسِرْ نَحْوَ الضَّريم[4]
من حبيبٍ نغمةٌ ماجَتْ بطِيْب
أمَّةٌ تَسْكُنُ داراً للْحَبِيْب »

* * *

غَزَلُ زنده رود

لَيْسَ زهرٌ في الرِّياضِ بالمقيم أبَدا ... إنَّه يمضي كأمواجِ النَّسيم أبَدا
أينَ معنى ما وَجَدْنا بَعْدَ بحثٍ يا تُرَىٰ ... مكتبٌ يبقى وحانٌ كالعَقيمِ أبدا
وَمِنَ الذَّاتِ تَعَلَّمْ أنْتَ حرفاً واحْتَرِقْ ... تَعْدَمُ الخانقاه ناراً لِلْكَليمِ أبدا[5]

---

(١) حمرة الأفق هي الشفق . والوتين : عرق في القلب . والسُّمُوط : حبالٌ تتدلى من السَّرج .

(٢) الأين : التَّعب . آده الحمل : أثقله . وحدا الإبل : ساقها ، وغنَّى لها . يقول : إنَّ غناء من يسوق الناقة يبغي أن يصبح أنيناً بعد تعب ناقته .

(٣) الظَّماء : جمع ظامىء . وهذا البيت يتصل بما قبله وما بعده في وجوب الشعور بالجهد والعذاب لامتحان النفس .

(٤) الضَّريم : الحريق وهو هنا نارُ إبراهيم عليه السلام . والشاعرُ يذكر بما وقع لكليم الله موسى ، فقد أوحى الله إلى أمه أن تقذفه في النيل ليلقيَه بالسَّاحل .

(٥) الخانقاه : مبنىً يقيمُ فيه المتصوِّفة . والكليم : موسى عليه السلام . والشاعر يلمح إلى تلك النار التي آنسها موسى ، وهي عند الصوفية رمزٌ للمعرفة .

لا تحدَّثْ عَنْ صفاءٍ منْ بخانقاه سَكَنْ ... وَسِخَ الشَّعْرِ تراه والأديمِ أبدا[1]
كَمْ بيوتٍ شَيَّدوها وَسْطَ بيتٍ واحدِ ... لا يثيرُ القَلْبُ ريباً للمُقيمِ أبدا[2]
لَيْسَ خَطْباً أنْ يَضيْقَ بالنَّدامىٰ مجلسي ... إنَّه ألَّا ترى كأسَ النَّديم أبدا !

* * *

(١) الأديم : الجلد المدبوغ ، ووجه الأرض ، وقد ترجمنا به كلمة سجادة في الأصل رغبةً منا في الاحتفاظ بنفس القافية والوزن في الترجمة العربية . أما الرديف وهو الكلمة التي تكرر بعد كل بيت فهي في الأصل (كل) وترجمناها بـ (أبداً) وهي ظرف زمان للتأكيد في المستقبل .

(٢) يريد الشاعر بالبيوت بيوت العبادة . ويقول : إنَّ الموحِّدين لهم جميعاً فكرةٌ واحدةٌ لا ريب فيها ، وهو يَعْجبُ لانقسامِ القَوْمِ فرقاً وطوائف .

فلكُ الزُّهَرَة

يَحْجُبُ النُّوْرَ بدا بَيْنَ السَّحَابْ ... منْ فضاءِ الصَّفِيْقُ مِنْ حِجَابْ[1]

واجَهُونا بالسُّتور عُلِّقت ... للتَّجلِّي كُلُّ نارٍ أخْمِدَتْ

كي تَزيدَ النَّارُ في القلبِ اشتعالا ... وترى غُصْناً وبالأثمارِ طَالا

وبوقدٍ منه في وردٍ دِمَاء ... زئبقاً بالرَّقصِ مِنْهُ كانَ ماءْ

هكذا مِنْ تُرْبِها الأرواحُ قامَتْ ... وبما لا تَشْهَدُ العينانُ لاذَتْ[2]

والطريقُ يحتوي موتاً وَحَشْرا ... فيهِ لَكِنْ زوَّدوا بالنَّارِ سَفْرا[3]

في الفضاءِ دارَ مُزْرَقُّ الفَلَكْ ... هابطٌ يعلو وما يَعْلُو انْسَبَكْ[4]

وهي إبراهيمُ أو ذاكَ الحَرِيم ... كالذَّبيحِ ، في الفِدَاءِ لا يلُومْ ![5]

السمواتُ وهذي خيبرُ ... لا يُجِيْدُ الطَّعْنَ إلا حَيْدرُ[6]

---

(١) الصفيق : ضدَّ الرقيق .

(٢) التُّرْب : التراب .

(٣) السَّفْر : المسافرون . يقول : إنَّ النار كانت زاداً لهم .

(٤) انسبك الذَّهب : ذُوِّبَ وأُفْرِغَ في قالب . وبذلك يشبِّه انخفاض واستواء ما ارتفع .

(٥) الذبيح : هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام الذي أطاع واستسلم .

(٦) حيدر هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفي غزوة خيبر أرسل النبي ﷺ إلى علي لفتح أحد الحصون وكان عليٌّ أرمد . فقال : ما أبصرُ سهلاً ولا جبلاً . فذهب إليه وقال : افتح عينيك ففتحهما فما رمد بعدها ، ثم دفع إليه اللواء ، ودعا بالنصر له ومن معه . وشدَّ عليٌّ على الأعداء فانكشف المسلمون وثبت هو وقتل من بارزه . وانهزم اليهود إلى حصنهم وبارزه يهوديٌّ آخر وضربه ضربةً شديدة حطَّمتْ تُرْسه . فتناول كرم الله وجهه باباً عند الحصن لِيَتَرَّس به عن نفسه . ولم يزل معه حتى فتح الحصن . قيل وكان هذا الباب ثقيلاً فلم يحمله أربعون رجلاً .

طهَّـر الـرُّوْحَ الصِّـراعُ المُسْتمـرْ إنَّهـا تجـري بـه أو تَسْتَقِـرْ
وهـي فـي نـورٍ علـى نـورٍ تَطيـرْ وَلَـديْها الصَّيْـدُ جبريـلٌ وَحُـورْ[1]

ثمَّ ﴿ ما زاغ البصر ﴾ يضحىٰ النَّصيبا
لمقـامِ « عبـده » تمسـي الـرَّقيبـا[2]

فـي مَقَـامي لَسْـتُ أدري أيْـنَ كُنْـتُ إننـي عـنْ كـلِّ خُـلاَّنـي نَـأَيْـتُ
تَعْـدَمُ الحـربُ بصـدري عسكـرا مـنْ لـهُ عيـنٌ كعينـي قـدْ يَـرَىٰ
منْ دَرَىٰ ما الحربُ في كفرٍ ودين وَحْدَها نفسي كزينِ العَابدين[3]
أيُّ معنـىً للطَّـريـق والمَقَـام ؟ إنَّ شكـوايَ السِّـراجُ فـي الظَّـلام[4]
أهلَـكَ اليـمُّ الشيـوخَ والشَّبـابـا هـاكَ شَيْخـاً واحـداً جـازَ العُبَـابـا[5]
قَـدْ رَفعْـتُ السِّتْـرَ والسِّتْـرُ انطـوىٰ أرهـبُ الـوصـلَ وتبكيني النَّـوى[6]
الـوصـالُ آخـرُ الشَّـوقِ ! الحـذَرْ ! مـا لشكـوى وزفيـرٍ مـنْ أثَـرْ !
سـالـكٌ مـا إنْ رأى مَتْـنَ الطَّـريـق مـنْ فـراغٍ إنْ يَكُـنْ غَيْـرَ المُفيـق[7]

---

(١) الصيد : ما يصاد .

(٢) يريد الشاعر قوله تعالى في سورة النجم : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] . أي ما مال بصر النبي ﷺ عما رآه وما تجاوزه بل أثبته أو ما عدا عن رؤية ما أمر برؤيته من العجائب . وقد رأى من آيات الله الكبرى ليلة المعراج .
أما قوله (عبده) فالمقصود به قوله تعالى في السورة نفسها ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ١٠] ؛ أي أوحى إلى عبده جبريل ما أوحى جبريلُ إلى النبيِّ ولم يذكر المُوحَىٰ تفخيماً لشأنه .

(٣) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين رضي الله عنه ، رابعُ الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . وقد عرف بصدقة السرِّ ، والحلم ، والورع . وهو الوحيد الذي نجا من موقعة كربلاء . وكانتْ وفاتُه عام ٩٤هـ .

(٤) السِّراج : المصباح .

(٥) اليَمُّ : البحر . والعُباب : الموج .

(٦) النَّوى : البعاد .

(٧) الفَراغُ هنا هو : سكون النفس .

إنَّ لـــي قلبـــاً ومـــنْ ذَوْقِ النَّظَـــرْ عالماً يَشْتاقُ ، بالشَّوْقِ اسْتَعَرْ[1]
إنَّمـا الرُّومـي بـروحـي تلـك أعْلَـمْ قـالَ يـا مـنْ عـالمـاً تبغـي تَسَلَّـمْ
في يمينِ العِشْقِ نَحْنُ وهوَ يَلْعبْ فتـأمَّـلْ ، يحتـوينـا أيُّ كَـوْكَـب[2]
عـالـمٌ والأسُّ مـنْ طيـنٍ ومَـاءْ منْ سواد المِسْكِ يَبْدُو في كِسَاءْ[3]
وبعيـنٍ مَـزَّقَـتْ كـلَّ الحُجُـبْ انظـرنَّ واختَـرِقْ كـلَّ السُّحُـبْ
سترى الأربـابَ حتمـاً كلَّهـا وأنـا أعْلَـمُ حقَّـاً حـالهـا
(بعلُ ومردوخُ ويعوقُ ونَسْرُ وفسرُ رم خن ولاتُ ومناةُ وعسرُ وغسرُ)
إنَّهـا لِلْبَعـثِ تـأتـي بـالـدَّليـل
فـالـزَّمـانُ لَيْـسَ فيـهِ مـنْ خَلِيـلْ[4]

* * *

عودةُ الجاهلِيَّة

مرَّ شاعرُ الإسلام ـ في بعض زياراتِه الرُّوحيَّةِ وسياحاتِه الفكريَّة ـ بوادٍ ، اجتمعت فيه الآلهةِ القديمة التي عبدتها أممُ الجاهلية ، ونحتَتْ أصنامَها وتماثيلَها ، وبَنَتْ عليها هياكلَ ومعابد ، وعَكَفَ عليها السَّدنةُ والكُهَّان ، وتغنَّى بها الشعراءُ والأدباء ، وكان مَجْمعُ الآلهة القديمة من شعوب مختلفة ، وبلادٍ مختلفة ، وعصورٍ مختلفة ، فهذا إلهُ المصريين القدماء ، وهذا ربُّ التبابعة ، والأذواءِ من اليمن ، وهؤلاء آلهةُ عربِ الجاهلية ، وأولئك آلهةُ وادي الفرات ،

---

(١) استعرت النار : اشتعلت .

(٢) هذا الكوكب هو كوكب الزُّهرَة .

(٣) الأس : الأساس . وهو يشبه هذا العالم بالكعبة وعليها الكسوة السوداء .

(٤) يقول إنَّ هذه الآلهة تقدّم الدليل على بعثها . فما في زماننا إبراهيمُ الخليل عليه السلام محطِّمُ الأصنام . وقد أوردنا أسماءها كما وردت في الأصل الفارسيّ ، فلتنطق كُلُّ واوٍ ضمَّةً ليستقيمَ الوزنُ كما هو الشأن في الفارسية .

وهذا إلهُ الوَصْلِ ، وذلكَ ربُّ الفراق ، هذا من سلالة الشَّمس ، وذلك خَتَنُ القَمَر ، وهذا زوجُ المُشتري .

ثم إنَّهم أشكالٌ وألوان ، فهذا قد سلَّ السيف بيده ، وهذا تقلَّد حيَّةً ولواها حول عنقه ، وكلُّهم وجلون مشفقون من الوحي المحمَّديِّ ، الذي أحدث الثَّورةَ الكبرى عليهم ، وأفْسَدَ عليهم العيشَ ، وولد العالم الجديد القائم على نبذِ الأصنام ، والمُؤَسَّس على عقيدةِ التَّوحيد ، وكلُّهم ساخطون حانقون على ضَرْبَةِ إبراهيم .

لقد كانت هذه زيارةً مفاجئةً سُرَّ بها الآلهة ، وتفاءلوا بها ، وكان « مردوخ » أول من انتبه لهذه الزيارة ، ورحَّبَ بالإنسان القادم ، وأخبر زملاءَه به : أبشروا يا إخوتي ! فإنَّ إنساناً فرَّ من الله ، وثار على الأديان السَّماوية ومراكزها ، وأقبل إلى العهد الماضي ، ليتوسَّع في العلم والنظر ، وجاءَ يتمتَّع بالآثار العتيقة ، ويتحدَّث عن مجدنا ، إنَّها بارقةُ أملٍ لاحَتْ بعد مدَّة ، ونفحةٌ هبَّتْ من أرضٍ حكمناها طويلاً ، ونعِمْنا فيها كثيراً .

وكان بعلُ ـ إله الفينيقيين والكنعانيين القديم ـ أولَ من اهتزَّ لهذه الزيارة ، فأنشأ يغنِّي في طربٍ ومَرحٍ ، ويقول : « **إن الإنسان اخترق السموات العلى ، يبحث عن الله ، فلم يجده ، فليست هذه العقائد التي يدين بها الإنسان إلا خواطر تسنحُ له ثم تغيب ، كالأمواج ترتفع ثم تتوارى ، إنَّه لا يرتاح إلا إلى المحسوس المشهود .**

حيَّا الله الإفرنجَ الذين عرفوا طبيعةَ الشرقيين ، الذين أعادوا إلينا الحياة ، وبعثونا من مراقدنا ، فانتهزوا يا زملائي الكرام ! هذه الفرصة الذَّهبيَّةَ ؛ التي أتاحها لنا الدهاةُ الغربيون ، ألا ترون كيف نسي آل إبراهيم عقيدةَ التَّوحيد ، ونسوا العَهْدَ والميثاق الذي أخذ عليهم ، ونسوا لذَّته .

إنهم صحبوا الغربيين مدَّةً من الزمان ، وعاشوا معهم ، ففقدوا ثروتهم ،

وضيَّعوا ذلك الدِّينَ الذي نزل به الروح الأمين ، والذي بَعَثَ فيهم الإيمانَ واليقين .

إنَّ الرجلَ المؤمنَ الحرَّ الذي لم يكن يعرف الحدودَ والجهات ، ولا يعبدُ غير الإله الواحد الذي خلق السمواتِ والأرضَ أصبحَ يؤمنُ بالوطن ، ويقدِّسه ، ويعبُده ، ويقاتلُ في سبيله ، ويكفرُ بالله ، ويهجرُه ويتناساه .

لقد خَضَعَ المسلمون لنفوذ الغربيين ومجدهم ، وأصبح شيوخُهم الكبار وعلماؤهم العظام يتقلَّدون شعارَهم ، ويقتفون آثارَهم ، فلنستبشرْ ولننتهزْ هذه الفرصة .

لقد عاد إلينا الشبابُ ، وحُقَّ لنا أن نَطْرَب ، فقد انهزم الدِّين ، وانتصرت الوطنيةُ والجنسيةُ . إنَّ المصباحَ الذي أناره محمَّد ، تألَّبَ عليه مئةُ « أبي لهب » يطفئونه ، إنَّنا لا نزال نسمع صوت لا إله إلا الله ، ولكنَّه صوت يصدرُ عن الشفتين ، ولا يصدر عن القلب ، وكل ما غابَ عن القلب سيغيب عن الفم .

لقد أعاد سحرُ الغرب دولةَ إله الشرِّ والظلمة ، وشبابه ، وأصبح الدِّين الإلهي مهدَّداً ، فطوبى لنا ولإخوتنا الذين قطعوا الرجاء من الحياة ، واعتكفوا في الخلواتِ والمغاراتِ .

لقد كان عبادنا أحراراً ، لهم التصرُّفُ المُطْلَق ، والحريةُ الكاملة في حياتهم ، لم نثقلهم بعبادةٍ وطاعةٍ ، وإنَّما طلبنا منهم ركعةً لا سجود فيها ، وقد أثرنا فيهم العاطفةَ الدِّينيَّةَ بالأناشيد والأغاني ، فلم تكن صلاتُهم إلا مكاءً ، وتصدية ، ونغمةً ، وأغنية ، وأيُّ لذةٍ في صلاة لا غناء فيها ، ولا موسيقا ؟!

إنَّ الناسَ لابدَّ يفضِّلون عبادةَ طاغوتٍ مشهودٍ على عبادة إلهٍ غائب ، وربٍّ لا يُرىٰ بالأبصار »[1] .

---

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الندوي . صفحة ١٧٥ ـ ١٧٨ .

وإليك هذه الأبيات المترجمة للعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

أظْلَمَ الغَيْمُ وَلِلرِّيحِ الخُفُوقْ ... في الظَّلام تَفْقِدُ النُّورَ البُروقْ ![1]

الرياحُ البحرُ فيها قدْ تعَلَّقْ ... شَقَّتِ الثَّوْبَ بدُرٍّ كمْ تَألَّقْ

لا يرى شطٌّ وموجٌ يَهْدرُ ... ما على صَرْعِ الرِّياحِ يَقْدِرُ[2]

ومَع الرُّوميِّ في بحرِ السَّوادْ ... حُلماً كنَّا بسوداءِ الفُؤادْ[3]

إنَّه المِسْفَارُ لَكِنْ لمْ أُسَافِرْ ... وعلى هذا رآني غَيْرُ صَابِرْ[4]

عاجزاً قُلْتُ كلاماً كُررا ... « عالماً آخرَ عَيْني لا تَرَىٰ »

وإذا للعينِ أطوادٌ تلوحْ ... وغديرٌ في مروجٍ وهي فَيْح[5]

وإذا في النَّجْدِ والسَّهْلِ الرَّبيع ... والنَّسيْمُ يا لهُ مِسْكاً يَضُوْع[6]

ولنا الطَّيْرُ تَغَنَّتْ بالجَوَىٰ ... والينابيعُ وعُشْبٌ ما استوى[7]

ذاكَ فَيْضٌ مِنْهُ للجسمِ البَقَاء ... وَلِعَيْنِ الرُّوحِ في الجِسْمِ الجلاءْ

وَمِنَ الطَّوْدِ نَظَرْتُ نَظْرةً ... لأرىٰ الدُّنيا ترفُّ نَضْرةً[8]

واستوى الوادي ومدَّ جانبيْه ... إنَّ ماءَ الخضرِ مشتاقٌ إليه ![9]

---

(١) الخفوق : الخفق والخفقان .

(٢) هَدَرَ البحرُ : ارتفع خريره .

(٣) الروميُّ : هو جلالُ الدِّين الروميُّ ، وسوداء القلب وسويداؤه : حبته .

(٤) المِسْفارُ : الكثير الأسفار .

(٥) الأطواد : الجبال . والغدير : النَّهر . والفيح : الواسعة .

(٦) النَّجد : ما ارتفع من الأرض . وضاعَ المسك : انتشرت رائحته .

(٧) الجوى : الحزن . ما استوى : ما ارتفعت سوقه .

(٨) رفَّ النباتُ : تلألأ نضرةً .

(٩) استوى : أصبح مستوياً ، جاء في الروايات الفارسية أن الإسكندر رغب إلى الخضر عليه السلام أن يكون دليله في رحلة طويلةٍ تكتنفها المصاعب والمعاطب إلى ماء الحياة وهو ينبوعٌ في أرضٍ بعيدةٍ تسمَّى دار الظلمات . ومنْ نَهَلَ نهلةً منه ضَمِنَ أن يكون من الخالدين . ومضى الخضر مع الإسكندر ، وشاهد الخضر هذا الماء كأنَّه خيطٌ من =

كـلُّ ربٍّ فيـه مـنْ ذاكَ الـزَّمَـنْ ... ربُّ مِصْـرَ ذا وذا ربُّ اليَمـنْ
ذاكَ مِـنْ أربـاب عُـرْبٍ أو عِـرَاقْ ... ذاكَ ربُّ الـوَصْـلِ ذا ربُّ الفِـرَاقْ
وسليـلُ الشَّمْـسِ صِهْـرٌ لِلْقَمَـرْ ... مِـنْ بـزوج المشتـري خـصَّ النَّظَـرْ
واحـدٌ يختـالُ بـالسَّيـفِ الحُسـامْ ... آخـرُ فـي لِبْتِـهِ أفعـى السَّمـامْ[1]
كلهـم يـرتـاعُ مـنْ ذِكْـرِ الجميـل ... ويخـافُ كلُّهـم بَطْـشَ الخَلِيـلْ[2]
« إنمـا المـرءُ مـن المـولـى هَـرَبْ ... والمصلَّى»، قال مردُخ ، وانتَحَبْ[3]
« وكـأنَّ العقـلَ منـه أومضـا ... وهـو لا ينسىٰ زمـاناً قـدْ مَضَـى[4]
ظـلَّ يستحسـنُ مـا كـان القَـدِيمـا ... فـي تجلِّينـا يـرىٰ شيئـاً عَظيمـا
ويَجِـدُّ الـوَهْـمُ فـي هـذا الـزَّمـانِ ... وتهـبُّ الـرِّيـحُ ريحـاً لـلأمـاني »[5]
ثـم غنَّـى بعـلُ مـنْ فَـرْطِ الطَّـرَب
سـرَّنـا أفشـاهُ عِنْـدَ كـلِّ رَبّ[6]

***

أغنيةُ بَعْل

مـزَّق المـرءُ السِّتـارَ الأزرقـا ... مـا استطـاعَ ربُّـه أن يَـرْمُقَـا[7]

= فضة . فشرب منه ، وتلفَّت حوله ، فما وجد الماء ولا الإسكندر . ولماء الحياة هذا ذكرٌ متردِّدٌ في الشِّعر الفارسي الصُّوفيِّ على أنَّه رمزٌ للحقيقة .

(١) السيف الحسام : القاطع . والليت بكسر اللام : صفحة العنق . والسَّمام : السموم .

(٢) الجميل : هو الله تعالى . والخليل : إبراهيم عليه السلام .

(٣) المولى : الله جل وعلا . المصلى : مكان الصلاة والمراد به المعابد بجميع أنواعها . ومردوخ : أكبر آلهة البابليين .

(٤) أومض البرق : ومض ولمع .

(٥) يجد : يصبح جديداً .

(٦) بعل : اسم إله عند الساميين .

(٧) رمقه : نظر إليه طويلاً . وهذه المنظومة مما يعرف عند الفرس : ترجيع بند . =

مَـوْجـةٌ لِلفِكْـرِ تغشـى قَلْبَـهُ مَـوْجـةٌ أخـرى لهـا أنْ تَفْـرَقـا[1]

روحُـه بـالحـسِّ أمْسَـتْ فـي قَـرَارْ منيـةَ المـاضـي عسـى أنْ تصـدقـا[2]

نحـنُ حـابـونَ بِعِلْـمٍ فَلْيَعـشْ عـالـمٌ أحيـا بعلـمٍ مَشْـرِقـا[3]

أيُّهـا الأربـابُ قـد آن الأوانْ

قِـفْ تـأمَّـلْ وَخْـدةً قَـدْ شُتِّتَـتْ و ﴿ ألست ﴾ عِنْـدَ قـومٍ أُبْطِلَـتْ[4]

حُطِّمَـتْ كـأسٌ بـأيـدي ثُلـةٍ خمـرُ جبـرائيـل منهـا أُسْكِـرَتْ[5]

كـلُّ حـرٍّ فـي قيـودٍ مـن حـدود وصْلَـةٌ بـالله مِنْـهُ صُـدِّعَـتْ

سـؤددُ الأسـلافِ بـردٌ فـي دمـاء وزنـانيـرُ الشُّيـوخِ شُـوْهِـدَتْ[6]

أيُّهـا الأربـابُ قـدْ آن الأوان

بَعْـدَ دَهْـرٍ عـادَ يـومٌ لِلطَّـرَب أصبـح الـدِّيـن صـريعـاً لِلنَّسَـبْ[7]

= والترجيع : بند يحوي عدة أبيات تكون كلُّ مجموعةٍ منها قسماً ، وتلك الأبيات متفقةٌ في الرَّوي ، ويتلو كلَّ قسمٍ بيتٌ مستقلٌّ يُكَرَّرُ . وقد التزمنا في الترجمة رويَّ هذه الأبيات في الأصل .

(١) غشيه : غطاه . ويَفْرَقُ : يخاف .

(٢) المنية : الأمل .

(٣) الحابي : واجدُ الحياة . وكأنَّ هذا الإله يدعو بطولِ البقاء لذلك العالم المستشرق الذي أحيا الشرقَ بعلمه .

(٤) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وهذا من باب التمثيل ؛ أي أنه أقام الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت عقولهم بها ، فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وكأنهم قالوا : بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا ، وأقررنا بوحدانيتك .

(٥) الثلَّة : الجماعة من الناس .

(٦) الزَّنانير : جمع زُنَّار . وهو ما يَشُدُّ به النصراني وسطه .

(٧) يقول : إنَّ العنصرية طغت على الدِّين .

لا تفكـرْ فـي سـراجِ المُصْطفـى أخمـدَ الشُّعْلَـةَ فيـه « بـولهـب »[1]
« لا إلـه » فـي لسـانٍ نـاطـقٍ عـن فـؤادٍ شُـرِّدَتْ يـا لِلْعَجَـبْ !
إنَّ سِحْـرَ الغَـرْبِ أحيـا أهْـرَمـنْ[2] وَجْـهُ يـومِ اللهِ مـنْ لَيْـلٍ شَحَـبْ
أيُّهـا الأربـابُ قَـدْ آنَ الأوانْ
دينُـك القيـدُ تحـرَّزْ مـنْ قُيُـود عبـدُنـا قـد كـانَ حُـرّاً فـي عبيـد
وعليـهِ كـي نَشُـقَّ فـي صـلاة ركعتيـن نبتغـي ، مـا مـنْ سُجُـود
إنَّمـا النَّغْمـةُ تُعلـي جـذبـةً مـا الصـلاةُ وهـي تخلـو مـنْ نَشِيْـد
إنَّ خيـراً مـنْ إلـهٍ قـد تـوارىٰ ذلـكَ الشَّيطـانُ يبـدو فـي الشُّهـود
أيُّهـا الأربـابُ قَـدْ آنَ الأوانْ

* * *

الغوصُ في بَحْرِ الزُّهَرَة
ومشاهدةُ روحِ كتشنر وفرعون

مَيَّـزَ الـرُّومـيَّ ذكـرٌ لِلْجَمِيْـلْ ضـربُـه يُشْبـهُ ضَـرْبـاً لِلْخَليـل
غـزلًا قـالَ وَبـالسُّكْـرِ اتَّقَـدْ كـل رب فـي خشـوعٍ قـدْ سَجَـدْ

غزل

«خصّ ما يمضي ويأتي بالنَّظر ، ذاكَ أوْلَى انْهَضَنَّ خذ بأفكارٍ أُخَرْ ، ذاكَ أوْلى
نـاقـةُ الأيـامِ أوسـاقـاً لِعِشْـقٍ حُمِّلَـتْ ارْحَلَنَّ في المساءِ والسَّحَرْ ، ذاكَ أولى[3]

---

(١) السِّراج : المصباح . وبو لهب في الفارسية هو أبو لهب في العربية .
(٢) أهرمن : هو إله الشر أو الشيطان في دين المجوس .
(٣) الغزل نوع من المنظومات الفارسية ، وتلك المنظومة ذات روي واحد ولا تقلُّ أبياتها عن سَبْعَةَ عشر . وفي هذا الغزل ما يعرف بالرَّديف ، وهو كلمةٌ أو كلامٌ يُكرَّر بعدَ كلِّ=

قالَ شَيْخٌ ما لِدُنيانا أساسٌ مُحْكَمُ ... ينبغي عمَّا بها قَطْعُ النَّظَرْ ، ذاكَ أولى
أنْتَ بالتَّرك أتنساها ولَوْ حاولته ... قلْ وُجودي ليس عِنْدِي ذا خَطَرْ ذاكَ أولى[1]
قلتُ في قلبي مناةٌ وكثيرٌ غَيْرُها ... قال في المعبد حطِّمْ ذا الحَجَرْ، ذاك أولى»
قال « فانهضْ مُسْرِعاً واقْدَمْ إليَّا ... بيْ تَمسَّكْ لا تَدَعْني يا بُنَيَّا
الجبالُ وهيَ مِنْ موسى خَلَتْ ... بالثُّلوج مِنْ لُجَيْنٍ أصْبَحَتْ[2]
خَلْفَها قَدْ لاحَ بحرُ الجَوْهَرِ ... وانجلى بالجَوْفِ لا بِالمَظْهَرِ
أيُّ بأسٍ من عُبابٍ أو أتيٍّ ... قرَّ عيناً بسكونٍ سَرْمَديِّ[3]
إنَّ في هذا مَقَامُ مِنْ تجَبَّرْ ... ووجودُ كلِّ ما قدْ غَابَ أنْكَرْ
ذاكَ شرقيٌّ وذا مِنْ أهْلِ غَرْبِ ... معَ أهْلِ الحقِّ في حربٍ وَضَرْبِ[4]
وعصا موسى على هذا تَهَاوَتْ ... والرفيقَ مديةُ الدَّرْويشِ غَالَتْ[5]
مِثْلُ فِرْعَوْنَ الصَّغيرِ والكبيرْ ... ظامئان بَيْنَ أمواجٍ تَثُورْ
يعرفان الطَّعْمَ مرَّاً للرَّدىٰ ... مَوْتُ جبارٍ كآياتٍ بَدَا[6]
سِرْ ورائي يا بنيَّ لا تَخَفْ ... هاكَ كفِّي فما قلبٌ وَجَفْ[7]
وكموسى البَحْرَ إنِّي فالقُ ... فيهِ يَحْوِيك فؤادٌ خافقُ
شقَّ مِنْهُ البَحْرُ صدراً كالضِّياءْ ... أهَوَاءٌ كان يبدو مِثْلَ ماءْ
قاعُه مِنْ كلِّ لونٍ قدْ خلا ... إنَّه وادي الظلام في الفَلا

= بيت تُلْتَزَمْ قبله قافيةٌ موحَّدة . وقد احتفظنا في الترجمة بقافية الأصل . والأوساق : جمع وَسْق ، وهو حمْلُ البعير .

(١) الخطر : الأهمية وارتفاع القدر .

(٢) اللجين : الفضة .

(٣) الآتي : السَّيْل . والسَّرمدي : الدائم .

(٤) الحقُّ هنا هو الله .

(٥) المدية : السكين . وغاله : أهلكه .

(٦) يقول : إنَّ هلاك الجبار منْ آياتِ الله .

(٧) وجف القلب : اضطرب .

ومـــنَ القُـــرآنِ طـــهَ الشيـــخُ يتلـــو ... فإذا القمراءُ جوفَ البحرِ يَجْلُو[1]
ونَضَـــتْ عنهـــا الجبـــالُ ثَـــوْبَهَـــا ... رَجُـــلانِ حـــائـــرانِ بينهـــا
لـــم تشـــاهـــدْ وجـــهَ شيخـــي مَـــرَّةً ... بعضُهـــا ألقـــى لبعـــضٍ نَظْـــرَةً
قـــال فـــرعـــونُ أيُجـــري البحـــرَ نُـــوْر ! ... أصبـــاحٌ مِـــلْءَ عينـــي أمْ ظُهُـــوْر !

الروميُّ

الخفـــي منـــه وَضَّـــاحُ الجَـــلاء ... واليَـــدُ البيضـــاءُ أصْـــلٌ للضِّيـــاء[2]

فرعون

آهِ عقلـــي آهِ دِينـــي قَـــدْ فَقَـــدْت ... ونظـــرتُ والضيـــاءَ مـــا عَـــرَفْـــت
امنحـــونـــي نظـــرةً يـــا مـــنْ مَلَكْتُـــمْ ... وهبـــونـــي لَفْتـــةً يـــا مـــنْ ظَلَمْتُـــمْ[3]
بِئْسَ مِنْ حرصٍ لهم أعمىٰ البَصائِرْ ... يُخْرِجُوْنَ التِّبْرَ منْ جَوْفِ المقَابِرْ[4]
ذلـــكَ التِّمثـــالُ فـــي دارِ العَجـــائِـــب ... صَمْتُـــه يـــروي لنـــا كـــلَّ الغَـــرائِـــبْ
جـــاءنـــا عَـــنْ غـــاصبيـــنَ بـــالخَبَـــرْ ... عيـــنَ عميـــانٍ أنـــارَ بـــالبَصَـــرْ
مـــا يـــريـــدونَ لنـــا غَيْـــرَ الشِّقـــاق ... والأســـاسُ أحكمـــوهُ بـــالنِّفـــاق
ولهـــذا دبّ فـــي الحكـــم الخَـــوَرْ ... والفســـادُ ، وتَفشَّـــى كـــلُّ شَـــرْ[5]

لـــو بـــدا مـــوســـى كليـــمُ الله لـــي
لالتمســـتُ منـــه قَلْـــبَ العـــاقِـــلِ

---

(١) القمراء : نور القمر . ويجلو هنا بمعنى يخرج ، فكأن جوف البحر يُظهرُ نور القمر .

(٢) يلمح إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٢٢] .

(٣) يوجه الخطاب إلى المستعمرين من أهل الغرب .

(٤) التبر : الذهب . وإقبال يتحدث عن علماء الغرب المنقبين عن آثار الفراعنة .

(٥) الخور : الضعف . وتفشى : انتشر .

الرُّوْميُّ

إنَّ نُـوْرَ الـرُّوْحِ لِلْحُكـمِ الفـلاحْ ... واليدُ البيضا بها المُلْكُ المُبَاحْ
حـاكـمٌ يقـوى بِضَعْـفِ مـنْ حُكِـمْ ... وبحـرمـانٍ لكـلٍّ مـنْ حُـرِمْ
يَلْبـسُ التَّـاجَ بجمـعٍ لِلْخَـراج ... ورجـالَ الصَّخْـرِ كـانـوا مـنْ زُجَاجْ
المغيْـرُ مَـنْ لـه جيـشٌ وَقَيْـدْ ... حـاكـمٌ عـنْ مِثْـلِ هـذا مـنْ يَصُـدّ

اللورد كتشنر(١)

إنَّ للغـربـيِّ قصـداً قَـدْ ظَهَـرْ ... ولأجـلِ التِّبْـرِ كـمْ قبـرٍ حَفَـرْ
إنَّ تـاريخـاً لِمصْـرَ والكَلِيْـم ... مـا نـراهُ اليـوم فـي سِفْـرٍ قَـدِيْـم(٢)
إنَّمـا بـالعلـمِ للسـرِّ الظُّهـور ... حكمةٌ والبَحْثُ ، أو شيءٌ حَقِيْر(٣)

فرْعون

بـالعُلـومِ كشَّفـوا عنَّـا الحَجَـرْ
كـان للمهـديِّ قبـرٌ ، مـا الخبـر ؟

---

(١) قائد بريطاني حارب أتباع المهدي في السودان ، وغلب على مدينة أم درمان عام ١٨٩٨ . وعرف بتناهيه في الضراوة والفظاظة حين عقد العزم الأكيد على استئصال شأفتهم وإذهاب ريحهم . ولما حقَّق من ذلك بغيته ، أمعن في التشفي منهم ، وضرب الذلة عليهم ليدرك بثأر القائد غوردون الذي انكسرت جيوشه قبله ، وقتل شر قتله . وقد أمر كتشنر بنبش قبر المهدي ، وإلقاء عظامه في النيل ، وإرسال جمجمته إلى متحف في لندن . وشاءَ الله له أن يذوق كأساً كان يسقي بها . فقد مات غريقاً عام ١٩١٦م بعد أنْ هَوَتْ به السفينةُ إلى قاعِ اليمِّ .

(٢) السفر : الكتاب .

(٣) يقول : إنَّ الحكمة بلا بحثٍ تُعَدُّ شيئاً حقيراً .

ظهورُ دَرْويشِ السُّودان

هـو ذا فـي المـاءِ بـرقٌ يـأتَلـقْ ... ثُـمَّ يعلـو المـوجُ حتَّـى يَنْـدَفِـقْ
وَمِـنَ الفِـرْدَوْسِ ضـاعَ نَفْـحُ عِطْـر ... لاحَ بـالـرُّوحِ لنـا درويـشُ مِصْـر[1]
إنَّ منهـا الـدُّرُّ فـي القـاع اسْتَقَـرْ ... « كشنر » في صَدْرِهِ ذابَ الحَجَرْ[2]
قـال « كشنـر انْظُـرَنَّ يـا فَهِـم ... إنَّمـا هـذا تـرابـي يَنْتَقِـمْ[3]
مـا حبـاكَ الله مـن قبـرٍ يَضُمُّـكْ ... بـل رُمِيْـتَ بيـنَ أمـواجٍ تَطُمُّـكْ »[4]
ثُـمَّ ضـاعَ فـي اللِّسـانُ المَنْطِـقُ ... والـزَّفيـرُ مـنْ حَشَـاه يَحْـرِقُ
قـال « هبِّـي أنـتِ يـا روحَ العَـرَبْ ... قلدي الأسلافَ في ماضي الْحُقَبْ[5]
يـا فـؤادُ ! ابـنَ السُّعـود ، فيصـلُ ... كلكـم مِثْـلَ الـدُّخَـانِ يَـزْفُـلُ[6]
أوْقِـدُوا فـي الصَّـدْرِ نـاراً أُخْمِـدَتْ ... أرْجِعُـوا أيـامَ دُنيـا ضُيِّعَـتْ
واديَ البطحـاءِ أنجـبْ خـالـدا ... نشتهـي التَّـوْحيـد فيـكَ غَـرَّدا
أمـةَ الإيمـانِ ، يـا سـودَ الجلـود ... منكـمُ أستـافُ عِطْـراً لِلْخُلـود[7]
فـإلامَ تَجْهَلُـونَ سَيْـرَكُـمْ ... وتـولُّـون سِـوَاكُـمْ أمْـرَكُـمْ
ليـت شعـري هَـلْ تخـافـونَ البـلاء

---

(١) ضاع العطر : انتشرت رائحته . نفح : فاح .
(٢) كشنر هو اللورد كتشنر . وهكذا أورد الشاعر اسمه مراعاة لوزن الشعر . واستعر : التهب .
(٣) الفَهِمُ : السريع الفهم .
(٤) طم الماء : غمر .
(٥) الحُقَبُ : جمع حِقْبة : وهي السَّنةُ والمدَّة من الزَّمان لا وقْتَ لها .
(٦) فؤاد الأول المتوفى عام ١٩٣٦ كان ملكاً لمصر . وابن السعود المتوفى عام ١٩٥٣ كان ملكاً للمملكة العربية السعودية : وكان فيصل ملكاً للعراق وتوفي عام ١٩٣٣ .
(٧) السُّود : هم العرب . واستاف : شمَّ .

البـــلاءُ كـــانَ لِلْمـــرءِ الصَّفـــاء[1]

قـد سَكَنَّـا يثـربـاً والحِـبُّ نَجْـدَا ... أيـنَ يـا حـادي حـداءٌ هـزَّ وَجْـدَا[2]

ديمـــةٌ تهمـــي وأرضٌ خُضِّـــرتْ ... فكـــأنَّ الخَطَـــواتِ أُثْقِلَـــتْ[3]

الفـــراقُ وهـــو يُضنينـــي طَـــوِيْـــل ... امـضِ فـي أرضٍ بهـا عُشْـبٌ قليـل

نشـوةُ النَّـاقـةِ عشـبٌ ، لـي حبيـب ... لكَ حبلٌ ، وَلِمَنْ أهْوَىٰ قُلُوبْ[4]

جعلـوا للمـاءِ فـي الصَّحـرا سبيـلا ... فـي الجبـال بَلَّـلَ المـاءُ النَّخيـلا

وتتـالـتْ فـي التِّـلال ظبيتـان ... فتـأمـلْ ، كيـف مِنْهـا تَهْبِطـان

تـرشفـان مِـنْ ميـاهِ النبـع قَطْـرا ... تـرمُقـانِ مـنْ بتلـكَ الأرض مُـرَّا

وَمِـنَ المـاءِ الـرِّمـالُ كـالحـريـر ... هـانَ فيهـا كـلُّ سيـرٍ لِلْبَعيـر[5]

مثـلُ رِيشـاتِ السَّمـانَـاةِ الغَمـامْ ... أرهـب الغيـثُ فَقَـدْ شطَّ المَقَـام[6]

قـد سكنَّـا يثـربـاً والحـبُّ نَجْـدَا

أيـنَ يـا حـادي حُـدَاءٌ هـزَّ وَجْـدَا »

* * *

---

(١) يذكر الشاعر بحديثٍ للنبيِّ قال فيه : (أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثلُ فالأمثلُ إلى أن قال : فما يبرح البلاءُ بالعبد حتى يتركَه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) .

(٢) يثرب : المدينة المنورة . والحبُّ : الحبيب . والحادي : منْ يسوق الإبل . ويغني لها .

(٣) الديمة : المطر يدوم في سكون . ويهمي : ينهمر . وخضَّر الشيء : جعله أخضر اللون . يقول : إنَّ المطر يُنبتُ العشب في الأرض ، فيصبح سيرُ الإبل في الأرض المعشبة صعباً .

(٤) يوجه الكلام إلى الحادي قائلاً : إنَّ الناقه تجد في العشب لذَّتها ونشوتها . أما هو فنشوته بالحبيب . الحادي يملك الحبل الذي يعقل به ناقته ، أما الحبيب فيملك قلب من يهواه .

(٥) هان : سهل .

(٦) السماناة : مفرد السُّمانى ، وهو نوعٌ معروفٌ من الطيور . وشطَّ : بَعُدَ .

القسم الرابع

فَلَكُ المِرِّيخ

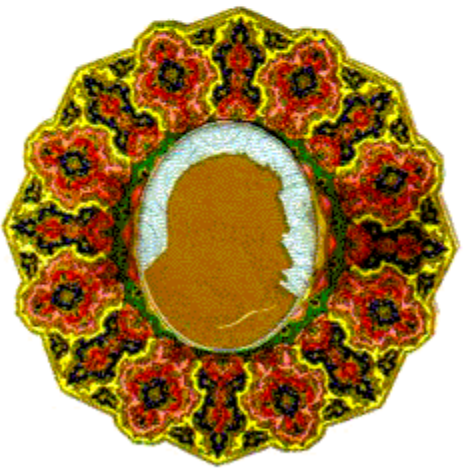

دیر سال و قامتش بالا چو سرو　　طلعتش تابندہ چوں ترکانِ مرو

حکیم مرخی

کہنہ سال، اونچا قد و قامت مثالِ نخلِ سرو　　اور چہرہ تمتما تا صورتِ ترکانِ مرو!
نکتہ داں و آشنائے رسم و راہِ ہر طریق　　آنکھ کی تابانیاں آئینۂ فکرِ عمیق!

أهْلُ المِرِّيخ

تَحْتَ هذا الماءِ عَيْني أُطبِقَتْ ... ثمَّ عنِّي الذَّاتُ منِّي أُبْعِدَتْ
نَحْوَ دُنْيا طابَ لي أنْ أرْحَلا ... والزَّمَانُ والمكانُ بُدِّلا
شَمْسُنا في الأفْقِ منها أشْرَقَتْ ... ولها ليلاً وصبحاً أوْجَدَتْ
فإذا بالجسمِ روحاً يَجْهَلُ ... عن زمانٍ ومكانٍ يُفصَلُ
روحُنا كلَّ لهيبٍ تُخْمِدُ ... إنَّها في كلِّ وقتٍ تُسْعِدُ
لم تَشِخْ ، واليومُ مرَّ كالطيور ... إنَّ للأيامِ مِنْها ألفَ نُوْر[1]

هذه الأيامُ مِنْها كمْ توَالَتْ
الدُّنى منها وَلَوْلاها لَزَالَتْ[2]

ذلكَ المَرْصَدُ في مرجِ سَمَقْ ... الثُّريا قَدْ يَصيْدُ بالوَهَق[3]
القِبَابُ الخضْرُ لَاحَتْ أشْهَدُ ... عالمٌ هذا لَدَيْنَا أسْوَدُ
لاتساعٍ ما أرىٰ حدّاً طَلَبْت ... في فضاءٍ لِلسَّماءِ كمْ نَظَرْت
قالَ شَيْخُ الرُّومِ وَهْوَ مرشدي ... « أنتَ في المرِّيخ فاسمعْ واشْهَدِ
مثلُ دنيانا له لونٌ وَرِيْح ... فيهِ بلدانٌ وبُنْيانٌ وَسُوخ[4]
وكأهلِ الغَرْبِ فيه منْ سَكَنْ ... سبقونا كلَّنا في كلِّ فَنْ

---

(١) شاخ : صارَ شيخاً .
(٢) الدُّنى : جمع دنيا .
(٣) سَمَقَ : ارتفع . الوَهَقُ : حبلٌ في طرفه أنشوطة يطرح في عنقِ الدَّابة حتى تؤخذ . والشاعر يشبه المنظار الطويل الذي تشاهد به النجوم في المرصد بالوَهَق .
(٤) السُّوح : جمع ساحة . والرِّيح : الرائحة .

قَهَـرُوا حتَّـى الـزمـانَ والمكـانـا ... فـي علـومٍ لِلفَضَـا كـلٌّ شـآنـا[1]

إنَّ وعـراً فـي العقـولِ مَهَّـدُوا ... الخفـايـا فـي الفَضَـاءِ شـاهَـدوا

قلـبُ أهـلِ الأرضِ بـالطِّيـن المُقيَّـدْ ... وهناكَ الجِسْمُ بالقَلْبِ المُصَفَّدْ[2]

كـانَ بـالطِّيـنِ لقلـبٍ مَنْـزِلُ ... كـلَّ مـا شـاء بيـنِ يَفْعَـلُ

تَهَـبُ الـرُّوْحُ الخُمـارَ والسُّـرورا ... تمنـحُ الغيـبَ لجسـمٍ والحُضُـورا[3]

الـوجـودُ عنـدنـا فـي مَظْهـريـنْ ... جسمنـا والـرُّوحُ مـا لاحَـتْ لِعَيـنْ

جسمنـا والـرُّوحُ طَيْـرٌ فـي قَفَـصْ ... ساكنُ المرِّيخ عنْ فِكْرَىٰ نَكَصَ[4]

وإذا مـا جـاء يـومٌ لِلْفِـراقْ ... أصبـحَ الإنسـانُ حيَّـاً بـاخْتِـراقْ

بـالمنـونِ ذلـكَ الإنسـانُ يُخْبَـرْ ... ويقـالُ بَعْـدَ يـومٍ سـوف تُقْبَـرْ[5]

روحُهـم بـالجسـمِ مـا إنْ رَبَّبـوه ... ولهـذا جِسْمُهـم لـم يـألفُـوه[6]

انـدمـاج الجسـمِ فـي النَّفْسِ الفَنَـاءْ ... وَمِـنَ الـدُّنيـا فـرارٌ وانطـواءْ[7]

وكـأنـي قُلْـتُ مـا لا يُفْهـمُ ... لـكَ روحٌ وبجسـمٍ تُحْكَـمُ !

بـرهـةً لا غَيْـرَ تبقـىٰ هـاهنـا

لـمْ يُشـاهِـدْ مثـلَ هـذا غَيْـرُنـا

* * *

---

(١) شأىٰ : سبق .

(٢) صفد : قيد .

(٣) الخمار : صداع السكر والمراد هنا السكر .

(٤) الفكرى : إعمال الخاطر في الشيء .

(٥) المنون : الموت .

(٦) ربيه : رباه .

(٧) يقول : إن الفرار من الدُّنيا ، والانطواء على النفس موتٌ كإدماج الجسم في النفس .

ظهور فلك المِرِّيخ منَ المَرْصَد

ذاكَ شَيْخُ العِلْمِ بالثَّلج التحىٰ ... ممسياً كانَ بعلمٍ مصبحا[1]

كشيوخِ الغَرْبِ في الفِكْرِ السَّبُوْح ... كنصارى الغربِ في لُبْس المُسُوخ[2]

وهو هِمٌّ بقوامٍ مِثْلَ سرو ... مشرقُ الوَجْهِ كأتراكِ بمرو[3]

وعلى علمٍ بمعنى لِلطَّريقْ ... لَمَعَتْ عيناهُ بالفِكْرِ العَمِيقْ

وكوردٍ كان قد ألقى الكِمَاما ... قال كالخيَّام والطوسي كلاما[4]

« قالبُ الطِّينِ أسيرُ الكيفِ والْكَمْ ... وهو في « تحت » و« فوق » لم يُقَمْ

وأطارَ التُّرْبَ ، ريشٌ ما نَبَتْ ... جوهرَ السَّيارِ أعطى ما ثَبَتْ »[5]

عَقْلُهُ والقول كالماءِ النَّميرْ ... منهما شاهَدْتُ عَرْضَ المُسْتَحِيرْ[6]

كانَ حلماً ما أرىٰ أمْ كان سِحْرا ... ساكنُ المريخ هذا قال شِعْرا !

قال « في عهدِ النَّبيِّ المصطفى ... بيننا منْ كانَ مِنْ أهلِ الصَّفا

---

(١) أمسى وأصبح : دخل في المساء والصباح .

(٢) الفرس السَّبوح : السريع . والمسوح : جمع مسح بالكسر وهو الكساء من شَعْرٍ ، كثوب الرُّهبان .

(٣) الهِمُّ : الشيخ الفاني . ومَرو : عاصمة خراسان بإيران . والأتراك مضرب المثل في الحسن عند شعراء الفرس .

(٤) الخيَّام : هو العالم الفلكي المفكِّر عمر الخيام صاحب الرُّباعيات المشهورة من أهل القرن السادس الهجري . والطوسي هو نصيرُ الدين الطوسي من أهل هذا القرن . وله المؤلفات في المنطق والحكمة ، والأخلاق ، والعقائد . وله شهرةٌ مستفيضةٌ بحذقه في علم الفلك . وقد ارتقى هذا العلم بفضلٍ منه ، وأسَّس هولاكو مرصداً في مدينة مراغة كان نصير الدين يرأس العمل فيه .

(٥) التُّرب : التراب . يقول : إنه أطار الترابَ وما للتراب ريش ولا جناح ليطير ، ثم أشار إلى الكواكب السيارة والثابتة .

(٦) الماء النمير : الماء الكثير . والمستحير : الطريق المعترض لا يدرى أين منفذه . واعتراضه يثير الحيرة .

هـذهِ الـدُّنيـا بعقـلٍ أبصـرا ... ورأى الإنسـانُ مـاذا دبَّـرا
الجنـاحَ فـي سمـوات بَسَـطْ ... فـي الحجـاز وَسْـطَ بيـداءٍ هَبَـطْ[1]
مـا رأى فـي الخـافقيـنِ قَـدْ رُقِـمْ ... فـي كتـابٍ كـان أبهـىٰ مِـنْ إرَمْ[2]
فـارسـاً شـاهَـدْتُهـا والغَـرْبَ زُرْت ... أرضَ مِصْرَ جبْتُها في الهند كُنْت[3]
وعـن الأرضِ تَيَقَّنْـتُ الخَبَـرْ ... وَبِبَحْـرٍ وَبِبَـرٍّ لـي سَفَـرْ[4]
وعـراكَ المـرء فـي الـدُّنيـا رَعَيْنـا
وهـو حقّـاً لَيْـسَ يـدري مـا لـدينـا[5]

***

الرُّوميُّ

من سماءٍ كنتُ من أرضٍ رفيقي ... ثملٌ ما ذقتُ طعماً للرَّحيق[6]
رجـلٌ نجْـدٌ يُسمَّـىٰ زنـده رودا ... خرَّ سكراً إذ رأى هذا الوُجودا[7]
أرضُكـم هـذي إليهـا قـدْ وصلنـا ... نحـنُ فـي الـدُّنيـا وَلٰكِنَّـا خـرجنـا
التَّجلِّـي نَحْـنُ عنـه البـاحثـونـا ... والـدَّليـلُ أنـتَ نـرضـىٰ أن تَكُـونـا

***

---

(١) البيداء : الصحراء .
(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . ورقم : كتب . وإرم : تلميح من المؤلف إلى قوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر : ٧] وقال بعض المفسرين : إنَّ إرم ذات العماد مدينةٌ عظيمةٌ قصورها من الذَّهب والفضَّة وأساطينُها من الياقوت والزَّبَرْجَد .
(٣) جاب البلاد : قطعها .
(٤) تيقن الأمر : علمه وتحققه .
(٥) رعى : راقب .
(٦) الرَّحيق : الخمر . يقول : إنه سكران ولم يذق خمراً .
(٧) النجْدُ : الشُّجاع . خرَّ : سقط .

حكيمُ المِرِّيخ

مرغدين تلك أرضُ برخيا ... برخيا جدٌّ لأجدادِ ليا[1]
فرز مرزَ بالشرور الآمرُ ... ولديه في الجنانِ الحاضرُ[2]
قال : « أنت هانىءٌ كالعادة ... طالما أُلزمتَ سيرَ الجادَّةِ[3]
عالمٌ ، ما أنت فيه يَفْضُلُ ... يجعلُ الجنَّةَ زهراً يَذْبُل[4]
وعلا حتَّى على تِلْكَ الجِنانْ ... إنَّه فَوْقَ الزَّمانِ والمكَانْ
أيراه الله ؟ إني ما دَرَيتْ ! ... مثلَهُ حرّاً وحقِّي ما رأيتْ ![5]
قَدْ خَلا حتَّى منَ الربِّ الدَّخيلْ ... لَيْسَ فيهِ منْ كتابٍ أو رَسُولْ !
لَيْسَ فيه من طوافٍ أو سُجُودِ ... لا ولا فيهِ الدُّعاء لِلْحَميدِ
قالَ فانهضْ دبرنَّ خدعتَكْ ... اذهبنَّ فيهِ أفرِغْ صَورَتَكْ[6]
ما بهذا السِّحْرِ أُغوي جدُّنا ... فالإلهُ عالَماً أعطىٰ لنا
إنَّه منْ فَضْلِ ربِّ العالمينا
امضِ فيه وتأمَّلْ مَرْغَدِينا

* * *

---

(١) برخيا : اسم الجدِّ الذي يتخيله إقبال لسكان المريخ . ولم يُلْقِ سمعاً إلى وسوسة الشيطان .

(٢) فرز مرز : اسم يتخيَّله الشاعر كمرغدين .

(٣) الجادة : وسط الطريق : وألزمه السير في الجادة كناية عن إلزامه عدم الانحراف إلى الشر .

(٤) يحدثه عن عالم آخر أحسن مما هو فيه ، وحسنُه ربيعٌ دائم ، وكأنَّ الجنَّة قياساً عليه ربيع لا يدوم ، أو زهرة سرعانَ ما تذبل .

(٥) يبالغ الشاعر في وصف هذه الشخصية الخيالية بالكفر . والمبالغة من مقوِّمات الشعر وسماته .

(٦) هذا كلام برخيا .

التَّجْوَالُ في مدينة مرغدين

البناءُ في السَّماء كان طولا ... في السُّمُوِّ ما عَسَيْتُ أنْ أقولا
ساكِنُوها قولُهم مثلُ الشِّهادْ ... زانَهم حُسنٌ وطِيْبٌ في الفُؤادْ[1]
ما بتحصيلٍ وكدٍّ فِكْرُهُمْ ... سرُّ تلكَ الشَّمْسِ أفشى عِلْمَهُمْ
من أرادَ المِلْحَ في نورٍ وَجَدْ ... مثلُ ملحٍ من بحارٍ يُسْتَمَدْ
العلومُ والفنونُ تَخْدُمُ ... وازنوها بالنُّضَارِ من هُمُ ؟[2]
إنَّما الدِّينارُ كانَ كالصَّنم ... أبعدوا الأصنامَ عنْ هذا الحَرَم
آلة الشَّيطانِ لم تقهر طبيعه ... ما الدخانُ في السموات الوسيعه[3]
إنَّ للفلاح مصباحاً أنارا ... مالكاً لم يَخْشَ حتى إنْ أغارا
آمناً يروي نباتاً يَمْلِكُهْ ... ما لَهُ في مِلْكِهِ من يُشْرِكُهْ
هاهنا ما لاحَ جنديٌّ لرائي ... لا ولا منْ عاشَ مِنَ مصِّ الدِّماء
مرغدينُ ليس فيها منْ قَلَمْ ... فِرْيةٌ للخادعين قَدْ رَقَمْ[4]
ليس في السُّوقِ نِدَاءُ منْ تَبَطَّلْ ... لا ولا في الأذْنِ نَوْحُ منْ تَسَوَّلْ[5]

* * *

حكيمُ المِرِّيْخ

لا مكانَ هاهنا للسَّائلينا
والعبيدُ لا تُرى والمالِكينا

---

(١) الشِّهاد : جمع شَهْد .
(٢) النُّضار : الذَّهب .
(٣) يقول : إن الآلة شيطان لا تقهر الطبيعة ، ودخانُها لا يعكِّر صفو السماء الواسعة .
(٤) الفريةُ : الكذب واختلاقه . ورَقَم : كتب .
(٥) تبطَّل : تعطَّل ، ولم يَعْملْ .

زنده رود

بقضـــاءِ اللهِ هـــذا مـــنْ حُـــرِمْ ... وبـــأمـــرِ اللهِ ذَاكَ مـــنْ حُكِـــمْ
إنَّمـــا التقـــديـــرُ للهِ المقـــدَّرْ ... لَيْـسَ مِـنْ تَـدْبِيْـرِ إنسـانٍ مُـدَبِّـرْ

* * *

حكيمُ المريخ

القضـــاءُ إنْ عَـــدِمْـــتَ خَيْـــرَه ... مِنْ إلهِ الكَوْنِ فاطلبْ غَيْرَه[1]
بِسُـؤالِ اللهِ كُـنْ أنـتَ الجـديـرا ... يملـــكُ اللهُ الكثيـــرَ والكثيـــرا[2]
كـلُّ مـالِ الـذَّاتِ فـي قَـوْمٍ هَـدَرْ ... إنَّهـم لَـمْ يُـدْرِكـوا معنى القَـدَرْ[3]
رمـــزُه حـــرفـــانِ ، هَـــلْ أدْرَكْتَـــهُ ... « إنْ تَغَيَّـــرْتَ فَقَـــدْ غَيَّـــرْتَـــهُ »
كُـــنْ تـــرابـــاً لِتَطِيْـــرَ فـــي الهـــواء ... حجـراً كُـنْ بـكَ تحطيـمُ الإنـاء !
أنـت طَـلٌّ ؟ فـالسقـوطُ فَـوْقَ زَهْـر ... أنْـتَ بحـرٌ ؟ فـالخُلـود كـلَّ دَهْـر[4]
قـد صَنَعْـتَ لـكَ دومـاً أنْـتَ لاتـا ... مـا ثبـتَّ ، فَلْتُعَلِّمْـكَ الثَّبـاتَـا
أنْتَ ما لم تَرْفُضِ الإيمانَ نَفْسُكْ ... عـالـمَ الأفكـارِ فيـهِ كـانَ حَبْسُـكْ
قـد ينـالُ المـالَ مـنْ يَلْقَـى التَّعَـبْ ... وعـديـمُ الأيْـنِ مَـوفُـورُ النَّشَـبْ[5]
كـانَ هـذا أصـلَ ديـنٍ يـا غـريـر ؟! ... فليـزد فـي فَقْـرِه هـذا الفَقِيْـر[6]

---

(١) القضاء : ما يقدِّره الله للإنسان .
(٢) يريد الشاعر ليقول : إن الإنسان يستطيع أن يسأل الله قدراً آخر ، وكأنَّه بذلك يستطيع اختيار قدرٍ يوافقه .
(٣) هدر الدم : ذهب باطلاً ليس فيه قَوَدٌ . واستعير ذلك للمال إذا ضاع في غيرِ نفعٍ .
(٤) الطل : الندى أو أضعف المطر . وإقبال يلمح إلى قدر الضعيف وقدر القوي .
(٥) الأين : التَّعب . والنَّشب : المال .
(٦) الغرير : من لا تجرِبة له . وإقبال ينزه الدين عن الدعوة إلى الكسل ، لأنَّ الغنى والفقر ما قدر الله للمرء بقطع النظر عن كسله أو توفره على عمله .

أيُّ ديـنٍ ! وإلـى نـومٍ دعـاكـا فـأطلـت النَّـوْمَ لا تبـدي حَـرَاكـا
أَفَسِخْـرٌ ذاك أمْ ديـنٌ لَكَـا
نشـوةُ الأفيـونِ تمحـو وَعْيَكَـا ؟

أعَلِمْـتَ أنْـتَ مِـنْ أيْـنَ النُّهـى هـذه الحـوراءُ أيـنَ طِينُهـا
قـوةٌ فـي الفِكْـرِ كـانـت للحكيـم طـاقـةٌ بـالـذِّكـر كـانَـتْ لِلْكَلِيـم
ذلـكَ القَلْـبُ عليـه مـا خَطَـرْ وجميـعُ المُعْجِـزَات مِـنْ فَطَـرْ[1]
أفصيـحٌ أنْـتَ ؟ مـا هـذا بِقَـوْلِـكْ تُنْجِزُ الأعمالَ ؟ لكن ما بحوْلِكْ[2]
كـلُّ هـذا كـانَ فيضـاً للـرَّبيـعْ أوْ ربيـعٍ فطـرةُ اللهِ البَـديـعْ
مـا الحيـاةُ ؟ مَعْـدنٌ للجَـوْهَـرِ الأميـنُ أنْـتَ ، مُلْـكُ الآخَـرِ[3]
يَشْـرُفُ الإنسـانُ بـالطَّبْـعِ الجـواد خـدمـةُ الخلـقِ لَـهُ كـلُّ المُـرَاد
تِلْـكَ كـانَـتْ شيمـةً لـلأنبيـاء
تـاجـرٌ مـنْ نَـالَ ربحـاً كـالجـزاء[4] !

هكـذا تِلْـكَ الـرِّيـاحُ والمَطَـرْ والبسـاتيـنُ وكـلُّ ذي ثَمَـرْ
أتقـولُ مـا لَـدَيْنـا مُلْكُنـا ؟! يملـكُ الملـكَ جميعـاً رَبُّنَـا
كـلُّ أرضٍ أرضُ ربِّـي فـاشْهَـدُوا في الكتابِ قولَهُ ﴿ لا تفسدوا ﴾[5]
سلَّـمَ المـرءُ لإبليـسَ القِيَـادَا إنَّمـا إبليـسُ مـنْ يَسْعَـىٰ فَسَـادا

---

(١) فطر : أوجد .
(٢) الحول : القدرة . يقول : إنَّ الفصاحة ليست للفصيح ولكنَّها هبة من الله . وكذلك الشأن في القدرة على إنجاز العمل .
(٣) المعدن : المنجم . يقول : إن الإنسان أمين على هذا المنجم والله صاحبه .
(٤) لا ينبغي لمن يخدم الناس أن يتوقع منهم جزاء على خدمتهم ، وإلا كان كالتاجر الذي لا يتوقع إلا الربح .
(٥) يشير إقبال إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، أي : لا تفسدوا فيها بالمعصية بعد الطاعة ، أو بالشرك بعد التوحيد ، أو بالظلم بعد العدل .

مَـنْ أميـنٌ مُنْجِـزٌ أعمـالَـه ؟ لَيْتَـــه لله ردَّ مـــالَـــهُ
قَـدْ أَخَـذْتَ أنْـتَ شيئـاً غَيْـرَ مِلْكِـكْ يا لعمري ليس هذا شأنُ مِثْلِكْ !
امْلِكَـنَّ الشـيءَ فيـه رَاغبـا أو فخـاطـبْ مِنْـكَ نَفْسـاً عـاتِبـا[1]
إنَّ مُلْـكَ اللهِ هـذا فلتـردَّه كي تَحُلَّ أنْتَ في الأعمال عُقَدَه
ولمـاذا اليـوم نشكـو فَقـرَنـا ؟ مـا لـربِّ الكـونِ قُلْتُـم : ذا لَنـا !
كـلُّ مـنْ طينـاً ومـاءً لازَمَـا كـأسُـهُ بـالصَّخْـرِ طَـوْعـاً حطَّمـا
منـزلٌ ذا أمْ طـريـق ؟ مـا عَـرَفْنـا كـلَّ شـيءٍ كـان يَبْـدُو لـو نَظَـرْنـا
جـوهـرٌ هـذا لَكِـنْ إنْ مَلَكْتَـهْ والحَصَى إنْ لم يَكُنْ في الكَفِّ دُسْتَهْ[2]

* * *

قصَّةُ فتاةِ المِرِّيخ التي ادَّعت النُّبُوَّة

بِقُصُـورٍ وَبِسُـوْحٍ قـد مَـرَرْنـا جـانـبَ الأسـوارِ مَيْـدَانـاً رأينـا
مِـنْ رجـالٍ ونسـاءٍ فِيْـهِ حَشْـدُ وفتـاةٌ ، ولهـا كـالْبَـانِ قَـدُّ
وأنـارَ وَجْهُهـا مـنْ غَيْـرِ رُوحْ والكـلامُ لَيْـسَ فيـهِ مـنْ وُضُـوحْ
لَفْظُهـا صلْـدٌ وَعَيْـنٌ مـا جـرت بَهْجَـةَ الآمـالِ قَـطُّ مـا دَرَتْ
الشَّبـابَ قلبُهـا مـا إن سَعَـرْ ولهـا المـرآةُ لا تُبْـدِي الصُّـوَرْ[3]
وَعَـنِ العِشْـقِ أتـدري مـا الخَبَـرْ !؟ صَعْـوةٌ والعِشْـقُ شَـاهِيْـنٌ كَسَـرْ[4]
هكـذا قـالَ الحكيـمُ شَيْخُنـا « هـذه الحسنـاءُ لَيْسَـتْ مـنْ هُنَـا »

---

(١) يقول : إذا لم تكن مالكاً لشيء من حقِّك أن تَمْلُكَه ؛ فعاتب نفسك على ذلك .
(٢) يقول : إذا ملكت الجوهر فأنت تنعم به ، وعليه فقد حقَّقْت متعتك بامتلاكه . أما إذا ملكه سواك فأي متعةٍ وفائدة لك منه ، وكأنه لا يكون الجوهر حقاً إلا إذا كان لك .
(٣) سَعَر النَّار : أوقدها .
(٤) الصَّعوة : أنثى الصَّعو ، وهو عصفورٌ صغير . والشَّاهين : طائر من جنس الصقر . وكَسَرَ : ضمَّ جناحيه لينقضَّ على فريسته .

فَـرْزُمَـرْزُ فـي حـديـثٍ قَـدْ صَـدَقْ « مِـنْ بـلادِ الغَـرْبِ إيَّـاهـا سَـرَقْ
لَقَّـن الحَسَنـاءَ أسْـرارَ النُّبُـوَّهْ ثُـمَّ فـي العَـالَـمِ ألقـاهـا بِقُـوَّه !
مِنْ سمائي قَدْ هَبَطْتُ اليَوْمَ قَالَتْ دعـوتـي فـي آخـرِ الأيَّـامِ كـانَـتْ
عـن نسـاءٍ ورجـالٍ مـا تَقُـوْل وصريحُ القول ما عافَ الخَجُول !
سـأقـولُ مـا المصيـرْ مـا القَـدَرْ ،
بلسـانٍ تَفْهَمُـونَ يـا بَشَـرْ »

* * *

رسالةُ نَبِيَّةِ المِرِّيخ

يـا نسـاءُ ، أنـتِ يـا أمِّـي الجَلِيْلَـهْ قُلْنَ لي حتَّامَ عيشي كالْحَلِيْلَهْ[1]
عيْشُهـا مـا كـانَ إلا ظُلْمُهَـا إنَّمـا الحِرْمَـانُ فـي الـدُّنيـا لَهَـا
إنَّنـا بـالمشـط نُـرْخِـي شَعْـرَنـا فـي الـرِّجـالِ قَـدْ وَجَـدْنَـا صَيْـدَنَـا
الـرِّجـالُ صـائـدونَ ، حِـذْرَكُـنْ ! ولأجْـلِ الصَّيْـدِ داروا حَـوْلَكُـنْ[2]
وإذا أَبْـدَوْا هيـامـاً مـاكَـرُونـا وَبِشَـوْقٍ وشُجُـونٍ خـادَعُـونـا
كـافـرونَ ، ويُقيمُـون الحَـرَمْ ولكـنَّ فيـهِ ألـوانُ الألـمْ[3]
وعلـى العيـشِ إذا تـمَّ اتفـاقُ فالوصالُ السُّمُّ والشَهْدُ الفِرَاقُ[4]
الأفـاعـي ؟ مـنْ تُطِيْـقُ لَـدْغَهُـمْ لا تُـرِقْـنَ فـي الـدِّمـاءِ سُمَّهَـمْ[5]

---

(١) الحليلة : الزوجة . والشاعر يجري الكلام على لسان فتاة المريخ موجهاً إلى النساء ، وإنما أراد بكلامها التلميح إلى تبرُّج فتاةِ الغرب وصراحةِ تعبيرها عن مبادىء المرأة المنحرفة التي تفضِّل الخليل على الخليل .

(٢) حذركن : احذَرْنَ .

(٣) الحَرَم هنا : بيت الزوجية .

(٤) الاتفاق على العيش : الاتفاق على الحياة الزوجية .

(٥) يشبِّه الرجال في نظر هذه المرأة بالأفاعي .

كـلُّ أمٍّ سـوفَ تَضْـوَىٰ فـي ذُبـولْ
طـابَ عَيْـشٌ ليس فيـهِ مـنْ حَلِيـلْ[1]

إنَّ هـذا الـوحـيَ يـأتيني تِبَـاعَـا ... طـابَ لـي الإيمـان عُمْقَـاً واتِّسـاعـا
عصـرُنـا أبـدىٰ لنـا إعجـازَ فَـنْ ... الجَنِيْـنُ قـد نَـرَىٰ فـي طـيِّ بَطـنْ
فَلَـدَيْـكَ أنْـتَ مِـنْ حَقْـلِ الحيـاة ... مـا أرَدْتَ مـن بنيـنٍ أوْ بنـات
إنْ وَجَـدْتَ غَيْـرَ مـرغـوبٍ لَـدَيْـكْ ... كـانَ دِينـاً قتلُـه مـنْ غَيْـرِ شَـكْ
إنَّ هـذا العَصْـرَ تتلـوهُ العُصـور ... ولأسـرارٍ وأسـرارٍ ظُهُـوز
فـالجنيـنُ هـذه الـدُّنيـا قَـدِم ... مـا رأى قـطُّ ظـلامـاً فـي الـرَّحـم
فَلْيَمُـتْ ! يَبْـدُو كَشَيْطـانٍ مَـرِيْـد ... حيـوانـاً كـان فـي العهـد العَهِيـدْ[2]
لِلْـوُرُود الحُمْـرِ مـنْ أرْضٍ طُلُـوعْ ... للنَّـدَىٰ مـا همَّهـا قـطُّ الـوُقُـوعْ !
وَحْـدَهُ سـرُّ الحيـاةِ قـدْ ظَهَـرْ ... مـا لَـدَيْـهِ مِضْـربٌ هـذا الـوَتَـرْ[3]
دَعْـكَ مـنْ غَيْـثِ الـرَّبيـع يـا مَحَـارْ ... وَلْتَمُـتْ ظمـآنَ تَطْـوِيـكَ البِحَـارْ[4]
غـالبـي مـا النَّـاسُ قـد سمَّـوه فِطْـرَهْ ... والفتـاةُ فَلْتَكُـنْ مـنْ بَعْـدُ حُـرَّه

بـافتـراقِ الجسـديـنِ وَحُـدِي
كـي تُصـانـي ، عـن رجـالٍ فـابْعُـدِي[5]

---

(١) ضوي : ضَعُفَ ونَحَلَ . يقول : إنَّ المرأة إذا ولدت اعتراها الضَّعْفُ والذُّبول . والحليل : الزوج .

(٢) المريد : الخبيث . وهذه المرأة تريد للرجال أن يموتوا ويصبحوا حيواناتٍ منقرضةً . والعهيد : القديم .

(٣) المضرب : ما يضرب به العود وغيره . وكأنَّ سرَّ الحياة وترٌ يرسل الأنغام من غير عازفٍ .

(٤) المحار : صَدَفُ اللؤلؤ . وفي عقيدة القدماء أنَّ مَطَرَ الرَّبيع إذا سَقَطَ في المحارة تكوَّن اللؤلؤ بها .

(٥) يبالغ الشاعرُ في التهكُّم فيقول : إنَّ افتراق المرأة عن الرجل في الحياة الزوجية دينُ التوحيد عندها! لأنَّ تلازمَ الجسدين أو الشخصين في الزواج يعدُّ ثنويةً لا توحيداً !!.

الرُّوميُّ

مَذْهبُ العَصْرِ الجديدِ ! قِفْ لِتَنْظُرْ ... يا لعمري كلُّهم بالله يَكْفُرْ
إنَّ هذا العِشْقَ شَرْعٌ لِلْحَيَاهْ ... في الحياةِ ما لنا دِيْنٌ سِوَاهْ[1]
وَهِيَ في الظَّاهِرِ نارٌ تَحْرُقُ ... وبنورِ اللهِ قاعٌ يُشْرِقُ
نارُهُ قد أوْجَدَتْ كلَّ الفُنونْ ... كلُّ فنٍّ كانَ مِنْ فَرْطِ الجُنُونْ !
إنَّ عِشْقاً بوَّأ العلياءَ دِينا
ذلكَ الدِّينُ فَخُذْ عنْ عاشِقِيْنا[2]

* * *

(١) المرادُ بهذا العشق عشقُ الصُّوفية للذَّات الإلهية .
(٢) العلياء : المكان العالي وكلُّ ما علا من شيء . والمعنى : أنَّ العِشْقَ الإلهيّ يسمو بالدِّين . والعاشقون : عاشقو الذَّات الإلهية .

القسم الخامس

فَلَكُ المُشْتَرِي

حلاجؒ، غالب اور قرۃ العین طاہرہ

غالبؔ و حلاجؔ و خاتونِ عجمؔ
شورہا افگندہ در جانِ حرم!

غالبؔ، حلاجؔ اور ان کے ساتھ خاتونِ عجمؔ
سب کے سب آتش منش شور افگنِ جانِ حرم
ان نواؤں کی بدولت روح کو حاصل ثبات
کارفرما ان میں تھا سوزِ درونِ کائنات!

أرواحُ الحلاَّج[١] وغالبٍ[٢] وَقُرَّةِ العَينِ الطَّاهِرَة[٣]

لم تجدْ لها مستقراً في الجنة
فَجَعَلَتْ تطوف على الدَّوام وإلى الأبد

قلبي المجنونَ إنِّي قد فَدَيْتَ ... كلَّ يومٍ منه صحراءَ وَجَدْت[٤]
إنْ بلغتُ منزلاً لي قال قُمْ ... القويُّ بحرَه كوبٌ يَضَمْ[٥]
ما لآياتٍ لِرَبِّ الكَوْنِ آخِرْ ... ما انتهى هذا الطريقُ يا مُسافر ؟
الحكيمُ مَنْ يرى شيئاً ويَخْبُو ... والعَلِيْمُ ما يَراهُ سوف يَزْبو[٦]

---

(١) الحلاَّج هو الحسين بن منصور ، ذلك الصُّوفي المعروف بشدَّة الغلو والتطرُّف في نزعاته الصُّوفية التي كان حريصاً على نشرها في الناس . فما ركن إلى الكتمان ، ولا كان منطوياً على نفسه . بل كان يصيحُ في الأسواق ، وهو في حالةٍ من الجذبةِ والطَّرَب . وقال بالاتحاد مع بقاء كلِّ عنصرٍ من عنصريه على ما هو عليه ، واتُّهم بالحلول والكفر لقوله : (أنا الحق) فصُلِبَ عام ٣٠٩هـ .

(٢) غالبٌ : هو من أعظم شعراء القارة الهندية ، نظمَ بالفارسية والأوردية ، ويتَّسمُ شعره ببعد الخيال ، ودقة التصوير ، وهو مفكرٌ عميق التفكير في تحليل النفوس ووصف الطباع . كانت وفاته عام ١٨٦٩م .

(٣) الطاهرة : شاعرةٌ إيرانية تُعْرَف كذلك بقرة العين . وقد شايعت من يسمَّى « الباب » في حركةٍ دينيةٍ تُعَدُّ في الإسلام بدعةً مذهبيةً ، فصدر الحكم بقتلها في إيران عام ١٨٥٢م . وشهرتُها بشدَّة الجرأة في التعبير عن الرأي ، كما كان من دعوتها إلى السُّفور .

(٤) المجنون هنا هو العاشق المشبَّه بمجنون ليلى ؛ الذي دلهه الحبُّ ، فهام على وجهه في القفار .

(٥) المنْزِلُ هنا : مكانُ نزولِ المسافر .

(٦) الحكيم هنا هو العالم . والعليم هو الصوفي . وتخبو النار : تخمد وتنطفىء . ويربو : يزيد .

الحكيمُ طِبْق فنٌّ ما اخْتَبَرْ ... لِلْعَليم كانَ ميزانَ النَّظَرْ[1]
الحكيمُ الطَّيْنَ بالكفَّيْنَ جسَّا ... والعَلِيْمُ مسَّ تِلْكَ الروح مسَّا
التَّجَلِّي كانَ هذا مِنْ رَآهُ
غَيْرَ أنَّ ذاكَ في ذاتِ طَوَاهُ

عن جديدٍ مِنْ تَجَلٍّ قَدْ بَحَثْتَ ... طفتُ بالأفلاكِ مِثْلَ الناي نُحْتُ
كلُّ هذا كانَ فيضاً مِنْ طَهُوْر ... ألهبَ الرُّوحَ بمَسٍّ مِنْ سَعِيْر[2]
وصلا مِنْ بَعْدِ أنْ طالَ الرَّحِيلْ ... وبشطِّ المُشْتَري كانَ النُّزُولْ[3]
ذلكَ العالَمُ للتُّرْب المَقَرْ ... حوله شاهَدْتُ أقماراً تَمُرْ[4]
كرُمه ما فيهِ مِنْ كأسٍ لنا ... أرضُه ما أخْرَجَتْ قَطُّ المُنَىٰ
كان جوفُ اللَّيلِ بالقمراءِ ظَهْرَا ... ما عَرفْنا جَوَّهُ بَرْداً وحرَّا[5]
في السَّماء تلكَ عيني تَنْسَرِبْ ... وأرى الكوكبَ مني يَقْتَربْ
دخلتني هيبةٌ مِمَّا أرى ... ما أراهُ كلَّ شيءٍ غَيَّرا
هذه أرواحُ طُهْرٍ تَظْهرُ ... قَلْبُها بالنَّارِ دنيا يَصْهَرُ
ترتدي ثوباً جميلاً أحمرا ... وجْهَها ، والقَلْبُ نارٌ ، نوَّرا
مِنْ ﴿ ألست ﴾ هزَّها فَرْطُ اضْطِرابْ ... سَكِرَتْ، مِنْ لحنها رَشْفُ الشَّراب[6]
« الْزَمِ الذَّات » بها الرُّومي حباني ... « عِشْ بأنفاسٍ لِمَنْ غَنَّى الأغاني »
ما رأيتُ مِثْلَ هذا الشَّوقِ فانظُرْ ... وعلى تِلْكَ الحُمَيَّا أيْنَ تَعْثُرْ

---

(١) المراد بالفن أصول العلم .
(٢) الطهور : الطاهر . والشاعر يشير إلى رجل طاهر النفس . والسعير : النار .
(٣) يريد بمن وصلا : العالم والصوفي .
(٤) التُّرب : التراب . ومن أسماء الدُّنيا في الفارسية (خاكدان) بمعنى مجمع التراب .
(٥) القمراء : نورُ القمر .
(٦) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

قُـرَّةُ العَيْـنِ ومَنْصُـورٌ وغَـالِـبْ حَرَمُ الأرواحِ مِنْهُمْ شِبْهُ جَالِبْ[1]
لَحنُهُـمْ روحـاً يَمُـدُّ بـالنَّبـاتْ
نـارُهـم مـنْ جَـوْفِ تِلْـكَ الكَـائِنَـاتْ

* * *

لحنُ الحلَّاج

مِـنْ تـرابـي لـي لهيـبٌ مـا رَأَيْتُـه مثـلُ هـذاك التَّجَلِّـي مـا طَلَبْتُـهْ
نَظْـرَتـي أمْعَنَـتْ فـي ذاتـي طـويـلاً فِتَـن الـدُّنيـا حبيبـي مـا شَهِـدْتُـهْ !
ذاكَ شِعْـرٌ أيـنَ مِنْـهُ مِلْـكُ جَـمٍّ غيـرُ مقتـولٍ بعشـقٍ مـا نَسَبْتُـه[2]
عقلُنـا إنْ كـان يَغْـزو أيَّ بـأس ؟ عِشْقُنـا هـذا وحيـداً مـا عَـرَفْتُـه
الطَّـريـقَ والمَقَـامَ لَسْـتَ تـدري أي لحـنٍ لِسُلَيْمـىٰ مـا سَمِعْتُـهْ

---

(١) قرَّة العين ومنصور اسمان للطاهرة والحلَّاج . وجلب : لغط وصاح وضج . والجالب : اسم الفاعل من جلب ولكن المراد هو ضجيج الأرواح لا ضجة الحَرَم .

(٢) جَمْ أو جَمْشِيْد مِنْ مُلوك الفرس في العهد الأسطوري ، وكان مشهوراً بعظمته ، واتساع ملكه . ويريد الشعر بالشطر الثاني من ذلك البيت وهو لشاعر يُسمَّى نظيري عاش في الهند ، وأصله من إيران ، وكانت وفاته عام ١٦١٢م .
وهذا الشاعر يقول : مَنْ لَمْ يَمُتْ عِشْقاً لَيْسَ منَّا . وهو يذكِّرنا بترديد شعراء الصُّوفية لهذا المعنى ، ومنهم الشاعرُ العربيُّ عمرُ بن الفارض القائل :

هو الحبُّ فاسلم بالحَشَا ما الهوى سَهْلُ فما اخْتَارَهُ مُضْنىً به وله عَقْلُ
وَعِشْ خَالياً فالحُبُّ راحتُه عَنَاً وأولُه سُقْمٌ وآخِرُه قَتْلُ

وقيل في شرح هذا : إنَّ الموت في الحب عنده حياة تفضَّل الحبيب بها على العاشق . والوفاءُ للحبيب بالوفاة . والموت فيه حياة . والميت خارج عن دعوى قدرته ، وهذا ما يظهر أنَّ القُدْرَة لله . وبذلك يكون قد مات الموتَ الاختياريَّ قبلَ الموتِ الاضطراري . وعليه فموتُه حياةٌ لانكشاف الحياة الحقيقية الأزلية ، وفي هذا يقول شاعر آخر :

ولكـنْ لـديَّ المـوتُ فيـه صَبَـابـةٌ حيـاةٌ لمـن أهـوى عليَّ بهـا فَضْـلُ

صفْ لنا النُّونَ وبيِّن كَيْفَ صَيْدُه لا تَقُلْ لي زورقٌ ما إنْ رَكِبْتُه[1]
إنَّ شيخي قال لي : لولا صِعَابٌ صادفتني في طريقي ما سَلَكْتُهْ !
أرشفُ الصَّهْباءَ في حَشْدِ النَّدامىٰ
قلْ لنا شيخَ النضالِ ما اجتنبتُه[2]

* * *

لحن غالب

السَّماءُ مِثْلَما شِئْتَا نُدِيْر والقضاءُ الكأسَ أرْوَتْنا نُدِيْر[3]
شِحْنَةُ السُّلْطانِ نَحْنُ ما رَهِبْنَا للنَّوَال كفَّنَا مِنَّا نُدِيْر[4]
الكليمُ لَمْ يَنَلْ جواباً لِلْخَليلِ وَجْهَنَا كُنَّا نُدِيْر[5]
سارقَ البُستانِ ماذا أنْتَ تَبْغي سلَّةٌ قدْ أُفْرِغَتْ إنَّا نُدِيْر[6]
نَحنُ في رِفْقٍ طيورَ الرَّوْضِ صبحاً نَحْوَ أعشاشٍ لها كنَّا نُدِيْر[7]

---

(١) النُّون : الحوت .
(٢) الحشد : الجماعة من الناس . والشاعر يطرق المعاني الصُّوفيَّة دون سواها . وقد ترجمنا هذه المنظومة ملتزمين أسلوب إقبال في الأصلِ الفارسي .
(٣) أدار الكأس : قدَّمها بالتناوب إلى جماعةِ الشاربين . وكلمةُ ندير هي الرديف في الأصل الذي التزمنا تكراره مع القافية الموحدة التي تسبقه .
(٤) الشِّحْنَةُ : منْ يضبط البلد منْ قِبَلِ السُّلطان . والنَّوال : العطاء . وإدارة الكفِّ للنوال كنايةٌ عن رفضه .
(٥) الكليم : موسى ، والخليل : إبراهيم عليهما السلام . والشاعر يجنح إلى مبالغة الصُّوفية في معانيهم الرَّمزية . فهو يقول : إنَّه لا يردُّ على موسى إذا كلمه ، ولا يستقبل إبراهيم ضيفاً .
(٦) يقول : إنَّ السارق إذا أفعم سلَّته بثمارٍ سرقها من البستان أفرغنا تلك السَّلَّةَ مما فيها ، فعاد بها فارغةً .
(٧) المعنى في هذا البيت متعلق بالمعنى في البيت الأول ؛ لأنَّه يقول : إنَّه عنيفٌ مع العنيف ، رقيقٌ مع الرقيق .

حَيْـدَرٌ جَـدٌّ لنـا ، لا تَعْجَبُـوا نَحْـوَ غَـرْبِ شَمْسَنا إنَّا نُـدِيْـر[1]

* * *

لحْنُ الطَّاهِرة

« آهِ لـوْ كـانَ اللِّقـاءُ بـالعُيـونْ
لَكَشَفْـتُ لـكَ مكنـونَ الشُّجُـونْ[2]
كـي أراكَ مِثْـلَ أنْسَـامِ الصَّبـا
بـالـدِّيـارِ طُفْـتَ تـوَّاقَ الحَنِيْـنْ[3]
مِـنْ نـواكَ فـي عيـوني ذابَ قلبـي
مَـنْ رأى بحـراً جـرى بَيْـنَ الجُفُـونْ[4]
إنَّ للـرُّوح شُفُـوفـاً خـاطَهـا
بهـواكَ مِخْيـطُ القلـب الحَـزِيْـنْ[5]
طُفْـتُ بـالقلـبِ طـويـلاً لـمْ أجـدْ
غَيْـرَ مـن أهـوى ، ويخفـىٰ بـالكُمُـونْ[6]
وجْـدُ مَـنْ يَعْشَـقُ بـالقَلْـبِ الصَّـدِيْـع تِلْكَ روحي مِنْهُ في الحُزْنِ الوَجِيعْ[7]
مشكـلاتٌ لـي تَـوارتْ قـدْ بَـدَتْ كـلَّ فِكْـرِي كـلَّ ظنّـي أطْبَقَـتْ[8]

---

(١) حيدر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه .
(٢) الشُّجون : الأحزان .
(٣) الأنْسَام : جمع نَسَم ، وهو نَفَسُ الرِّيح إذا كان ضعيفاً . والتواق : المشتاق .
(٤) النَّوى : البعاد .
(٥) الشُّفوف : جمعُ شِف ، وهو الثَّوب الرَّقيق الذي يُسْتَشَفُّ ما تحته . والمِخْيطُ : الإبرة .
(٦) كَمَنَ كُموناً : توارىٰ .
(٧) الصَّديع : المصْدوعُ ؛ أي المشقوق . الوَجِيْعُ : المؤلم .
(٨) أطبق الشيء : غطاه .

بَحْـرُ فكـري فيـه مـوجٌ مُضْطـربْ شطُّه منْ عَصْفِ هوجاءِ خرِبْ[1]
لا تضيِّـعْ مِـنْ زمـانٍ مُـدَّةً إنْ أرَدْتَ أنْ تَحُـلَّ عُقْـدةْ[2]
وإلامَ أنـت لِلْفِكْـرِ الأسيـر
ومِـنَ البَلْبَـالِ فَلْيَخْـلُ الضَّمِيْـر[3]

* * *

زنده رود يعرضُ مشكلاتِه على الأرواح

عَـنْ مقـامِ المـؤمنيـنَ قَـدْ بَعُـدْتـا ؟
مِنْ جنانِ الخلدِ هَلْ طَوْعاً خَرَجْتا ؟

الحلَّاج

مَـنْ رأىٰ خيـراً وشـراً بـالجَنَـانْ ما استقرَّتْ منْهُ رُوحٌ بالجِنانْ[4]
جنَّـةُ الـزَّاهِـدِ حُـوْرٌ أو غـلامْ جَنَّـةُ الأحـرار فـي سَيْـرٍ دَوَامْ[5]

---

(١) الهوجاء : الريح التي تقلع البيوت .
(٢) هذا البيت هو قول جلال الرومي للشاعر .
(٣) إلامَ : أيَّ وقت . والبلبال : الهمُّ وَوَسْوَاسُ الصَّدر .
(٤) الجنان بالفتح : القلب وبالكسر : الجنَّات .
(٥) يجري إقبال على مألوف شعراء الصُّوفية من الفرس الذين يتهكمون بالزاهد في شعرهم الرَّمزي الذي يحتمل معنيين أحدهما قريبٌ غيرُ مقصودٍ والآخر بعيد هو المقصود . وإنما أرادوا بذلك أن يقولوا : إنَّ العاشق الإلهيَّ ، أو الصُّوفي يتلقى الحقيقة إلهاماً من ربه ، ونوراً يشرق به قلبه ، ولا حاجة به إلى ترديد النظر في العلم ؛ لأنَّ القلب عنده مصدرُ المعرفة . أما الزاهد أو غير الصوفي الذي يأخذ بظاهر النَّص ولا يتجاوزُ القشور إلى اللباب فهو يعتمد على العقل وحده مصدراً للمعرفة . ومن ثمَّ كان الخلاف بين الصُّوفيَّة وغيرهم . وهم يبالغون في التحسين والتقبيح محاولين البلاغة ، وكلامُهم غير محمولٍ على ظاهره . ويدعون إلى التحرُّر من قيود منْ يَعْجِز في نظرهم عن إدراك =

جَنَّـةُ الـزَّاهِـدِ نـومٌ فـي التَّبَطُّـلْ ... جَنَّةُ العاشِقِ في الكَوْنِ التأمُّلْ[1]

حَشْـرُ مـنْ يَـزْهَـدُ شَـوْقٌ لِلْقُبُـورْ ... إنَّ هـذا العِشْـقَ صُبْـحٌ للنُّشُـوْر[2]

وَأسـاسُ العِلْـمِ خَـوْفٌ أوْ رَجَـاء ... مـا لِعُشَّـاقٍ علـى هـذا اتِّكـاء[3]

يُـرهِـبُ العلـمَ مـنَ الكـونِ الجـلالْ ... يُغـرِقُ العِشْـقَ الـرُّواءُ والجمـالْ

مـا مضَـى لِلْعِلْـمِ أوْ مـا قَـدْ حَضَـرْ ... وإلـى الآتـي مـنَ العِشْـقِ النَّظـر

مـذهـبٌ لِلْعِلْـمِ كـانَ وَهـوَ جَبْـر ... مـا لـدَيْـهِ كلُّـه جَبْـرٌ وَصَبْـر

يـا لهـذا العِشْـقِ مِـنْ حُـرٍّ غَيُـورْ ... ويـرى الكـونَ بِعَيْـنٍ لِلْجَسُـورْ

عِشْقُنـا معنـىٰ الشَّكـاةِ مـا درىٰ ... دمعُـه فـي نَشْـوَةٍ لمَّـا جَـرَىٰ.

كـان مجبـوراً وَحُـرَّاً قَلْبُنـا ... لَيْـسَ مِـنْ أجفـانِ حُـوْرٍ سَهْمُنـا[4]

الفـراقُ كـانَ نـاراً فـي الفُـؤادْ ... روحُنـا يحلُـو لهـا مـرُّ البُعـاد

وبـلا وخْـزٍ وَحَـزٍّ كَيْـفَ تحيـا ... قِفْ على نارٍ كَوَتْ ساقَيْكَ كيَّا !

الحيـاةُ هكـذا ، تقـديـرُ ذاتِـكْ ... وهو تعميرٌ لها ، سِرْ في حَيَاتِكْ

ذرةٌ لِلشَّـوقِ شمـسٌ حـاسِـدَهْ ... صَـدْرُهـا فيـهِ السَّمـاءُ راقِـدَهْ

إنْ يكـنْ لِلشَّـوقِ فـي الـدُّنيـا الهُجُـومْ
يَمْنـحُ الخُلْـدَ لفـانٍ لا يَـدُومْ

= الحقيقة ، ولا يُدْرِكها إلا القلب العامر بعشق الذَّاتِ الإلهيَّة .

(١) التبطل : التعطُّل عن العمل ، والشاعر يرمز إلى ضرورة التأمُّل في الكون لأنه مظهرٌ لِلْقُدْرَة الإلهية . وشعرُ الصوفية من الفرس خصوصاً زاخرٌ بِمثل تلك الرموز التي تجد مبالغاتُها مساغاً في ذوقهم .

(٢) نشر الله الموتى نشراً ونشوراً : أحياهم .

(٣) يشير إقبال إلى منْ يعبد الله رغبةً في ثوابه ورهبةً من عقابه ، ويقول إنَّ الصُّوفي يعبدُ الله ويحبُّه لمجرَّد العبادةِ والمحبَّة .

(٤) يقول : إنَّ قلبنا كان حُرَّاً مع خضوعه لقضاء الله وقدره ، ولا يريدُ أن يكون القضاء سهماً ، ولو كان من عيون الحُوْرِ العين .

زنده رود

بـالـرَّدىٰ والعيـشِ تقـديـرٌ جـرىٰ
ذلـكَ التَّقـديـرُ مِنَّـا مـنْ دَرَىٰ[1]

الحلَّاج

مَـنْ لـه التَّقْـديـرُ سَهْـمٌ سُـدّدا يَفْـزَعُ الشَّيْطـانُ مِنْـهُ والـرَّدىٰ[2]
كـانَ جبـراً ديـنُ أصحـابِ الهِمَـمْ والقُـوى عِنْـدَ رجـالٍ فـي القِمَـمْ[3]
الحَصِيْـفُ زادَ فـي عقـلٍ بِجَبْـرِ والغـريـرُ مِنْـه فـي أغمـاقِ قَبْـرِ[4]
خـالـدٌ بـالجَبْـرِ هـدَّ عـالمـا أسَّنـا جبـرٌ لنـا قـدْ هـدَّمـا[5]
الـرِّضـا مـنْ شـأنِ ذيَّـاك البَطَـلْ وهـوَ ثـوبٌ فيـهِ فَسْـلٌ مـا رَفَـل[6]

ولمـولانـا عَـرَفْـتَ مـا المَقَـامْ
فليشنِّـفْ أذُنَيْـكَ ذا الكَـلامْ

« المجـوسـيُّ زمـانَ بـايـزيـدْ مهتـدٍ قـال لـه جِـدٌّ سعيـدْ
يـا أُخـيَّ كُـنْ كمثلـي مُـؤمِنـا لِتَكُـوْنَ للنَّجـاةِ ضـامِنـا
إنَّمـا الإيمـانُ هـذا يـا مُـريـدْ وهْـوَ إيمـانٌ يـراهُ بـايـزيـدْ

فـأنـا عَـنْ حَمْـلِ ذاكَ أضْعُـفُ
وبـروحـي وهـي تُعيـي يَعْنُـفُ

---

(١) التقدير : قضاء الله .
(٢) يريد بالسَّهم السِّلاحَ الذي يتسلَّح به ، وهو القَدَرُ الذي يفزع الشيطانَ والموت .
(٣) المرادُ برجال في القِمَمِ رجالٌ في أوج العظمة وعلوّ القدر .
(٤) الحصيف : العاقل . والغرير : من لا تجربة له .
(٥) الأس : الأساس .
(٦) الفسل : الضعيف الذي لا مروءة له . ورفل : جرَّ ذيله وتبختر .

غَيْرُ خوفٍ ورجاءٍ ما لدينا وجميعاً سلَّموا ؟ لا ما رأينا
أنْتَ قُلْتَ : كلُّ شيءٍ بالقَدَرْ وَهْوَ قَيْدٌ ، يا تُرى أينَ المفر
قد أسأت الفهم يا هذا كثيرا ما رأيتَ الذَّاتَ واللهَ القديرا[1]
بالدُّعاء المرءُ كان مؤمنا « لكَ نَحْنُ يا إلهي كُنْ لنا »
وقضاءُ الله كان عَزْمَهُ
سَهْمُه في الحرب كان سَهْمَهُ[2]

* * *

زنده رود

فتنةً ها قَدْ أثارَ الغافلون هو ذا المصلوبُ يبدو لِلْعُيون[3]
الوجودُ وَهْوَ سرٌّ قدْ عرفتا أيَّ ذنبٍ قُلْ لنا كُنْتَ اجْتَرَحْتَا[4]

الحلَّاج

إنَّ في صدري لَصُوراً للنُّشورْ هوذا شَعْبٌ مضى نحو القُبُور[5]
مؤمنونَ يُشْبِهُون الكافرينا مُسْلِمُون وَلِذاتٍ مُنْكِرُونا
قولهم : الرُّوح شيءٌ باطلُ قُيِّدَتْ بالطِّين وَهْوَ زائلُ

---

(١) رأيت هنا بمعنى رأيت بالقلب لا بالعين .
(٢) أي أنَّ عزمه كان قدراً ، وسهمُه سهمُ الله .
(٣) يشيرُ إقبال مِنْ طَرْفٍ خفيٍّ إلى صَلْبِ الحلَّاج .
(٤) اجترح الذنب : ارتكبه .
(٥) الصور : القرن ينفخ فيه يوم القيامة فيجعل الله ذلك سبباً لعود الصُّور والأرواح إلى أجسامها .

الحيـاةُ أشْعِلَـتْ مِـنْ نـارِ ذاتـي ... ميِّتـاً بصَّـرتُ أسـرارَ الحيـاةِ[1]
عـالَـمٌ مِـنْ ذاتِهِـمْ مـا يصنعـونـا ... رقـةً بـالعُنْـفِ كـانـوا يَمْـزِجُـونـا
أيْـنَ تبـدو الـذَّاتُ أو أيْـنَ اخْتَفَـتْ ... العيـونُ قـطُّ هـذا مـا رَأَتْ
يَسْتُـرُ النِّيـرانَ ستـراً نـورُهـا ... بـالتَّجَلِّـي الكـونَ يُبـدي طَـوْرَهـا
قَلْبُنـا بـالـذَّات كَـمْ كـانَ الحفِيَّـا ... مـا ونـىٰ عَـنْ ذِكْـرِهـا ذكـراً خَفِيَّـا[2]
مِـنْ لظـاهـا كـلُّ معـدومِ النَّصيـبْ ... ماتَ عَنْ نَفْسٍ له مثلَ الغَريب[3]
نـارُ فُـرْسٍ نـارُ هِنْـدٍ هـلْ عـرفتـا ... أنـتَ وصَّـافـاً لهـا مـا إنْ رأيتـا
نـارُهـا والنُّـور إنـي قَـدْ وَصَفـتْ ... يا أنيسَ القَلْبِ هذا ما اجْتَرحتْ

مـا فَعَلْـتَ قَـدْ فَعَلْـتَ فـاحْـذَرِ
ودعـــوتَ ميِّتَـــاً للمَحْشَـــرِ

***

الطَّاهرة

مِـنْ ذُنُـوبٍ وخطـايـا لِلْغُـلاة ... قَدْ بَدا ما لم يَكُنْ ، منْ كائناتْ
إنَّ فَـرْطَ الشَّـوْقِ ستـراً مـزَّقـا ... وعَـنِ العَيْـنِ القَـدِيْـمَ فـرَّقـا
نـالَ مـنْ عُـوْدٍ ومـنْ حَبْـلٍ نَصِيْبَـه ... لـمْ يَعُـدْ حيًّا وَقَـدْ وافـىٰ حَبيبـه[4]
بـالتَّجلِّـي بَيْنَنـا هـا قَـدْ ظَهَـرْ ... لا تَظُـنَّ أنَّـه الـدُّنيـا هَجَـرْ

عَصْـرُه كـانَ ضميـراً وَهْـوَ فيـهْ
عـزلـةٌ مهمـا تكُـنْ لا تَحْتَـويـهْ

---

(١) بَصَّرَهُ الأمرَ : عرَّفه إياه .
(٢) الحفيّ : البرُّ اللطيف .
(٣) اللظى : النار ، أو لهبها .
(٤) وافى : أتى .

زنده رود

أَنْتَ يا منْ جَهْدَ بحثٍ قد ألِفْتَهْ اشْرَحَنَّ لي بيتاً أنْتَ قُلْتَهْ
« مِنْ رمادٍ قبضةٌ قُمْرِيةٌ ، قَفَصُ اللَّونِ الهزارُ
يا شكاة فلتجيبي : أين رمزٌ لفؤادٍ فيه نارُ »[1]

غالب

يشتكي النِّيرانَ في القلب الدَّنِفْ وشكاةٌ عنْ شكاةٍ تَخْتلِفْ[2]
أحرق القُمريُّ منها في اللهيبْ وبدا البلبلُ في الثَّوْبِ القشيبْ[3]
وتضمُّ الموتَ في حِضْنِ الحياة فحياةٌ ، أوْ لها شأنُ الممات[4]
يا للونٍ كانَ منه سِفْرُ ماني أوْ زوالُ اللَّونِ مسلوبَ المعاني[5]
أفتدري ما للونٍ منْ مَقَام ؟ ونصيبُ القَلْبِ مِقْدارُ الهِيَام[6]
أنتَ باللَّون تعالَ ، أوْ فسِرْ[7]
كي ترى آثارَ قلبٍ يَسْتَعِرْ

---

(١) يقول المستشرق الإيطالي باوزاني : إنَّ هذا البيت ترجمةٌ لإقبال عن بيت بالأوردية لغالبٍ يكتنف الغموضُ معناه ، وهو « إذا كانت مظاهر الطبيعة كلها غير جديرةٍ بأن تكون رمزاً للقلب العاشق ، فأي شيءٍ يمكن أن يعد له رمزاً حقيقياً » وفي رواية أخرى لهذا البيت : « قفص الصدأ » في موضع « قفص للألوان » .

(٢) الدَّنِف : من لازمه المرض .

(٣) القشيب : الجديد .

(٤) أي أنَّ الشكاة إمَّا حياةٌ أو موت .

(٥) السِّفْرُ : الكتاب . وماني من أنبياء الفرس قبل الإسلام ، وكان عظيم المهارة في الرَّسم . وارثرنگ عنوان كتاب يحوي تصاويره التي خدع بها أتباعه ويعدُّها من معجزاته .

(٦) يقول : على قدر ما يجدُ القلب من لوعة الأسى والهيام يكون ما قدر الله له .

(٧) أي أقدِمْ باللون أو امضِ بدونه .

زنده رود

ألــفُ دنيــا فــي الفَضَــاءِ الأزْرَقِ
وبهــــا كـــلُّ نبـــيٍّ متَّقـــي

غالب

أنْظُــرَنَّ فــي الــوجــودِ والعَــدَمْ كمْ دُنىً تأتي لنا مُنْذُ القِدَمْ[1]
نحــنُ دنيــا فــي الــوجــودِ إنْ رأينــا رحمــةً للعــالميــن قَــدْ رأينــا

زنده رود

وضِّــحِ القَــوْلَ فــإنِّــي مــا فَهِمْــت

غالب

أنــا إنْ زِدْتُــكِ تــوضيحــاً غَلِطْــت

زنده رود

لا يفيــدُ قــولُ أصحــابِ الجَنَــان[2]

غالب

مشكــلٌ قــولٌ دقيــقٌ فــي اللِّســان[3]

---

(١) الدُّنى : جمع دنيا .
(٢) الجنان : القلب .
(٣) أي : يصعب على الإنسان أن يعبر عن قول دقيق عميق .

زنده رود

اشْتَعَلْتَ أنتَ مِنْ نَار الطَّلَبْ
لفظةٌ ما قُلْتُها يا لِلْعَجَبْ

غالب

إن خلقاً وقضاءً ابتداءْ[1]
رحمةٌ للعالمينَ انْتهاءْ

زنده رود

المعاني عاجزٌ عَنْ فَهْمِهَا
لكَ نارٌ ؟ قُمْ وأحْرِقْنا بِهَا

غالب

أنْتَ يا منْ تُبصرُ الأشْعَارَ مِثْلي وعليها لِلْكلامِ أيُّ فَضْل
أمراءُ الشِّعرِ زانوا جَمْعَهُمْ واليَدُ البَيْضاءُ لَيْستْ عِنْدَهُمْ
لَيْسَ ما تبغيهِ منِّي غَيْرَ كُفر إنَّه كُفْرٌ وراءَ كلِّ شِعْر

الحلَّاج

وإذا أبْصَرَتْ دُنيا للشِّيَات فالمُنَى في أرْضِها مِثْلُ النَّبات[2]

---

(١) يلمح الشاعر إلى قوله تعالى في سورة الأعلى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى : ٢ ـ ٣] .

(٢) الشِّيَات : الألوان .

إنَّ نُـوْرَ المُصْطَفـى فيـه البَهَـاءْ أوْ رسـولَ الله ، هـذا مـا تَشَـاءْ

زنده رود

النبـيُّ المُصْطَفـى مـا أمْـرُهُ جـوهـرٌ ، أفْصَـح أجِـبْ مـا سِـرُّهُ
فـي الـوُجـودِ آدَمـي أوْ جَـوْهَـرُ ؟ تـارةً يَخْفَـىٰ وأُخْـرَىٰ يَظْهـرُ

الحلَّاج

عفَّـرَ العَـالـمُ خَـدّاً عِنْـدَه نَفْسـه سمَّـىٰ النَّبـيُّ « عَبْـدَه »
« عبـده » فهمـاً لَـدَيْـكَ تَبْهَـرُ إنَّـهُ الإنسـانُ وَهْـوَ الجَـوْهَـرُ[1]
لَيْـسَ مـنْ عُـرْبٍ وَلَيْـسَ الأعجمـا آدمٌ بـلْ كـان منْـه الأقْـدَمـا[2]
« عبـده » قـد شَكَّلَـتْ هـذا القَـدَرْ بالفَيَافي الخصْبُ مِنْها قدْ ظَهَرْ[3]
أحْيَـتِ الأرْوَاحَ وهـي تَقْتُـلُ والـزُّجـاجُ ، وهـي صَخْـرٌ يَثْقُـلُ
غيـرُ « عبـدٍ » « عبـدُه » فَلْتَعْتَبِـرْ ولهـا طـالَ انتظـارُ المُنْتَظِـرْ[4]
عبـدُه الـدَّهْـرَ وكـانَ الـدَّهْـرُ منها كلُّنـا لـونٌ وينـأىٰ اللـونُ عنها
ولهـا البَـدْءُ ومـنْ غَيْـرِ انتهـاء مـا لـديها مثـلُ صُبْـحٍ أوْ مَسَـاء
مـا درى الإنسـانُ قـطُّ سـرَّهـا سـرُّ « إلا الله » كـانَ ذِكْـرَهـا
لا إلـه السَّيْـفُ وهـي حـدُّه وَلْتُصَـرِّحْ وَلْتَقُـلْ « هـو عَبْـدُه »
« عبـدُه » كُنـهُ جميـع الكـائنـات « عبـدُه » فيهـا معـانٍ مغلقـاتْ

---

(١) بهر : غلب .
(٢) في الأصل الأعجم وهو الذي في لسانه لُكْنَةٌ وعَدَمُ فصاحةٍ . والمراد الأعجمي أي غير العربي .
(٣) الفيافي : جمع فيفاءٍ ، وهي الأرض لا ماء فيها .
(٤) اعتبر : نظر في الشيء واختبره .

ولهـذا الشِّعْـرِ معنـىً مـا فَهِمـت قبلَ فَهْمِ قَوْلِ ربِّي ﴿ ما رمَيْتَ ﴾[1]

دَعْـك مـن هـذا الكـلام زِنـده رود
امـضِ وَلْيُغْـرِقْـكَ ذيَّـاكَ الـوُجـود

زنده رود

إنَّ هـذا العِشْـقَ شـيءٌ مـا عَـرَفْتُـهْ
أهُـوَ للـرؤيـةِ ذوقٌ مـا عَهِـدْتُـهْ ؟

الحلَّاج

هـذهِ الـرُّؤيـةُ معنـاهـا النَّبـيّ يَحْكُمُ النَّفْسَ ، بِذَا وهُوَ الرَّضيّ
أنت في دنياكَ عِشْ مِثْلَ الرَّسول ومـنَ الخَلْـقِ ستحظـىٰ بـالقَبُـول
ذاتَـك انْظُـرْ إنَّ هـذا رُؤيتـه سـرُّه السـرُّ العظيـمُ سَنَّتـه

زنده رود

رؤيـةٌ للهِ أفـلاكـاً نَثَـرْ ؟
وأدارَ الشَّمـس فيهـا والقَمَـرْ[2]

---

(١) يريد قوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ؛ أي لم تقتلوهم ببدر بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره إيَّاكم . . . وما رميت يا محمد عين القوم إذ رميت بالحصا ، فإنَّ كفاً من الحصا لا يمكن أن تملأ عيون الجيش العظيم إنْ كان الرَّامي من البشر ، ولكنَّ الله رمى ، ليقهر الكافرين .

(٢) أي اللهُ الذي نثر الأفلاك في السماء .

الحلَّاج

صـــورةُ الحـــقِّ بـــروحِ اطْـــرَحَـــن ... ثـــمَّ فـــي الـــدُّنيـــا إليـــه انْظُـــرَن[1]
وإذا كَـــانـــتْ بـــروحِ صُـــوْرَتُـــه ... فلكـــلِّ العـــالَمِيـــنَ رؤيتـــه
إنْ جَرَتْ « هُو » يا حظيظُ مِنْ لِسَانِكْ ... طافَتِ الأفلاك طوفاً حولَ دَارِكْ[2]
ويـــلُ درويـــشٍ بفيـــه قـــدْ جَـــرَتْ ... ثـــمَّ ضـــمَّ شفتيـــه أوْ صَمـــت
إنَّـــه لـــم يُجـــرِ حُكْـــمَ ربِّـــه ... ما الشعيرُ ؟ حَيْدرٌ في حَرْبه ؟[3]
طلـــبُ الـــزُّهـــد تحـــاشـــى خيبـــرا ... راهباً أضحى ، مليكٌ يا ترى ؟![4]
صـورةُ الحـقِّ ، هـي الـدُّنيـا لـديكـا ... والقَضـاءُ كـالـزِّمـام فـي يـديكـا

القتـــالُ بُغْيَـــةُ العَصْـــرِ المَـــرِيْـــد
ألقهـــا فـــي لـــوحِ كفّـــارٍ عَنِيـــدْ

زنده رود

كـــان فـــي الـــدُّنيـــا لَـــدَيْنـــا رَمْيُهـــا
لســـتُ أدري كيـــف كـــان رَمْيُهـــا !

---

(١) الحق : هو الله تعالى .

(٢) الحظيظ : السعيد الحظ .

(٣) أكلُ خبز الشعير رمزٌ إلى شدة التقشف والقناعة من الدُّنيا بأقلِّ قليلها . وحيدر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المشتهر بالنجدة وشدة البأس في القتال . والشاعر يتهكم بالمسرف في الزهد ، ويفضل عليه المحارب المناضل .

(٤) يشير إلى ما يروى من عجائب الأخبار عن قوة عليٍّ وشجاعته في غزوة خيبر، وقد أسلفنا الإشارة إلى ذلك . ويتهكم ثانيةً بالزاهد الذي يتوهم نفسه بالزهد أعظم من ملوكِ الأرض .

يعـــرفُ الأفـــلاكَ حقّـــاً طينُنـــا أيـــنَ نـــارٌ للمَـــريـــد هـــاهنـــا[1]

الحلَّاج

أوجـزِ الأقـوالَ عَـنْ شَيـخِ الفِـرَاقْ ذي الهُيَامِ والنَّجِيع في الدِّهاقْ[2]
وجهلُنـــا ، كـــلَّ شـــيءٍ قـــدْ دَرَىٰ وبِكُفْـــرِ كـــلَّ ســـرٍّ أظْهَـــرا
السُّقـــوطُ بَعْـــدَهُ طـــابَ الصُّعـــودْ بَعْـــدَ نقـصٍ قـرَّ عينـاً مـنْ يَـزيـدْ
إن عَشِقْـــتَ فـــي لهيـــبٍ فـــاحْتَـــرِقْ كـــانَ منْـــهُ ، أو فَلَسْـــتَ المُحْتـــرِقْ !
إنَّـــهُ فـــي العِشْـــقِ منَّـــا أقـــدم ســـرَّهُ مـــا لَيْـــسَ يـــدري آدَمُ
إنَّ للتقليـــدِ ثـــوبـــاً ، مَـــزِّقَنَّـــهْ
وَخُـــذِ التَّـــوحيـــدَ عنـــه وافْهَمَنَّـــهْ

الحلَّاج

المقـــامُ لَيْـــسَ فـــي طـــوْقٍ لنـــا ونَطيـــرُ ، كـــانَ ذا ذَوْقـــاً لنـــا[3]
نحـــنُ دوْمـــاً مـــنْ رَأَيْنـــا أو خَفَقْنـــا مـــا لَـــدَيْنـــا مـــنْ جنـــاحٍ ، حَسْبُنـــا[4]

***

ظهورُ رأسِ أهلِ الفراقِ إبليس

وحـــديـــثُ الحكمـــاءِ بُـــرهتـــان الـــوجـــودَ والفَنـــاءَ تَصْنَعـــان

= إبليس أو الشيطان .

(١) المراد بالطِّين هنا هو الإنسان . والمَريد : الخبيث .

(٢) الهُيام : الظمأ . والنَّجيع : الدم . والدِّهاق من الكؤوس : الممتلئة .

(٣) الطَّوْق : الطَّاقة والقُدْرة .

(٤) دوماً : دائماً . وحسبنا : كافينا .

الحلَّاج

بِحُنَيْنٍ كان لِلْوَجْدِ الرَّهيف أمْ بقَسْرٍ كانَ لِلْقَهْرِ العَنيف[1]
إنَّ في الرِّقَّةِ ربي أظْهَرُ هي مِنْ عُنْفِ شديدٍ أجْدَرُ

زنده رود

أنْتَ يا مَنْ تَعْرِفُ الأسرارَ شَرْقا
بَيْنَ زُهْدٍ هل ترى والعِشْقَ فَرْقا ؟

الحلَّاج

إنَّما الزَّاهِدُ في الدُّنيا الغَرِيبْ
ذلكَ العاشِقُ في العُقبىٰ الغَرِيبْ

زنده رود

إنْ عَرَفْتَ فانتهاءٌ بالفناءْ مَنْ سعيدٌ في الفَناءِ بالبَقاء ؟

الحلَّاج

تُسْكِرُ الكأسُ خَلَتْ بَعْدَ امتلاء وَعَنِ العِلْمِ اغترابٌ كالفَنَاء
في الفَنَاءِ لكَ شوقٌ واحْتَدَمْ ذلكَ الموجودَ لا يلقى العَدَم[2]

زنده رود

من علىٰ آدم أعْلَىٰ قَدْرَهْ لَمْ يَجِدْ في قاعِ دنٍّ خَمْرَهْ[3]

---

(١) الرَّهيف : الرَّقيق .
(٢) احتدم : اشتد . يقول : أنت في الفناء تطلب شيئاً . والعَدمُ لا يصادف الشيء الموجود .
(٣) الدَّنُّ : جرَّةُ الخمر . ويعلى قدره على قدر آدم : يدَّعى أنَّه خير من آدم ، وهذا ما ادعاه=

أضْـرَمَ العِشْـقَ علينـا وانْصَـرَفْ وَهَـبَ الـرؤيـةَ عقـلاً ، مـا وَقَـفْ
أغمـضِ العينيـن حتَّـى أمْلكَـه فـي فـؤادي طـابَ لـي أن أسْلُكَـهْ
وظـلامٍ كُـفَّ منـهُ النَّـاظـران في المكـانِ وإلـى غيـرِ المكـان[1]
شعلـةٌ لاحـتْ بليـلٍ قـدْ وَقَـبْ وإذا مـنْ جَـوْفهـا شيـخٌ وَثَـبْ[2]
وهـو شيـخٌ يـرتـدي سـودَ الثِّيـابْ والـدُّخـان لَفَّـهُ مِثْـلَ السَّحـابْ

قـال مـولانـا أرى شَيْـخَ الفِـراق
يتلظَّـى والنَّحيـعُ فـي الـدِّهـاق[3]

طالَ منهُ الصَّمْتُ في طولِ الوُجُومْ ويرى الأرواحَ وهي في الجُسُومْ[4]
مـاجـنٌ شيـخٌ حكيـمٌ زاهِـدُ يُشْبـه الـزُّهـادَ وهـو الجَـاهِـدُ[5]
مـا درىٰ طَبْـعٌ لـه ذَوْق الـوِصَـالْ زُهْـدُهُ تـركُ الخلـودِ فـي الجَمَـالْ[6]
وهـوَ عـنْ هـذا الجمـالِ مـا انْقَطَـعْ وامتنـاعٍ عـن سجـودٍ مـا صَنَـعْ
قِـفْ تـأمَّـلْ بُـرْهـةً مـا قَـدْ عـراه ثـابتـاً فـي المُشْكـلاتِ كـي تـراه[7]

وبـه الهيجـاءُ مـا زالـتْ تَـدُورْ
كـم نبـيٍّ قـد رأى وهْـوَ الكَفُـورْ

مِنْ لظاهُ الرُّوحُ في جسمي ارْتَعَدْ وزفيـرُ الحُـزْنِ مـنْ فِيْـهِ اصَّعَـدْ[8]
فَتَـحَ الْعَيْـنَ وقـالَ واعْتَـدَلْ مثلُنـا مـنْ كـانَ ميمـونَ العَمَـلْ

---

(١) كُفَّ بصرُه : ذهب . النَّاظران : العينان .
(٢) وقب الظلام : دخل على الناس .
(٣) يتلظَّى : يتلهب . النَّجيع : الدم . والدِّهاق من الكؤوس : الممتلئة .
(٤) الوجوم : الحزنُ مع الصَّمت .
(٥) الماجن : الذي لا يبالي ما صنع . والجاهد : المجد .
(٦) الذَّوق : الإدراك . وفي الأصل أنَّ زهده قطع النظر عن الجمال الخالد .
(٧) عراه : اعتراه ، وغشيه .
(٨) اللظى : النار . اصَّعد : صَعِدَ .

انْهَمَكْتُ في شُؤوني واجْتَهَدْت ... لِلصَّلاة قلَّما وَقْتاً وَجَدْت[1]

ما لَدَيَّ من مَدَدْتُ مِنْهُ قُوَّهْ ... إنَّ وَحيي لا يَمُنُّ بالنُّبُوَّهْ[2]

لَيْسَ عِنْدي من حَدِيْثٍ أوْ كِتَابْ ... والفَقِيْه منْ دَحَرْتُ في الغِلابْ[3]

كالفَقيهِ غَزْلَ دين من غَزَلْ ... جَعَلَ الكَعْبَةَ آثارَ الطَّلَلْ[4]

ما عَرَفْنا مِثْلَ هذا المَطْلَبِ ... ما لإبليسَ انشقاقُ المَذْهَبِ

يا جهولُ ، إنَّني ما إنْ سَجَدْت ... أرغُني هذا عليه قَدْ عَزَفْت[5]

لوجودِ اللهِ لستُ مُنْكِرا ... أبْصِرِ الباطنَ واتركْ ظَاهِرا

أجَهِلتُ كي أقولَ ما وُجد ... كيفَ هذا ، إنَّ ربِّي قدْ شُهِد[6]

و« نَعَمْ » في سِتْرِ « لا » ما قَدْ نَطَقْت ... ما سكتُّ ، فأنا خيراً صَنَعْت

آدمُ مِنْ هَمِّهِ نِلْتُ النَّصِيبا ... ولذاكَ عَنْهُ هدَّأتُ الحَبيبا[7]

مِنْ مروجي نَبَتَتْ نارٌ ونارْ ... بَعْدَ جبْرٍ قَدْ هَدَاهُ الاختيارْ

إنَّني أظهرتُ قُبْحي ، قُمْ بشأنِكْ ... ثُمَّ قلتُ : أنْتَ فلتختَرْ لِنَفْسِكْ

تلكَ ناري صَدَّ عنِّي حرَّها ... عُقْدتي حُلَّ وَدَبِّرْ أمْرَها

أنت يا إنسانُ في أسري وَقَعْت ... أنْتَ عصياناً لِشَيْطانٍ أبَحْت

وهُماماً كُنْ ولا تَخْشَ الخُطوبا ... وَلْتَعِشْ يا مُسعدي عنِّي غريبا[8]

دَعْكَ منْ حُلوي ومُرِّي وانسَ ما بي ... لا تزدني منْ سوادٍ في كتابي

---

(١) في الأصل أنه ما وجدَ وقتاً لصلاة الجمعة .

(٢) مددت منه قوة : أخذتها منه . والمن : التعيير بالصنيعة .

(٣) دَحَرَ : طرد ، وهزم . الغلاب : من غالب .

(٤) يجري إقبال على مألوف الصُّوفية في تهكمهم الرمزي بالزهاد والفقهاء .

(٥) الأرغن : آلةٌ يعزف عليها .

(٦) شهد : رُئي .

(٧) الحبيبُ : هو اللهُ جلَّ وعلا .

(٨) الهمام : العظيم الهمَّة . المُسْعدُ : المواسي والمعين .

يَـرْصُـدُ الصَّيَّـادُ مـا يَـرْميـهِ حَتْمـا إنْ بدوتَ في مَصَادي نِلْتَ سَهْما[1] !

مـا هـوىٰ مـنْ طـارَ فـي أوجِ السَّمـاء
يَغْلـبُ الصَّيـادَ صيـدٌ بـالـذَّكـاء[2] !

قلـتُ : « فـاطْـرَحْ لِلْفَـراقِ مَـذْهَبَـا في الطلاق ليس لي أنْ أرْغبا »[3]
« الفـــراقُ للحيـــاةِ مِثْـــلَ شَطْـــر نشـوةٌ فـي يَـوْمِـهِ لَيْسَـتْ لِخَمْـر
الـوِصَـالُ بلسـانـي مـا ذَكَـرْت فهو في الوَصْلِ امَّحى بي وامَّحَيْت»[4] !
لفظُـه عَـنْ نَفْسِـه كـانَ الغـريبـا ثُـمَّ زادَ القَلْـبُ بـالحُـزْن اللَّهيبَـا
وتَلَـوَّى فـي الـدُّخـان واخْتَلَـجْ ثـمَّ ضـلَّ وهـو منـه فـي الْحَـرَجْ[5]

الشَّكـاةُ للـدُّخـانِ فـي انْسِكـابْ
تَسْعـدُ الـرُّوحُ بـآلامِ العَـذَابْ

* * *

شكوى إبليس

ربَّ مَـنْ أخْطَـا وربَّ مَـنْ أصَـابَـا صحبةُ الإنسانِ لي كَانَتْ مُصابا[6]
ذلـكَ الإنسـانُ حكمـي لـمْ يُخَـالِـفْ أغْمَـضَ العَيْـنَ وذاتـاً لـم يُصـادِفْ
طينُـه لـمْ يَـدْرِ ذَوْقـاً لـلإبـاء لا ولا معنـىً لنـارِ الكِبْـريـاءْ

---

(١) المصَاد : موضعُ الصيد .
(٢) الصَّيْد : ما يصاد .
(٣) التلميحُ هنا بحديث للنبيِّ ﷺ ، وهو قوله : « أبغض الحلال عند الله الطلاق » . وأورد الشاعر هذا الحديث بتمامه في الشطر الثاني من البيت .
(٤) يريد فناء الصُّوفي في الذَّات الإلهية .
(٥) الحرج : مكان ضيّق كثيرُ الشجر .
(٦) المصاب : النازلة الشديدة .

ويقـولُ الصَّيْـدُ للصَّيـادِ خُـذْنـي ... وخضـوعُ العَبْـدِ أمرٌ لـم يَـرُقْني[1]

وَمِـنَ الصَّيْـد ، إلهـي ، خلِّصَنِّـي ... بخضـوعـي لـكَ بـالأمـسِ اذْكُـرَنِّـي

مِنْـهُ ذُلِّـي ورمـانـي مـنْ عـلائـي ... ويـحَ نفسـي واشقـائـي وابـلائـي !

وَضَعيـفُ العَـزْمِ فَـجُّ الفِطْـرَةِ ... ويَخِـرُّ إنْ ضَـرَبْـتُ ضَـرْبَتـي[2]

وجـديـرٌ بـي حصيـفٌ ذو نَظَـرْ ... منْ يُجيلُ الرأي في كلِّ الفِكَرْ[3]

دُمْيَـةَ الطِّيـنِ استـردَّ مـنْ يَـدَيَّـا ... لَيْسَ كـالأطفـالِ مـنْ يَعْتُـو عِتِيَّـا[4]

مـا هـو الإنسـانُ ؟ ضِغْـثٌ مـن غُثـاء ... حَسْبُـهُ منِّـي الشَّـرارُ لِلفَنـاء[5]

للغُثَـاءِ وَحْـدهُ كـانَ الـوُجـودْ ... كـلُّ تلـكَ النَّـار عنـدي هَـلْ تُفِيْـد ؟

أيُّ شـيءٍ للـزُّجـاج كـانَ صهـر ... أعظَـمُ الأعمـالِ حقّـاً صَهْـرُ صَخْـر

مِـنْ فتـوحـي هـا أنـا ذا قَـدْ سَئِمْـتُ ... وإليـكَ لِتَجـازينـي قَـدِمْـتُ

مُنْكِـرَ الـذَّات أريـدُ منْـكَ فـامنـحْ ... رَجُـلَ اللهِ الطَّـريـقَ نَحْـوَهُ افْتَـحْ

وأريـدُ طُليتـي مـنْ يَعْصِـرُ ... وارتيـاعـي منْـهُ حيـنَ يَنْظُـرُ[6]

من يقول : « أُخْرُجَنَّ مِنْ حُضُوري » ... لا أسـاوي عِنْـدَهُ حَـبَّ الشَّعِيْـرِ

يـا إلهـي فَلْتَهَـبْ حُـرّاً أبيّـا

فـي انهـزامـي متعـةً كـانَـتْ لَـدَيَّـا

* * *

---

(١) لم يرقني : لم يعجبني .

(٢) الفج : ما لم ينضج من الثمار . وخر : سقط .

(٣) الحصيف : العاقل الحكيم .

(٤) عتا الشيخ : طعن في السن .

(٥) الضغث : قبضة حشيش مختلطة اليابس بالرطب .

(٦) الطلية : العنق .

القسم السادس

فَلَكُ زُحَل

گفت رومی خواجۂ اہلِ فراق!
آں سراپا سوز و آں خونیں ایاق!

بولے رومیؒ دیکھو یہ ہے خواجۂ اہلِ فراق
یہ سراپا سوز، یہ شعلہ منش خونیں ایاق!

الأرواحُ الخبيثةُ الَّتي غَدَرَتْ بالوَطن ولم تقبلْها جهنَّم

كانَ للأحرارِ مولانا الإماما ... كلَّ حُرٍّ بوَّأ الشَّيْخَ المَقَاما[1]

السماء قالَ يا مَنْ قَدْ طَوَيتْ ... أعلى العالَمِ زُنَّاراً رأيتْ ؟[2]

وكما شاهَدْتَه أنْتَ انْتَطِقْ ... بذيولِ لنجومٍ قدْ سَرَقْ ![3]

وبطيءٌ كالسُّكونِ عِنْدَ سيْر ... خيرُه ما كان إلا كلَّ شَر

جسمَه ماءً وطيناً شَكَّلا ... خطوُه في الأرضِ صَعْبٌ أُشْكِلا[4]

تَصْعَقُ النَّار بأيدٍ لِلْمَلائكْ ... قَسَمَتْ سُخْطاً لربي مِنْ هُنالِكْ[5]

دِرَّةٌ قد أوْجَعتْ تِلْكَ النُّجوما ... مَنَعَتْها في المَدَارِ أنْ تَحُوما[6]

عالَمٌ منه النُّفُورُ لِلْفَلَكْ ... وهو مِنْ بُخْلِ الشُّمُوْسِ في الحَلَكْ[7]

ما لأرواحٍ به يَوْمَ النُّشُور ... لمْ تُعَذِّبْها الجحيمُ بالسَّعير[8]

إنَّ شَيْطَانَيْنِ فيهِ يَسْكُنَانْ ... أزْهَقَ الرُّوْحَ لقومٍ قاتلانْ

ذاكَ في البنغال هذا في الدَّكَنْ ... وهما للدِّين عارٌ والوَطَنْ[9]

---

(١) مولانا هو الصوفي الفارسي جلال الدين الرُّومي .

(٢) الزُّنار : ما يشدُّ به النصارى وسطهم والإيماء إلى زحل .

(٣) انتطق : شدَّ وسطه بالمنطقة .

(٤) أشكل الأمر : التبس .

(٥) الملائك : الملائكة ، والنَّار هنا : الصاعقة .

(٦) الدِّرَّة : السوط .

(٧) الحلك : الظلام .

(٨) يوم النشور يوم القيامة الذي تعود فيه الحياة إلى الموتى . والسَّعير : النار .

(٩) مير جعفر : هندي قبل أن يكون حاكماً للبنغال تحت نفوذ الإنجليز ؛ الذين توطدت=

أبْغَضَا في اليأس من نيلِ المُراد ... الفسادَ قَدْ أشاعا في البِلادْ
أمَّةٌ كلَّ الصِّلاتِ قَطَّعتْ ... مُلْكَها والدِّينَ حتماً ضَيَّعَتْ[1]
وبلادُ الهند هلْ أُنسيتها ؟ ... ولها في كلِّ قلبٍ ما لها[2]
فَتَجَلَّيها أنارَ العالما ... ما تزالُ أرضُها تجري دَمَا
في ثراها مَنْ رَمىٰ بِذْرَ العبيد ؟ ... ذاكَ فِعْلٌ كانَ منْ رُوْحٍ مَرِيْد

برهةً قِفْ أنتَ في هذا الفضاء
ما ينالُ المرءُ شاهدْ منِ جزاء

* * *

بَحْرُ الدِّماء

ما رأيتُ ، وَصْفُهُ يُعْيي اللسِن ... يُرعبُ الرُّوحَ ويُنْسيها البَدَنْ[3]
إنَّه بحرُ الدِّماء قَدْ جَرَىٰ ... فَوْقَهُ ريحٌ وأخرى أضْمَرا
يُشْبِهُ الحيتانَ تِنِّينٌ يَطِيرْ ... بجناحيْ زئبقٍ والكفُّ قِيرْ[4]
موجُهُ اللَّيْثُ الهصورُ ذو المَنَاصِلْ ... ماتَ رُعْباً منه تِمْسَاحٌ بِسَاحِلْ[5]

= أقدامُهم ، واستقامتْ أمورُهم ، وسيطروا على الهند بعد أن هزموا سراج الدولة حاكم البنغال عام ١٧٥٧ . وصادق الدَّكني خائن خان السلطان تيبو الحاكم المسلم لميسور المتوفى عام ١٧٩٩ .

(١) يريد قطع الصلات بينها وبين غيرها من الأمم .

(٢) أي لها في كل قلبٍ ما لها من علوّ المنزلة .

(٣) اللسن : الفصاحة .

(٤) التنين : العظيم من الحيات . يقول إن التنانين في الجو كالحيتان في البحر وجناحاها في لون الزئبق ومخالبها سود في لون الليل . والقير : القار ، وهو مادة سوداء تُطلى بها السفن .

(٥) الهصور : المفترس . والمناصل : جمع منصل وهو السيف . وكأن أنياب الأسد سيوف .

لَـمْ يَنَـلْ مِنْـهُ الأمـانَ الشَّـطُّ قَـطْ فـي الـدِّمـاء تِلْـكَ أعـلامٌ تُغَـطْ[1]
هــذه الأمــواجُ دومــاً فــي نِــزَاعْ تُهْبِـطُ الـزَّورَق مِـنْ بَعْـد ارتفـاع
فيــه يَبْــدو رَجُــلانِ شَــاحِبــانْ
أشْعَثَــانِ مِــنْ ثِيَــابٍ عَــاريــانْ

***

روحُ الهِنْدِ تَظْهَر

تِلْكَ بنتُ الحورِ في شَقِّ السَّماء ترفع البُرْقُعَ عَنْ وَجْهِ الضِّياء
ولهــا نــارٌ ونــورٌ فــي الجَبِيــنْ وســرورٌ أبــديٌّ فــي العُيــون
تــرتــدي ثــوبــاً أرقَّ مِــنْ غَمَــامْ نَسَجَتْـهُ مِـنْ وُرُودٍ فـي الكِمـامْ[2]
مَـعَ هـذا الحُسْـنِ نـاءت بـالقُيـود تَصْدَعُ الشَّكْوىٰ لها قلبُ الحَدِيدْ[3]
قــال : روحَ الهنــدِ مــولانــا اشْهَــدا
نــوحُهــا فــي القَلْــبِ نــاراً أوقــدا

***

روحُ الهِنْدِ تَنُوْحُ وتَنْتَحِب

أيْـنَ نـورُ الـرُّوحِ فـي مصبـاحهـا مِـنْ وَعَـىٰ مجـداً لهـا مـنْ أهْلِهـا
مَـنْ علـى سـرٍّ لهـا لـم يَطَّلِـعْ أللَحْــنِ مِنْــهُ مُشْــجٍ نَسْتَمِــعْ
ويـرى المـاضـي بعيـنٍ جـامِـدَهْ يَحْـرِقُ القلـبَ بنـارٍ خـامِـدَهْ
وقيــودي مِنْــهُ يُعيــي ثِقْلُهــا وشَكـاتـي ليـس يُجْـدي قَـوْلُهـا

---

(١) الأعلام : جمع علم وهو الجبل العالي . وتغط : تغطس في الماء .
(٢) الكِمَامُ : جمع كِمٌّ، وهو غلافُ البُرعم .
(٣) ناء بالحمل : نَهَضَ به مُثقلاً .

ومضى شوطاً بعيداً عن « أنا » مِنْ تقاليدٍ له سِجْناً بَنَى
عَيْشُه آلَمَ حتَّى قَوْمَنَا
طُهْره بالحُزْنِ أضنى عَصْرَنا[1]

دَعْكَ مِنْ فَقْرٍ به عُرْيٌ وجب حبذا الفَقْرُ إذا مُلْكاً وَهَبْ[2]
دَعْكَ مِنْ جبرٍ وصبرٍ ، الحَذرْ فلأهلِ الجَبْر سُمٌّ قَدْ بَدَرْ[3]
إنَّ هذا مَنْ يُدِيْمُ صَبْرَهُ ذاكَ مَنْ يرضى ويهوى جَبْرَه
يألفانِ الظُّلْمَ مُرّاً في التَّحَسِّي
لَيْتَ قومي يعلمون ، ويحَ نَفْسي

أللَيْلِ الهندِ صبحٌ قَدْ يَلُوحْ جعفرٌ أودى وتحيَا مِنْهُ رُوحْ[4]
إنَّ قَيْدَ الجِسْمِ عَنْهُ قَدْ خَلَعْ وَبِجِسْمٍ آخرٍ عشَّاً وَضَعْ
تارةً كانَ أُلوفاً للكنائِسْ وهو منْ في الدير أحياناً يُجانِسْ[5]
دينُه ما كانَ غَيْرَ المتْجَرِ عنترٌ يَبْدُو كمِثْلِ حَيْدَرِ[6]
إنَّهُ عنْ كلِّ هذا لا يَحِيدْ طالَما كانَ لِدُنيانا وُجُودْ[7]
وقديماً لِسِوىٰ هذا سَجَدْ وطناً في عَصْرِنا ما قَدْ عَبَدْ
وعلى الدِّين لنا يَبْدُو حَزِينا وهو في الباطِنِ مِثْلُ المُلْحِدِينا
جَعْفرُ الأمَّةِ هذي مَنْ قتل مسلماً والقَتْلُ كانَ ما فَعَلْ

---

(١) يقول : إن وجوده كان ألماً للبشرية كلِّها . ومما أحزن العصر الحديث أن يحار فيما طَهُرَ وما لم يَطْهُرْ .
(٢) يقول الصوفية (الفقر فخري) والفقر عندهم خيرٌ منْ مُلْكِ الملوك .
(٣) الجَبْرُ والصَّبْرُ هنا هما القَدَرُ والاستسلام له .
(٤) أودى : هلك .
(٥) الألوف : الكثير الألفة . ويشير إلى ولائه للإنجليز . وجانسه : كان من جنسه .
(٦) المتجَر : الاتِّجار .
(٧) يحيد : يعدل وينحرف .

باسمٌ ، ما شاق يوماً خِلَّهُ يبسمُ الثُّعبانُ لَكِنْ ما لَهُ ؟[1]
الشِّقاقُ بثَّه في قَوْمِهِ واللئيمُ شَعْبُه منْ لُؤْمِهِ
الفساد في بلادٍ حينَ يَظْهَرُ صادقٌ أضْلَّ له أو كانَ جَعْفَرُ
جعفرٌ منْ رُوحِه رَبِّي أغِثْنا
منْ مَثِيْلِ جعفرٍ ربِّي أجِرْنا

* * *

صيحةُ راكبٍ في زورقِ بَحْرِ الدِّماء

حائرٌ بَيْنَ الوُجودِ والعَدَمْ وَيْحَ نفسي منْ وُجودٍ كمْ ظَلَمْ
نَحْنُ منْ شرقٍ إلى غربٍ عَبَرْنا وإلى بابِ الجَحِيمِ قدْ وَصَلْنَا[2]
ما رَمَتْ هَذِينِ حتَّى بالشَّرَرْ ما لنا كفٌّ رمادٍ في الشَّعَرْ[3]
ثُمَّ قالتْ إنَّ ضِغْثاً أفْضَلُ
فهو أنقى ، فيه ناري تَشْعَلُ
في السَّمواتِ مضينا مُصْعِدِينا ورأينا بَغْتَةً تِلْكَ المَنُونا[4]
قالتِ الأرْوَاحُ : أسرارٌ لَدَيَّا حفظُ روحٍ هَدْمُ جِسْمٍ فيَ يديَّا
إنَّ رُوْحَ الشرِّ شيء يُحْقَرُ امضِ عنِّي! ما بموتٍ تَظْفَرُ[5]

---

(١) شاقَ : هيج الشوق . أي : أنه كان باسم الوجه إلا أنه لم يعجب خليلاً يصادقه وقد يبسم الثعبان ولكن عن نابين يمجَّان السُّمَّ .
(٢) يقول : إنهم لكثرة ما كابدوا من المشقة في سفرتهم وشدة ما لقوا من تعب كأنَّهم في نهاية المطاف وقفوا بباب جهنم .
(٣) أي لم تنثر حفنةٌ من الرَّماد على رؤوسهم .
(٤) أصعد : مضى في أرض أعلى من الأخرى . والمنون : الموت .
(٥) يقول : إنَّ قبض الروح أمر يسير وروح الشر شيء حقير ، ومع ذلك لا يريد قبض روحه .

راحـةُ الأرواحِ لَيْسَـتْ فـي الحِمـام
لا يُـريـحُ المـوتُ روحـاً لِلَّئـام

يـا ريـاحُ ، يـا محيطـاً لِلـدِّمـاءْ أنتِ يا غَبْرَاءُ ، يا لونَ السَّماءْ[1]
يـا ذُكَـاءُ ثُـمَّ يـا بَـدْرُ الظُّلَـمْ والكتـابُ ومَـعَ اللَّـوْحِ القَلَـمْ
يـا إلهـاً أبيضـاً يـا لِـوَرْدٍ غَـرْبِ تَمْلُكانِ عالماً مِنْ غَيْرِ حَرْبِ![2]

مـا لِـدُنيـانـا ابتـداءٌ وانتهـاءْ
أِلعَبْـدِ حـانَ بـالمـولـى لِقَـاء[3]

ثُـمَّ دوَّى بَغْتَـةً صَـوْتٌ رَهِيـبْ شقَّتِ الصَّدرَ البحارُ والسُّهوب[4]
تِلْـكَ أوصـالُ الجسـومِ فُكِّكَـتْ والصُّخُـورُ وهـي تهـوي فُتِّتَـتْ
والجبـال كـالسَّحـاب فـي المـرور هـذه الـدُّنيا انتَهَـتْ مِـنْ غَيْـرِ صُـوَرْ
والبـروقُ أصْلُهـا نـارُ الخَفَـاءْ عُشُّهـا تَطْلُـبُ فـي بحـرِ الـدِّمـاء
جـاشَـتِ الأمـواجُ وهـي تَسْتَبِـقْ في الدِّماء الطُّورُ كالسَّهلِ الغَرِقْ[5]

للنُّجـومِ مـا بـدا أو غـابَ عَنْهـا
لَـمْ يُثِـرْ أدنـى اهتمـامٍ كـانَ منْهَـا

* * *

---

(١) الغبراء : الأرض . يا لون السَّماء : أي : أيَّتها السَّماء الزرقاء .
(٢) في الأصل أيتها الأصنام البيض ويالوردات الغرب . فذكرنا المفرد مع إرادة الجمع . ويقول : إنَّ هؤلاء يريدون أن يملكوا العالم بكلِّ يسرٍ وهينة .
(٣) المولى : السَّيِّد .
(٤) السُّهوب : السهول .
(٥) جاشت : ارتفعت ، واضطربت . تستبق : تتسابق .

القسم السابع

مَا وراءَ الأَفْــلاك

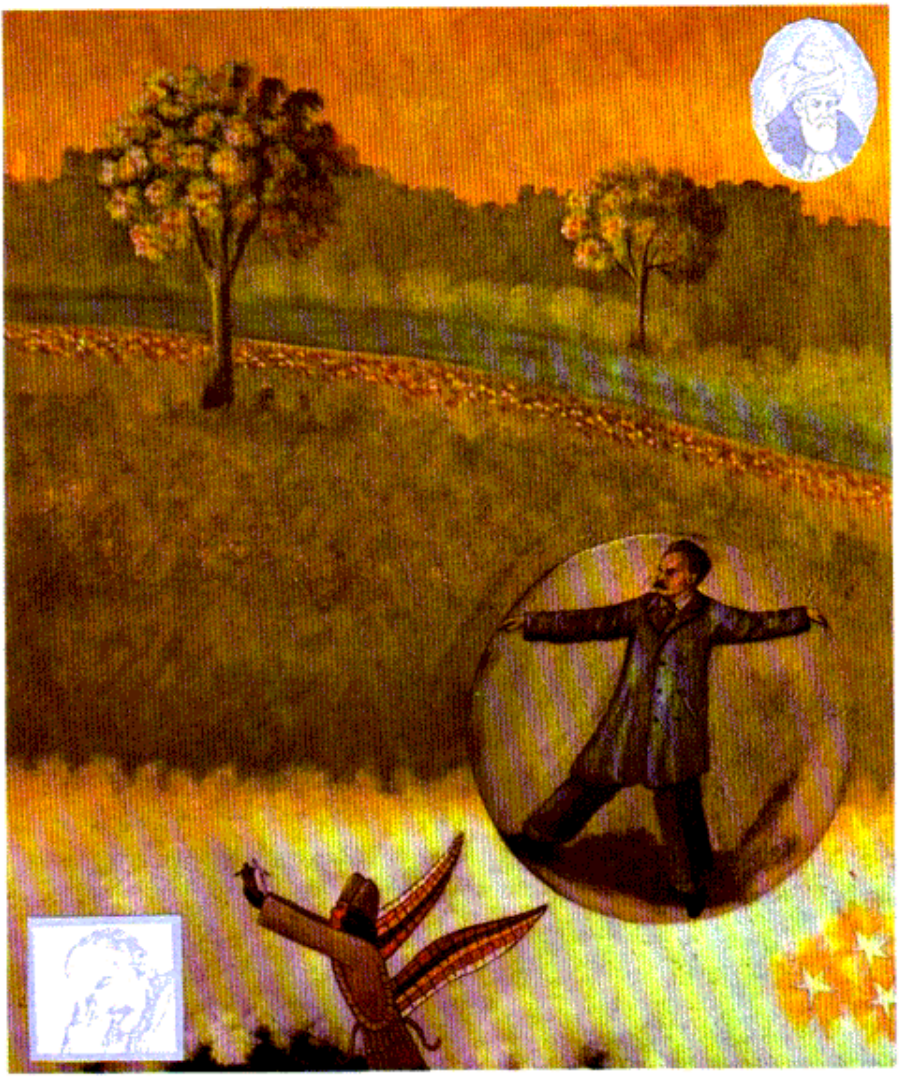

جرمن فلسفی نطشہ کا مقام

من بہ رومی گفتم ایں دیوانہ کیست؟ گفت "ایں فرزانۂ المانوی است

جبریل نہ فردوس نہ حور اور نہ خدا ہے وہ خاک تمنا کا جسے سوز ملا ہے
میں نے رومی سے یہ پوچھا کون یہ دیوانہ ہے؟ یہ حکیم المانوی فرزانوں کا فرزانہ ہے!

منزلة الفيلسوف الألماني نيتشه[١]

للفنـــــاءِ والبقـــــاءِ مُعْتَـــــرَكْ ... لَيْسَ يدري المرءُ سرّاً لِلْفَلَكْ[٢]
للحياةِ يَحْمِلُ الموتُ الرِّسالَهْ ... والسَّعيدُ منْ وَعَىٰ لِلْمَوْتِ حالَهْ !
الرياحَ أشْبَهَتْ هذي الحياة ... ما استقرَّت ، كلُّ ما تبغي الثَّبَاتْ !
كم دُنًى لي ناظرانِ شاهَدَا ... ثمَّ حدُّ الكائناتِ لي بدا
كلُّ دُنيا كانَ فيها نورُها ... قطُّ ما إنْ أشْبَهَتْهَا غيرُها[٣]
إنَّ فيها الوقْتَ يجري كالبِحَارْ ... فهي تجري أو لها بَعْضُ القَرَارْ
عامُها شَهْرٌ وحتَّى بُرْهةٌ ... قِلَّةٌ طَوْراً وطَوْراً كَثْرةٌ[٤]

عقلُنَا في عالمٍ كانَ الذَّكيَّا
في سِوَاهُ لم يَكُنْ إلا الغبيَّا

ثَغْرُه القاصي به منْ قَدْ ظَهَرْ ... صوتُه المحزونُ بالحزنِ انْفَطَرْ
ولهُ العَيْنُ كَعَيْنِ للعُقَابْ ... كاسفَ الوَجْهِ لأهوالِ المُصَابْ[٥]
والتَّباريحُ تزيدُ في الجَنَانْ ... بَيْتُ شِعْرٍ ما طَوَاهُ عَنْ لِسَانْ[٦]

---

(١) نيتشه : فيلسوف ألماني مستفيض الشهرة ، يُعدُّ بحقٍّ منْ أهمِّ قادة الفكر الذين كان لتفكيرهم أثرٌ في العصر الحديث . وأكثر كتبه سيرورة كتاب بعنوان : « هكذا قال زرادشت » وإن كان أشدَّ ما كتب غموضاً . وقد تناول المسيحية بالنقد ، واختلط عقله قبل وفاته عام ١٩٠٠م .

(٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد أنَّ الفناء والبقاء في حربٍ إلى الأبد .

(٣) في الأصل أنَّ كلَّ عالمٍ له قَمَرُه وثريَّاه ، وهو مختلفٌ عنْ غيره .

(٤) أي أنَّ القلة في عالم كثرةٌ في غيره . وهذا مطَّردٌ في كلِّ تِلْكَ العوالم .

(٥) كاسفَ الوَجْه : عابسٌ منْ هول الشدائد .

(٦) تباريح الشوق : توهجه . والجنان : القلب . ولم يطو بيت شعر عن لسانه : لا يكف=

« أجبريلُ أم اللهُ وحورُ الخُلْدِ ؟ تَنْساقْ !
تراب أنت في نارٍ لروحٍ وهي تَشْتَاقْ »[1]

قلتُ للروميِّ ذا المجنونُ مَنْ ؟ قال : في الألمانِ مَشْهورُ الزَّكَنْ[2]
كانَ بَيْنَ العالمينَ مَوْضِعُهْ وقديمُ اللَّحْنِ منْهُ نَسْمَعُهْ
إنَّه الحلَّاجُ لَكنْ أيْنَ عُوْدُه ؟ قال قولًا وسواهُ لا يُعيدُهْ[3]
وجريءُ القَوْلِ برَّاقُ الفِكَرْ قولُه السيفُ الفِرَنْجَ قَدْ شَطَرْ
الجليسُ لَيْسَ يَدْري جَذْبَتَهْ تَحْسبُ المجذوبَ جُنَّ نَظْرَتَهْ
من خُمارِ العِشْقِ معدومو النَّصيب نبضُه قدْ أودعوا كفَّ الطَّبيب[4]
عِنْدَ أهْلِ الطبِّ خَتْلٌ ما وُجد ويلُ مجذوبٍ لإفرنجٍ وُلِدْ[5]
ابنُ سينا في كلامٍ قالَ أفْصِد أو بِحَبٍّ منْ شَكَا الأوجاعَ أرْقِدْ
كانَ حلاجاً بأرضٍ كالغَريبْ
فرَّ مِنْ قَتْلِ الفَقِيْهِ لا الطَّبيب !
الطَّريق في الفِرَنْجِ منْ عَرَفْ ؟ فَعَلَىٰ قيثارةٍ دوماً عَزَفْ[6]
الطَّريقُ لَيْسَ فيه منْ دَليلْ ضلَّ في سيرٍ وفي سيرٍ وَبِيْل[7]
كانَ مالًا لَمْ يَجِدْ منْ عَدَّهُ يُنْجِزُ الأعمالَ لَكِنْ وَحْدَهُ
عاشقٌ لَكِنْ طَوَتْهُ زَفْرَتُهْ سالِكٌ قَدْ تَيَّهَتْهُ خُطْوَتُهْ[8]

= عن ذكره وترديده .

(١) ترجمنا هذا البيت ببحره في الأصل ، وهو الهزج الذي يستخدمه الفرس ثمانياً .
(٢) الزَّكن : الفطنةُ والذَّكاء .
(٣) العود هو الذي صلب عليه الحلاج . وقال قولًا لا يعيده سواه : أي لا يشبهه فيه .
(٤) الخمار : الصُّداع من شدَّة السُّكْرِ .
(٥) الختل : الخداع . وما وجد : بمعنى الذي وجد .
(٦) دوماً : دائماً .
(٧) السَّير الوبيل هنا هو السير الذي تخشى عاقبته .
(٨) تيَّههُ : أضلَّه ، وضيَّعه .

حَطَّمَ الكاساتِ ذيَّاكَ النَّمِلْ وَعَنِ اللهِ وذاتٍ مُنْفصِلْ
ورأىٰ لَكِنْ بِعَيْنِ الظَّاهِرِ الرَّقيقِ في العنيفِ القَاهِرِ
وانْطِلاقاً شاءَ مِنْ طِيْنِ البَدَنْ وخروجُ الحَبِّ في قلبِ قَطَنْ
ومَقَامٌ للإلهِ ما يريد وعَنِ العَقْلِ البَعيْدِ والبَعيد !
إنَّ تِلْكَ الذَّاتِ شَرْحٌ لِلْحَياة « لا » و « إلَّا » مِنْ مقاماتٍ لِذَاتْ
ظلَّ في « لا » وَحْدَها هذا العَجِيب عَنْ مَقَامِ « عبده » وَهْوَ الغَرِيبْ
عَنْ تجلٍّ ما لديهِ مِنْ خَبَرْ كثمارٍ أبعدوها عَنْ شَجَرْ !
طَلْعةُ الإنسانِ راقَتْ مِنْهُ عَيْنَا ثمَّ صَاحَ ذَلِكَ الإنسانُ أينا
أوْ عنِ النَّاس تراه رَاغِبا وكَمُوسىٰ لِلقاءِ طَالِبَا
لَيْتَهُ مِنْ عَاشَ في عَصْرٍ لأحْمَدْ لِيَعِيْشَ في الحُبُورِ وَهْوَ سَرْمَدْ[1]
عَقْلُهُ لِلذَّاتِ قالَ : اسْتَمِرْ أنْتَ في خيرِ طريقٍ ، فَلْتَسِرْ
وَتَقَدَّمْ قَدْ دنا هذا المَقَامْ
طالَ فيه ، وبلا حرفٍ ، كَلامْ

***

الرَّحِيْلُ إلى جنَّة الفِرْدَوْس

انْطَلَقْتُ مِنْ حُدُوْدِ الكائِنَاتْ عالماً وافَيْتُ يَخْلُو مِنْ جِهَاتْ
لَيْسَ فيهِ مِنْ يمينٍ أو يَسَارْ لا ولا ليلٌ أتى بَعْدَ النَّهارْ
عِنْدَهُ قِنْدِيْلُ إدْراكي خَمَدْ هيبةً مِنْهُ كلامي قَدْ جَمَدْ
بِلِسانِ الطِّيْنِ لِلرُّوحِ المَقَالْ !؟

---

(١) أحمد : هو الشيخ أحمد السَّرهندي المتوفى عام ١٥٦٤م ، ذلك الصُّوفي الهندي الذي عاصر أكبر ، وجهانكير من أباطرة المغول في الهند . وقد عرف بمجتهد الألف الثاني ، وكان ضدَّ غُلاة المتصوِّفة .
والحبور : السرور . والسَّرمد : الدائم .

طيرانُ الطَّيْرِ في السِّجْنِ المُحَالْ[1]

عالماً للرُّوحِ خُصَّ بالنَّظَرْ ... فَبِنُورِ الذَّاتِ نورٌ لِلْبَصَرْ
ما الفؤادُ ؟ عالمٌ لا لَوْنَ لهْ ... لَيْسَ فيهِ الحدُّ فانْظُرْ كلَّه
ساكنٌ والسَّيْرُ منه في ازدياد ... كلُّ حالٍ كلُّ فكرٍ في الفؤاد
حارَ هذا العقلُ في تِلْكَ الحقيقه ... سارَ وهو لا يرى حتَّى طَرِيْقَه
والخيالُ غَيْرُهُ عَنْهُ اخْتَلَفْ ... ذاكَ في الجوزا وهذا قَدْ أَسَفّ[2]
مَنْ يقولُ إنَّ هذا في السَّما ... بجوارٍ مِنْ على الأرضِ ارْتمىٰ
أسرورُ مَنْ رأىٰ يوماً حَبِيبَا ... مِنْ سُرُوْرٍ ناشقٍ كانَ القَريبا[3]
أيقظِ العَيْنَيْنِ أوْ خُذْ بالكرى ... فَبِدُونِ الشَّمس قَلْبٌ قَدْ يُرَىٰ

فضْلِ الدُّنيا على دُنيا الفُؤادْ
بالقياسِ جِرْتُ في شَرْحِ المُرَاد

هذه دنياكَ فيها غَيْرُها ... «كنْ فكانَ» غَيْرُ تِلْكَ نَجْرُها[4]
وتدومُ ، وبها دامَ التَّغَيُّرْ ... لا يراها الوَهْمُ ، إنَّ العَيْنَ تَنْظُرْ
ولها دوماً جديدٌ مِنْ كمال ... كلَّ يومٍ كانَ لونٌ مِنْ جمال[5]
لا تُرى فيها الشُّموسُ والبُدور ... تسعةُ الأفلاكِ فيها ما يَدُورْ
كلُّ ما في الغَيْبِ يبدو في سُفُورْ ... قَبْلَ أنْ يَخْفِقَ قَلْبٌ بالشُّعورْ
بلساني هَلْ أصيبُ وَصْفَها ... يا لها نورُ الحياةِ يا لها ![6]
الجبالُ أنْبَتَتْ حُمْرَ الزُّهورْ ... في الرياض النَّهْرُ يجري بالخَرِيرْ

---

(١) المقال : القول . والمراد بالسجن هنا : قفص الطير .
(٢) الجوزاء : برج في السماء . وأسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه .
(٣) نشق ريحاً طيبة : شمها . والمعنى أنَّ سرور من يشاهد الحبيب ليس كسرور من يشمُّ الرِّيح التي تأتي من محلته .
(٤) النجر : الأصل .
(٥) لون : نوع . وكان هنا تامة .
(٦) في الأصل : إن هذه الدنيا هي النور والحضور والحياة .

البَـــراعِيـــمُ زَهَـــتْ ألـــوانُهـــا نفخـــةُ الأبـــرارِ منهـــا كـــونُهـــا[1]
اللُّجَيْـــنُ المـــاءُ والأنســـامُ عَنْبَـــرُ والقِبَابُ للقُصورِ ، تِلْكَ جَوْهَرُ[2]
الخيـــامُ مِـــنْ يـــواقيـــتٍ وتِبْـــرِ وجبيـــنُ الغِيْـــدِ بـــالمـــرآةِ يُـــزْرِي
قال لي « الرومي » أسيرٌ للقياس ؟ عَنْـــكَ دَعْ كـــلَّ اعتبـــارٍ لِلْحَـــواس
بـــالتجلِّـــي الخيـــرُ كـــانَ والشُّـــرور جَنَّـــةٌ كـــانَـــتْ كمـــا كـــانَ السَّعِيـــر
القُصُـــورُ كـــالـــرَّبيـــعِ فـــي النَّظَـــرْ أصلُهـــا الأعمـــالُ لا ذاكَ الحَجَـــرْ !
مـــا تُسمِّيـــهِ بحـــورٍ أو بِكَـــوْثَـــرْ لِسُـــرُورٍ ولجـــذبٍ كـــانَ مَظْهَـــرْ
الحيـــاةُ ، هـــاهنـــا هـــذا النَّظَـــرْ
وسِـــوَاهُ وَسِـــوى قـــولٍ فـــذَرْ

* * *

قَصْرُ شَرَفِ النِّسا[3]

عُـــشٌّ يـــاقـــوتٍ أراهُ فـــي عُـــلاه ومِـــنَ الشَّمْـــسِ الخـــراجُ قَـــدْ جَبـاه
ذَاكَ قَصْـــرٌ ذو قِبَـــابٍ عَـــالِيَـــاتْ ضـمَّ حـوراً فـي ثيـاب المُحْـرِمـات
رغبـــةُ العِلْـــم وُهِبْـــتَ سَـــالِكَـــا مـــنْ لهـــذا القَصْـــرِ كـــانَ مَـــالكـــا[4]

---

(١) البراعيم : جمع برعوم : وهو الزهرة قبل تفتحها . يقول : إنَّ الأبرار نفخوا نفخة أوجدتها .

(٢) اللجين : الفضة . والأنسام جمع النسم ، وهي الريح اللينة .

(٣) شرفُ النِّسا : حفيدةُ أحد حكام البنجاب على عهد الإمبراطور المغولي بهادرخان . ويقال : إنَّها أقامت في قصرها منصةً لتتلو القرآن عليها كلَّ صباح وإلى جانبها سيف . وكانَ المصحف والسيف على تلك المنصَّة دائماً . وأوصت بدفنها بعد موتها مع السَّيف والمصحف في ذلك الموضع .

(٤) السَّالك : المريد في أول عهده بالتصوف .

قال « هذي ، عُشُّها البادي هنالك ... وتغنَّى طيرُه بَيْنَ الملائك[1]
جوهرٌ ، ما إنْ حَوَاهُ بحرُنا ... وفتاةٌ لم تَلِذْها أمُّنا
أرضُ لاهورَ بها أضْحَتْ سَمَاء ... سرُّها يخفىٰ على الدُّنيا خَفَاء
ولما بالذَّوْقِ والشَّوْقِ الشُّعُورْ ... ولعينِ حاكمِ البنجابِ نُورْ
وهي نورُ الأهل في عبد الصمد ... فَقْرُها ذِكْرى ستبقىٰ لِلأبَدْ
تَقْرَأُ القرآنَ ، نفساً طهَّرت ... برهةً في تَرْكِهِ ما فكَّرَتْ
تَحملُ المُصْحَفَ والسَّيْفَ الحُسَاما ... إنَّها السَّكْرى وما ذاقت مُدَاما[2]
خلوةٌ سيفٌ وقرآنُ الصَّلاة ... حبَّذا عُمْرٌ تَقضَّى في التُّقاة[3]
آخرُ الأنفاسِ وهي تُحْتَضَرْ ... أمَّها خصَّتْ بِمُلْتَاعِ النَّظَرْ
ثُمَّ قالتْ إنْ عَرَفْتِ الآنَ سِرِّي ... شاهدي ما في يَدِيْ أوْ ما بِخَصْرِي[4]
قوَّتانِ بهما أيْدُ الثَّباتْ ... مِحْوراً كانا لِدَوْمِ الكائِنَاتْ[5]
في حياتي ، وجميعاً نُقْبرُ ... ليس لي يا أمُّ شيءٌ آخَرُ
قَبْلَ مَوْتي ذاكَ مِنْكِ مَطْلَبي ... مُصْحَفي والسَّيفَ منِّي قرِّبي
كلُّ هذا منْ كلامي فلتعي ... لا تزيني في التُّرابِ مَضْجَعي[6]
الكتابُ والحُسَامُ حَسبُنَا
بهمَا يَزْدَانُ حقّاً قَبْرُنا
وقرونا تَحْتَ تِبْرٍ لِلقِبَابْ ... قَدْ تحلَّى بالحسامِ والكِتَابْ[7]

---

(١) أي تَغَنَّى الطيرُ الذي حطَّ على سطح هذا القصر مع الملائكة .
(٢) السَّيفُ الحسام : القاطع .
(٣) التقاة : التقوى .
(٤) المصحف في يدها ، والسَّيف معلقٌ بخصرها .
(٥) الأيْد : القوة .
(٦) وعىٰ الكلام : حفظه وتدبره . وهي ترغب إلى أمِّها ألا تقيمَ لها قبراً يزدانُ بالقبابِ والقناديل .
(٧) التبر : الذَّهب .

ولنا المَرْقَدُ في دُنيا الشَّتَاتْ علَّم المؤمنَ معنىً لِلْحَيَاة[1]
نَفْسَهُ المسلمُ حقّاً قَدْ ظَلَمْ فالبساطُ ما طوىٰ دَهْرٌ وَضَمّ
وهو في غيرِ الإلهِ فَكَّرا أصْبَحَ الثَّعْلَبُ ، كانَ القَسْوَرا[2]
ولهيبُ القلبِ فيه ما انْدَلَعْ أنْتَ في البنجاب تدري ما وَقَعْ ؟
مِنْهُ سَيْفٌ وكتابٌ ما حُمِل
ولذا الإسلامُ فيهِ قَدْ قُتِل »[3]

* * *

زيارةُ الأميرِ الكبيرِ سيِّد علي همداني ومُلاَّ طاهر غني كشميري[4]

حَرَّقَ الأضلاعَ لِلرُّومِيِّ قولُ آه يا بنجابُ ! يا أرضاً تُجَلُّ
مِثْلَ خِلاَّني اضطربتُ في الجنانِ وَمِنَ الهمِّ ذكرتُ ما عَرَاني[5]
وإذا صوتٌ لآلامٍ وَحُزْنِ منْ ضِفَافِ الكَوْثَرِ الصَّافي بأُذْني
« وأردتُ حَرْقَ نفسي ولذا جَمَّعتُ قشّا

---

(١) الشَّتات : التفرق .

(٢) القَسْوَرُ : الأسد .

(٣) يقول : إنَّ طائفة السِّيخ هي التي أبعدت القرآن والسيف عن البنجاب . وفي عقيدةِ السِّيخ : أنَّ كل إنسانٍ جديرٌ بالإجلال والتقدير بقطع النظر عن دينه ومذهبه ، ومرَّت الأيامُ وحاربَ السيخُ المسلمين .

(٤) الأمير سيد علي همداني صوفيٌّ مرموقُ المنزلة عالي القدر . كان صاحب مشورة أمير كشمير ، ولد في همدان ، وعاش طويلاً ، وأفاد الناس بعلمه في كشمير ، وتوفي عام ١٣٨٥م . ومُلاَّ طاهر غني كشميري ، شاعرٌ من أهل كشمير ، كانت وفاته عام ١٦٦٩م . كان واسع الخيال ميالاً في شعره إلى التمثيل والتخييل ، وعلى فقره ورقة حاله عُرِفَ بغنى النفس ، فكان اسماً على مسمًّى .

(٥) عراه : أصابه .

ويظنُّ الوردُ أنِّي في الرياض رُمْتُ عُشَّا »![1]

قالَ لي الروميُّ « ما يأتي انْظُرَنَّهْ ... يا بُنَيَّ ما مَضَىٰ لا تَذْكُرَنَّهْ

هو ذا « طاهر غني » أو خير شاعِر ... الفقيرُ ، وغِنَاهُ مِنْهُ ظَاهِرْ

إنَّهُ النَّشْوانُ غَنَّى في دوام ... عِنْدَ هذا السَّيِّدِ العالي المَقَامْ

سيِّدُ السَّاداتِ مِنْ سَادَ العَجَمْ ... كفُّه مِعْمَارُ تقديرِ العَجَمْ[2]

الغزالي دَرْسَهُ لمَّا تَلَقَّى ... اسْتَمَدَّ آلَهُ فِكْراً وحقَّا

في بلادٍ وهي لِلْخُلْدِ النَّظير ... مرشدٌ لِلْكُلِّ بلْ نِعْمَ المُشيرْ

في البلادِ ذلكَ البَحْرُ المَعينْ ... فَضْلُهُ عِلْمٌ وَتَهْذيبٌ وَدِيْن[3]

إنَّه مِنْ شَادَ إيرانَ الصَّغِيرَهْ ... بصفاتِ الخَيْرِ والحُسْنِ الكثيره

عقدةً بالعَيْنِ حلَّ كالحكيم
قُمْ تلقَّ ما لديهِ في الضَّمِيمْ »[4]

* * *

في حضرة أميرِ همدان

زنده رود

أفهمنّي سرَّ ربِّي ، أنت تَصْدُقْ ... يَطْلُبُ الطَّاعةَ والشيطانَ يَخْلُقْ !

كلُّ شرٍّ في الوجود زيَّنه ... وابتغي ممَّا عَمِلْتَ أحْسَنَهْ ![5]

ذاكَ سِحْرٌ مِنْهُ لي شكٌّ يخامرْ ... ما ابتهاجي صاحبي بِئْسَ المُقَامِرْ

---

(١) هذا البيت لطاهر غني كشميري . وقد ترجمناه طبق وزنه في الأصل .

(٢) كان طاهر غني ينظم بالفارسية ، ويقول : إقبال عنه : إنَّه قَرَّرَ مصير الفرس .

(٣) مَعَنَ الماءُ فهو مَعِيْن : أي جرى .

(٤) ما لديه : أي ما لديهِ من فضلٍ وصفاتٍ حميدة .

(٥) أي : أراد منِّي ألا أعمل إلا خيراً .

مِـنْ تـرابٍ حُفْنـةٌ ، وهـو الفَلَـكْ أطـريـقٌ لَيْـتَ شعـري مـا سَلَـكْ !
مـا عَمِلْنـا ، مـا ذَكَـرْنـا ، والألـمْ كـانَ عضّـاً للبَنَـانِ مـنْ نَـدَمْ
كـلُّ مـن يـدري عـن الـذّات الخَبَـر يخلـقُ النَّفـعَ لـديـه مِـنْ ضَـرَرْ
حُـبُّ إنسـانٍ لشيطـانٍ وَبَـالْ هـزمـه الشَّيطـانَ فـي حـربٍ جمَـالْ
وعلـى الشيطـانِ أنـتَ فـاحْمِلَـنْ كُـنْ حُسـاماً وَلْيَكُـنْ نِعـمَ المسَـنْ
فَلْتُجـاهـرْ وَلْتُجـالِـدْ ، كـنْ وَحيًـا لا تَكُـنْ فـي العـالميـنَ ذا الشَّقيًـا

زنده رود

كـلُّ إنسـانٍ أخـاهُ يـأكـلُ لِيَعيـشَ الشَّعْـبُ شَعْبـاً يَقْتُـل[1]
تتلظَّـى الـرُّوحُ مـنْ هـذا البَلَـد ويئـنُّ القَلْـبُ أضنـاهُ الكَمَـد[2]
شعبُـه بـالعَقْـلِ والحُسْـنِ اشْتَهَـرْ وهـو فـي الآفـاقِ معـروفُ الخَبَـرْ
دُحْـرِجـتْ كـأسٌ ولكـنْ فـي دِمَـاه نـاحَ نـابـي لـلأليـمِ مـنْ أَسَـاه
مُنْـذُ أنْ ضَيَّـعَ مـنْ ذاتٍ نصيبـا كـان فـي أوطـانِـه هـذا الغـريبـا
ظـلَّ فـي أيـدي سِـوَاه أجـرُه وشبـاكَ الغَيْـرِ أرضـىٰ نَهـرُه
ومَضَـتْ فـي سَيْـرِهـا كـلُّ القـوافـل أفْسَـدَ الأعمـالَ شـأن كـل غـافـل
مـاتَـتِ الجـذْبَـةُ فيـه وَهْـوَ عبـدُ ولنـارٍ فـي العُـروقِ كـانَ خَمْـدُ[3]
لا تظـنَّ أنَّـه كـانَ المهينـا فـي التُّـرابِ دائمـاً أدلـىٰ الجَبينـا[4]
إنَّـه فيمـا مضـى خـاضَ الحُـروبـا
وتحـدَّى وهْـوَ ذو البـأسِ الخُطـوبـا
قمـةً للثَّلْـجِ فـاغْمُـرْ بـالنَّظَـرْ وكفـوفُ النَّـارِ تَبْـدُو فـي الشَّجَـرْ

---

(١) في الأصل أنَّ الشعب يرعى شعباً غيره كما ترعى الماشية العشب في المرعى لتعيش .
(٢) يتلظَّى : يشتعل . الكَمَدُ : أشدُّ الحزن .
(٣) الخمد : الخمود .
(٤) المهين : الحقير .

اليـواقيـتُ حصـاهُ فـي الـربيـع ... والتُّـراب مـاجَ بـاللَّـونِ البَـديـع
والسَّحـابُ حـول أجْبـالٍ يَـدُورْ ... مِثْـلَ قُطْـنٍ عِنْـدَ نـدّافٍ يَطِيـرْ[1]
ذاكَ قـرصُ الشَّمس في بحرِ غَـرَبْ ... قـد رأيـتُ الله عنـي مـا احْتَجَـبْ[2]
في « نشاطٍ » سِرْتُ في ركبِ النَّسيم ... وتلوتُ شِعْرَ « مولانا » العَظِيمْ[3]
قـالَ طيـرٌ كـانَ فـي أعلـى الغصـون ... مـا الـرَّبيـع غَيْـرَ ذا الشـيء المَهيـنْ
نَـرْجـسٌ يَـزْكُـو وزَهْـرٌ أحْمَـرُ ... بـالنَّسيـم شُـقَّ ثـوبٌ أخضَـرُ[4]
مِـنْ قـديـمٍ فـي الجبـالِ قَـدْ ظَهَـرْ ... نَـرْجـسٌ فـي طُهْـرِهِ فـاقَ القَمَـرْ
كـمْ رأينـا مـنْ ورودٍ أيْنَعَـتْ
كشهـابِ أرضُنـا مـا أنْبَتَـتْ[5]
بـالشَّكَـاةِ نـاحَ غِـرِّيـدُ السَّحَـرْ ... فـأُوارُ الـوَجْـدِ فـي رُوحـي اسْتَعَـرْ
ورأتْ عَيْنـايَ مجنـونَ الطَّـرَبْ ... كـلَّ مـا جمَّعـتُ مـنْ صَبـري سَلَـبْ

* * *

امـضِ عنَّـا ، دَعْـكَ مـنْ نـوحِ ثَمِـلْ
عـن طِلسْـمِ اللَّـونِ فـي الأزهـار مِـلْ
قلـت إنَّ الطـلَّ فـي أوراق وَرْد
مـنْ بَكـىٰ فـي الشَّـطِّ غِـرٌّ أوْ خبـل[6]

---

(١) الأجبال : الجبال . والنَّداف : ضارب القطن بالمندف ليرقَّ .
(٢) يقول : إنه شاهد قدرةَ الله في روعة الطبيعة .
(٣) نشاط : اسم حديقة في كشمير . ونشاط في الفارسية بمعنى سرور . يقول : إنه أنشد شعراً مشهوراً لمولانا جلال الدين الرومي نظمه على لسان الناي ومنه بيت يقول فيه إنَّ ما يتردد في الناي ليس هواء بل نارُ العِشْقِ الإلهي .
(٤) زكا الزهر : نما . ويريد بذلك الثوب الأخضر الذي يشقه النسيم أكمامَ الزهر .
(٥) أينعت الثمرة : بلغت نضجها . وقد استعير ذلك للزهرة ، وشهاب الدين المتوفى عام ١٣٧٤هـ من سلاطين كشمير ، وقد بلغت بلاده في عصره ذُروة التقدُّم في تاريخها .
(٦) الغر : من لا تجربة له . والخبل : المجنون .

أيـن ضِغْـثُ الـرِّيـش مـن تلـك الأغـانـي
عيـــن روح لغنـــيٍّ تَنْهمـــلْ[1]
إنْ مَـــرَرْتِ بجنيـــفٍ يـــا صَبَـــا
بلغـــي العُصْبَـــة عنِّـــي مـــا نُقِـــلْ[2]
بِيْـــعَ فـــلاحٌ وتِلْـــكَ الأرضُ بيعـــت
وأنـــاسٌ ، ولَهُـــمْ سِعْـــرٌ مُـــذِل[3]

* * *

أمير همدان

اسْمَعَـنَّ القَـوْلَ لا يُنْسَـىٰ ويُـذْكَـرْ ... التُّـرابُ جِسْمُنـا والـرُّوحُ جَـوْهَـرْ
ولأجـلِ الـرُّوحِ جِسْـمٌ يُصْهَـرْ ... مِـنْ تـرابٍ إنَّـه لا شـكَّ أطْهَـرْ
يـا بنـيَّ ، منْـهُ إنْ جـزءاً قَطَعْتَـا ... ذلـكَ الجـزءُ بـلا ريـبٍ أضَعْتَـا
إنْ بذلْتَ الرُّوح لَـٰكنْ وهي سَكْرَىٰ ... عـادتِ الـرُّوح إليـكَ وهـي حَيْـرَىٰ
قُـلْ أجبنـي أيْـنَ للـرُّوح النَّظِيْـر ... فهـي فـي قيـدٍ ومِـنْ قَيْـدٍ تَطِيْـر !
إنْ حَفِظْـتَ الـرُّوْحَ ميْتـاً أصْبَحَـتْ ... إنْ بَـذَلْـتَ الـرُّوْحَ نـوراً أشْـرَقَـتْ
مـا هـي الـرُّوحُ وفـي سُكْـرِ التَّجَلِّـي ... مـا هـي الـرُّوحُ ومـا عنهـا التَّخَلِّـي
ولـربـي قُـلْ أجِبْنـي كَيْـفَ تُنْثَـرْ ... وبهـا الطُّـورُ العَظِيْـمُ كَيْـفَ يُصْهَـرْ
بتجلِّـي السُّكْـرِ أنـتَ الـذَّاتَ تَطْلُـب ... في الليالي السُّودِ لاحَتْ مِثْلَ كَوْكَبْ
إنْ فَقَـدْتَ الـذَّاتَ حَقَّقْـتَ الفَنَـاء ... والـوجـودُ ، كـانَ لِلـذَّاتِ العَطَـاءْ[4]
مَـنْ رأى الـذَّاتَ ، وشيئـاً مـا رآه ... سِجْنَـهُ أخـلاهُ مِمَّـا قَـدْ حَـواه

---

(١) انهملت العين : سال دمعها . وفي الأصل أنَّ روح غنى في حداد على أملها .
(٢) العصبة : هي عصبة الأمم وكان مقرها مدينة جنيف بسويسرا .
(٣) أردنا بالسِّعْرِ المذل : السِّعْرِ الرخيص للغاية .
(٤) الوجود هنا هو وجود الذَّات .

ذاكَ نَشْوانُ التَّجَلِّي ، وهي مَطْلَبْ لسعةٌ من شَهْدِهِ أحْلَى وَأَطيَبْ !
وترى الرُّوْحَ رياحاً نَظْرَتُهْ سجنُه سِجْنٌ تهُولُ رَجْفَتُهْ[1]
يرفعُ الفأسَ لِتَحْطِيمِ الصَّفاة لنصيبٍ قدْ ينالُ من حياة[2]
تَرَكَ الرُّوْحَ لِتَعْدُو خَلْفَهُ
وَبِغَيْرِ التَّرْكِ كانت ضَيْفَهُ

* * *

زنده رود

أنْتَ خيراً ثُمَّ لي شرّاً شَرَحْتَا يا حكيمُ غَيْرَ هذا لوْ ذَكَرْتَا[3]
وإلى لُبِّ المعاني قَدْ هَدَيْتَ كلَّ أسرارِ الملوكِ كمْ وَعَيْت
فقراءٌ ، حاكمٌ يبغي الخَرَاجا قُلْ لماذا مجَّدوا عرشاً وتاجا[4]

أمير همدان

أصْلُ هذا المُلْك في شرقٍ وَغَرْبِ ؟ كانَ إرْضاءً لِشَعْبٍ أوْ لِحَرْبِ
وأقولُ لَكَ يا عالي المَقَامْ لسوى اثنينِ الخراجُ كالحرام[5]
لأولي الأمر و« منكم » شأنُهُمْ في الكتابِ قولُه برهانُهُمْ[6]

---

(١) يشبه الروح بالريح على أنَّ الريح لا ثمن لها .
(٢) الصفاة : الحجر الضَّخم الصَّلد .
(٣) لو هنا للتمني .
(٤) أي : نحن فقراء .
(٥) أي : أنَّ أداء الخراج حرامٌ إلا إلى اثنين .
(٦) قال تعالى في سورة النساء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فالأمر بطاعة أولي الأمر إذا أمروا بطاعة الله ورسوله .

أو نَجيـدٍ مِثْـلَ ريـحِ عـاتِيَـهْ جادَ في الحربِ بنفسٍ غَالِيَه[1]
بـالقتـالِ يَفْتـحُ البُلـدانَ فَتْحَـا وهـي تمس مُلْكَـهُ إنْ شاءَ صُلْحَا
فـارسٌ والهنـدُ ممَّـا يُشْتَـرىٰ لا يُنالُ المُلْكُ منْ هذا الوَرَىٰ[2]
جـام جمشيـد العجيـبُ والنَّفيـس أيبـاعُ مِثْلَمـا بيعـت كـؤوس[3]
الـزُّجـاجُ لـكَ مـالٌ إنْ شَـرَيْتَـهْ أيُّ نَفْـعٍ للـزُّجـاجِ إنْ كَسَـرْتَـهْ

* * *

غني

مـنْ أفـادَ الهِنْـدَ تَحْطيـمَ القُيُـودْ أيكونُ الصَّيْدُ يوماً كالصَّيُودْ[4]
عقـلاءُ يُنْسبُـونَ لِلْبَـراهِـم عِنْدَهُمْ قَدْ أُخجلت حُمْرُ البَراعِمْ[5]
مـنْ أولي العِرْفان أصحابُ النَّظر أي غـربـيٍّ رآهـم لـم يَحَـرْ
أرضُنـا كِشْميـرُ منهـا أصْلُهـم وبهـا لا بِسـوَاهَـا نَجْمُهُـمْ
إنْ حَسِبْتَ الأرضَ تخلـو مـنْ شَـرَرْ قَلْبَـكَ افتـحْ وأطِـلْ فيـه النَّظَـرْ[6]
أصلُ تِلْكَ النَّارِ أينَ ؟ لَيْتَ شعري ونسيـمٌ للـرَّبيـعِ وَهْـوَ يَسْـري[7]
فـي الجبـالِ عنـدنـا خفـقٌ لـريـح

---

(١) النجيد : الشجاع .
(٢) الورى : الناس .
(٣) يقال : إن ملك الفرس الأسطوري جمشيد كانت له كأس رسمت في قاعها الأقاليم السبعة . وهذه الكأس في شعر الفرس الصُّوفي رمز لقلب المتصوِّف .
(٤) الصَّيدُ : الفريسة التي تصاد . والصيود : الكثير الصيد .
(٥) البراهم : البراهمة .
(٦) الشرر : ما يتطاير من النار .
(٧) سرى : سار عامة الليل .

وبهـا تختـالُ فـي لـونٍ وريـح[1]

هـلْ عَلِمْـتَ أنَّ يـومـاً فـي وُلَـر ... مـوجـةٌ قـالـتْ لمـوجـاتٍ أُخَـرْ[2]

طـالَ فـي البحـر بنـا عُنْفُ الصِّـراع ... لو حوانا البرُّ يوماً في اجتماع[3] !

وابتنـا أي ذلـكَ النَّهـرُ القـديـم ... منه في الوادي وفي السَّفْحِ الهَزِيْم[4]

يَضْربُ الأحْجَارَ في عرض الطريق ... كـي يُـزِيْـلَ شـأفـة الطَّـوْدِ العَتِيـقْ[5]

مـنْ فتـىً فـي كـلِّ أرضٍ قَـدْ غَلَـبْ ... أرضعتـه ألـف أمٌّ ثُـمَّ شَـبّ

إنَّـه بـالعُنْـفِ أبْـدَىٰ المَحْشَـرا ... لـمْ يَجـدْ عِنْـدَ سـوانـا المَصْـدرا

ما الصَّوابُ عيشُنا في حدِّ ساحِلْ ... في الطَّريق حطَّ ما صَخْراً يُمَاثِلْ[6]

إنَّ إلـفَ الشَّـطِّ مـوتٌ لـلأبَـدْ ... يـا مُـديـم السَّبْـحِ فـي لُـجِّ الزَّبَـدْ[7]

الحيـاة السيـرُ فـي غـورٍ وَنَجْـدِ
يُسْعِـدُ المـوجـةَ جـزرٌ بَعْـدَ مـدِّ

أنْـتَ فـي وَجْـهِ الحيـاةِ مَـنْ قـرأتَ ... ذلـكَ الشَّـرْقَ الحيـاةَ مـنْ وَهَبْـتَ

الـزَّفيـرَ لـكَ هـذا القَلْـبُ أحْـرَقْ ... ضقتَ صَدْراً وَلدَيْنا الصَّدْرُ أضْيَقْ

النُّـواحُ للطُّيـورِ مِـنْ رَجِيْعِـكْ ... والـوَضـوءُ للنبـاتِ مِـنْ دُمـوْعِـكْ[8]

وَفَتَحْـتَ الـزَّهْـرَ مـنْ طَبْـعٍ هُنَـاكَـا ... والمنى في الرُّوحِ كانَتْ مِنْ مُنَاكَا

إنَّ مِنْـكَ الصَّـوْتَ أجـراسُ القـوافِـلْ ... ولكشميـر أراكَ غَيْـرَ آمِـلْ

---

(١) الريح : الرائحة .

(٢) ولر : اسم بحيرة في كشمير .

(٣) لو هنا للتمني .

(٤) الهزيم : صوت الرعد .

(٥) شأفة الطود : أصل الجبل .

(٦) أي : أنَّ عيشنا على الساحل ليس صواباً لأنَّ صخر الساحل عقبةٌ في طريقنا . ويماثل : يشبه .

(٧) اللج : معظم الماء".

(٨) الرَّجيع : كلُّ متردِّدٍ . والمرادُ هنا الكلام والشعر . الوضوء : ماء الوضوء .

في الصُّدُورِ لم يُمِتْ يأسٌ فؤادا تَحْتَ ثلجٍ لم يَصِرْ جَمْرٌ رمادا
قِفْ تَمَهّلْ لِتَرَىٰ مِنْ غَيْرِ صُورْ كيفَ قَامَ الشَّعْبُ مِنْ جَوْفِ القُبُورْ
وتأوَّهْ يا فَتَىٰ لا تَبْتَئِسْ أخضراً أحْرِقْ وأحْرِقْ ما يَبِسْ[1]
كَمْ بلادٍ تَحْتَ أفْلاكِ السَّماء أحرقتها نارُ قَلْبِ الأشقياءْ[2]
إنَّ هذا المُلْك أوهى منْ حَبَابْ وهوَ بالأنفاسِ محتومُ الخَرابِ[3]
إنَّما الشِّعْرُ المصيرُ قدَّرا والشعوبَ قدْ بنى أوْ دمَّرا
أنتَ إنْ جَرَّحْتَ هاتيكَ القُلوبا لم تَجِدْ في هذه الدُّنيا ضريبا[4]
الغناءُ لكَ مِنْ شِعْرٍ تَلَوْتَهْ ما وراء الشِّعْرِ شعرٌ أنْتَ قُلْتَهْ

جَدِّدِ التَّحْرِيكَ والتأثيرَ جَدِّدْ
ردِّدِ الألحانَ في الجنَّاتِ رَدِّدْ

***

زنده رود

اعْزِفَنَّ ، نَشْوةَ الدَّرويشِ هذي فائْلفنْ
إنْ نضجت ملكَ جمشيد العريضَ فامْلُكَنْ[5]
ثُمَّ قالوا هذه الدُّنيا لنا هَلْ ترتضيها ؟
قلتُ لا ، لا أرتضيها ، قِيْلَ هيَّا هدِّمَنْ
ليس في الحانات كفءٌ بالرِّضا مِنَّا جَدِيرْ

---

(١) ابتأس : حزن .
(٢) الأشقياء : ضد السعداء .
(٣) الحباب : النفاخات التي تعلو الماء والشراب ، وهو يزول حتماً إذا نفخ فيه .
(٤) الضريب : النظير .
(٥) جمشيد : ملك من ملوك الفرس الأقدمين .

رُسْتُم الأبطالِ حارِبْ ، ومَعَ الساقي امْزَحَنْ[١]
أنْتَ يا زَهْرُ الصَّحارى ، قُلْ أحقَّقْتَ احتراقا[٢]
في قلوبٍ للأناسي ، هذه النَّارُ اضْرِمَنّ
كنتَ في قلبٍ لهيباً ، ولهيباً في دِمَاءْ
وإذا لم تَقْتنِعْ بالقوْلِ ذا الكونَ اشْطُرَنّ
ألكَ العَقْلُ سِرَاجٌ ؟ في الطريق سِرْ تَقَدَّمْ
وَلَكَ العِشْقُ مُدَامٌ ، فمعَ الحِبِّ اشْرَبَنّ[٣]
فَلْذَةُ القَلْبِ بدمعٍ مِنْ عيوني في انسكاب
مِنْ يواقيتِ بدَخْشانَ الفُصُوصَ فاصْنَعَنّ[٤]

* * *

حديثٌ مع الشَّاعرِ الهنديِّ بَرْتري هري[٥]

تَسْكُنُ الحورُ القصورَ والخِيَاما ... بشكاتي يُصْبحُ القَلْبُ الضِّرامَا[٦]
هذهِ مِنْ خيمةٍ أبْدَتْ جَبِيْنَا ... أختُها مِنْ غرفةٍ أدْلَتْ عُيُونا[٧]
كلُّ قلبٍ في الجِنَانِ قَدْ وَجَدْتُه ... بالأسىٰ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا غَمَرْتُهْ

---

(١) رستم : بطل من أبطال إيران في عصر الأساطير .
(٢) يريد الزهر الأحمر الذي يشبه النار .
(٣) الحب : الحبيب .
(٤) بَدَخْشَان : مدينة تشتهر بالياقوت .
(٥) برتري هري : شاعر هندي عاش في منتصف القرن السابع الميلادي . وله أشعار باللغة السنسكريتية في الحبِّ والخلق القويم والزهد .
(٦) الضرام : النار .
(٧) أدلت عيوناً : نظرت .

قالَ لي الشَّيْخُ وبَسْماً قَدْ حَجَبْ « أنْتَ سحَّارٌ » وهنديُّ النَّسَبْ[1]
شاعِرُ الهند ! وهذي حِرْفَتُهْ تَجْعَلُ الطَّلَّ اللآلي نَظْرَتُهْ[2]
(بَرْتري) يزدانُ بالعِلْم العُجَابْ فطرة كانت له مِثْل السَّحَابْ
بُرْعُمٌ بَيْنَ يديهِ ما رَأَيْنَا دَفَعَتْهُ مِنْكَ أنْغَامٌ إلينا
إنَّه مَلْكٌ عظيمٌ بالغناء وهو بالفقرِ العظيمُ ذو العَلاء
يَرسُمُ الشَّكْلَ البديعَ بالذَّكاء يُظْهِرُ الدُّنيا بحرفٍ مِنْ خَفَاء
أمرَ هذا العَيْشِ يدري كلَّه وهو جمٌّ شِعْرُهُ جامٌ لَهُ[3]

قد عرفنا فنَّه فنَّاً عليَّا
وأدَرْنا بيننا قولاً طَلِيَّا

***

زنده رود

أنْتَ يامَنْ قُلْتَ قولاً عَبْقَرِيّا يَعْلَمُ الشَّرْقُ به سرّاً خَفِيَّا
قلْ ، لهذا الشِّعرِ مِنْ أيْنَ اللَّهَبْ أضْرَمَتْهُ الذَّاتُ أوْ رَبٌّ وَهَبْ ؟

***

برتري هري

شاعرٌ أينَ يُقيمُ ، مَنْ عَزَفْ ؟ وله بَمٌّ وزيرٌ إنْ عَرفْ[4]

---

(١) السَّحَّار : الكثير السحر .
(٢) الطَّلُّ : النَّدى .
(٣) جم : هو جمشيد من ملوك الفرس الأقدمين . قيل إنه كان يملك كاساً رسمت في قاعها الأقاليم السبعة .
(٤) اليم : أغلظُ أوتار العود . والزيرُ : أدقُّها .

قلبُـه فـي الصَّـدرِ وهّـاجُ الأُوار وأمـامَ اللهِ مَعْـدُومُ القَـرَار[1]
وببحـثٍ روحُنـا كـانَـتْ تَطِيـبْ وَطَلَبْنَـا ، فلـذا الشَّعْـرُ اللَّهِيـبْ
مِـنْ كـرومِ القَـوْلِ يـا مَـنْ قَـدْ ثَمِلْتا مِثْـلَ ذيَّـاك المقـامِ لَـوْ بَلَغْتَـا ![2]
وببيـتٍ قيـل فـي دنيـا الحَجَـرْ فـي الجِنـان تُسْتَبَـى ذاتُ الحَـوَرْ[3]

زنده رود

إنَّ أهـلَ الهِنْـدِ كـانـوا فـي العَـذَابْ
أظْهِـرَنَّ السـرَّ مـنْ خَلْـفِ الحِجَـابْ

برتري هري

هذه الأربابُ شَحَّتْ وهيَ مِنْ طينٍ وصَخْر
« بـرتـري » كـان بعيـداً عَـنْ كنيسٍ بَـلْ وَدَيـر
سجـدةٌ مِـنْ ذَوْقِ أعمـالٍ خَلَـتْ لا خَيْـرَ فيهـا
عمـلٌ تِلْـكَ الحيـاةُ ، وَهـوَ مِـنْ خَيْـرٍ وَشَـرّ
عـالـمٌ أنـتَ تـراهُ لَيْـسَ مـن آثـارِ رَبّ
مِغْـزلٌ بـالخَيْـطِ دوَّرْتَ ولكـنْ لَسْـتَ تَـدْري
أسْجُـدَنَّ عنـدمـا للعـامليـن مِـنْ جَـزَاء
مـا لهـمُ هـذا النَّعِيْـمُ والجَحِيْـمُ غَيْـرَ أَجْـر[4]

* * *

---

(١) وهاج الأوار : متأجج النار .
(٢) لو هنا للتمني .
(٣) استباه : سباه في الحرب .
(٤) المراد بالأجر هنا : الجزاء سواءٌ أكان على الخير أم على الشرّ .

السَّفرُ إلى قَصْرِ سلاطين المَشْرِق

نادر وأبدالي والسُّلطان الشهيد[1]

« بزْتِري » قَدْ هَزَّ روحي بالنداء ... أسْكرتني منه صهباءُ الغِنَاء
قال لي الروميُّ « عَيْنُ القَلْبِ أفْضلْ ... والخروجُ عنْ إطارِ الفِكْرِ أمْثَلْ[2]
بِمَقَرٍّ للدراويشِ اعبُرَنْ ... وقصوراً للسلاطينِ انْظُرَنْ
وملوكُ الشَّرْقِ في حَفْلٍ كَعِقدْ ... عزةُ الأفغانِ أو فرسٍ وَهِندْ[3]
« نادرُ » النِّحريرُ رمزُ الاتِّحاد ... كانَ للإسلامِ بُشْرَىٰ بالوِدَاد[4]
ثم « أبدالي » وَقَدْ كانَ البَطَلْ ... مَنَحَ الأفغانَ أُسّاً لِلْعَمَلْ[5]
وإمامُ شُهَداءِ العَاشِقينا ... شرفَ الأقوامِ كانَ أجْمعينا[6]

---

(١) نادر : هو شاه أفشار الذي كان قائداً في جيش الشاه طهماسب الثاني آخر ملوك الصفويين ، وقد تأتَّى له أن يدفع غارة الأفغان على إيران ، فتربَّع على عرشها عام ١٧٣٦م كان سُنِّياً ، وبذل وُسْعَه في التقريب والتوفيق بين المذهب السني والمذهب الشيعي الذي كان المذهب الرَّسمي للدولة الإيرانية في عهد الصفويين .
وأبدالي هو أحمد شاه دراني المتوفى عام ١٧٧٣م كان من قادة جيش نادر كما حكم من قبله إقليم مازندران . وبعد مقتل نادر مضى إلى أفغانستان حيث أصبح ملكاً ، واتخذ من مدينة قندهار عاصمةً له . ويعدُّ مؤسساً لدولة الأفغان .
أما السلطان الشهيد فهو تيبو سلطان الذي كان له المُلك في الدَّكن . وقد حارب الإنجليز الذين غلبوا على عاصمته ، ثم قتل في حومة القتال عام ١٧٩٩م .

(٢) الأمثل : الأفضل والأدنى للخير .

(٣) يشبه هؤلاء الملوك في مجلسهم بحبات العِقْد ، ويقول : إنَّ عزَّة الأفغان والفرس والهند بهم . وأو هنا للجمع .

(٤) النحرير : العاقل الحاذق .

(٥) الأس : الأساس . وفي الأصل : أنه منح الأساس للشعب .

(٦) العاشقون هنا عاشقو الذات الإلهية من الصُّوفية .

أينَ مِنْ نورٍ اسمهُ نورُ الكواكبْ وتراه عَيْشَنا هذا يُوَاكِبْ[1]
إنَّه كشَّفَ سرَّ العَاشِقِ جادَ بالرُّوح بِشَوْقٍ دَافِقِ[2]
وبفضلٍ مِنْ بِبَدْرٍ أوْ حُنَيْن قَدْ حباهُ فقرُه جَذْبَ الحُسَيْن[3]

زايلَ السلطانُ قصراً زائلا
مُلْكُه في الهِنْدِ ظَلَّ ماثلا »[4]

ناقصَ العقلِ ، عجزتَ عن كلامي لَيتَ شِعْري كيف وصفي للمَقَامِ
بِتَجَلِّيه رأى أهْلَ السَّماء مازَهُم لَكِنْ عجيبٌ مِنْ ذُكاء
ذاكَ قَصْرٌ ومِنَ الفيروزِ بَابَه السَّماءُ كلُّها تَحْوي رحابَه
في السُّمُوقِ ما له كَيْفٌ وَكَمْ يَجْعَلُ التفكيرَ ذا عجزٍ يُذَمْ
هذه الأزهارُ في الحسن البديع صورةٌ كانت تجلَّت للرَّبيع
والنباتُ وهو فَيَّاضُ البَهاء غيَّر الألوانَ مِنْ ذَوْقِ النَّماء
والصَّبا دأبٌ لها أن تَسْحَرا تجْعَلُ الأصْفَرَ تِوْآً أحْمَرَا[5]
دَفَقَ الماءُ وكالدُّرِّ انْتَثَرْ طائرُ الفِرْدَوسِ غنَّى في الشَّجَرْ
يا لقصرٍ فيه بهوٌ قَدْ سَمَقْ ذرَّةٌ منه ذُكاءٌ في الوَهَقْ ![6]
سَقْفُه كانَ عقيقاً نُضِّدا أرضُه يَشْمٌ ثَمِينٌ مُهِّدا[7]
وصفوفٌ فيه مِنْ قاماتِ حُورْ ولهنَّ التِّبْرُ حَلْيٌ في الخُصُورْ

---

(١) واكب الركب : سايرهم ، أو ركب معهم .
(٢) كشَّف : بمعنى كشف .
(٣) في الأصل بنظرةٍ من سيد بدر وحنين .
(٤) المراد بالقصر الزائل هذا العالم .
(٥) الدأب : العادة . يقول : إنَّ من عادتها أن تغيِّر الأشياء بالسِّحْر .
(٦) سمق : علا . وذُكاء : الشمس . الوَهَق : حبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة لتؤخذ به . يقول : كأنما كلُّ ذرةٍ في هذا القصر صادت الشمس بهذا الحبل .
(٧) نضده : وضع بعضه على البعض . واليشم واليشب : حجر يشبه الزبرجد .

وعلى العرشِ ملوكٌ يَجْلسُونا ... وملوكَ الفُرْسِ كانوا يُشْبهُونا[1]
ذلكَ الرُّوميُّ مرآةُ الأدَبْ ... فرَّجَ الغمَّ بما زادَ الطَّرَبْ[2]
« ومِنَ المَشْرِقِ هذا شَاعِرُ ... لستُ أدري ، شاعرٌ أمْ سَاحِرُ
فِكْرُهُ دَقَّ وفي الرُّوح الألمْ
شِعْرُه في الشَّرْقِ قد أذكى الضَّرَمْ »[3]

***

نادر

مرحباً يا شاعرَ الشَّرْقِ العَظيما ... مِنْ كلامِ الفُرْسِ أنْشَدْتَ القَويما
نَحنُ أهلُ السرِّ قلْ سرَّاً لنا ... ثمَّ عن إيرانَ حدِّثْ أنْبِنا[4]

زنده رود

نَظَرَتْ إيرانُ في ذاتِ مليَّا ... وَهَوَتْ في قاعِ أشراكٍ هُويَّا[5]
وقتيلُ دَلِّ أصنامِ الجَمَالْ ... تُشْبهُ الإفرنجَ في خَلْقِ الكَمالْ !
فِكْرُها في مُلْكِها أو في النسب ... مَدْحُ سابور وَذَمٌّ لِلْعَرَب[6]

---

(١) ذكر من هؤلاء الملوك جمشيد وبهرام وهما مشهوران بعزة الجانب .
(٢) فرج : فتح . والطرب : خفة تعتري الإنسان من فرحٍ أو حزن .
(٣) أذكى : أوقد . والضرم : الحطب يطرح في النار .
(٤) أنبنا : أنبئنا .
(٥) هوى هوياً : سقط . والشراك : جمع : شرك ، وهو الحبالة .
(٦) سابور : ملك من ملوك الفرس . وهو سابور الثاني المعروف بذي الأكتاف ؛ لأنه في حربه مع قبائل العرب خلع أكتافهم ، أو ثقب ألواحها وجعل فيها حبلاً إمعاناً في التشفي منهم .

يـومُهـا خـالٍ ، ومـنْ كـلِّ المهـامْ الحيـاةُ طَلَبَتْهـا فـي الـرِّجـام[1]
وطنـاً رامَـتْ وذاتـاً لا تَـرَىٰ وتَنَـاسَـتْ رُسْتُمـاً بـلْ حَيْـدرا[2]
بـاطـلَ الإفـرنـج مـا قَـدْ حَصَّلَـتْ
ولهـا التـاريـخُ مِنْهُـمْ شَكَّلَـتْ

كـانـتِ الشَّيْـخَ ، وفـي عهـدٍ بعيـد شـاحـبَ الـوَجْـهِ دِمَـاهُ مـنْ جَلِيـدْ
عُـرْفهـا بـالٍ لهـا ديـنٌ قَـدِيـمْ وكـذاكَ الصُّبْـحُ واللَّيْـلُ البَهِيـمْ ![3]
كـرْمُهـا مـا فيـه أمـواجٌ لخمـرِ تُـرْبُهـا مـا فيـهِ مـنْ وَهْـجٍ لجمـرِ[4]
ومِـنَ الصَّحـراءِ كـانَ المَحْشَـرُ فَلَـدَيْهـا مِنْـهُ عُمْـرٌ آخَـرُ[5]
رحمـةُ اللهِ ومـنْ تَحْنـانِـه فـارسٌ ظلَّت وروما أينَ هِـي ![6]
مـا مضـى عـن جِسْمِهـا روحٌ رؤوم أبغيـر الحَشْـرِ مـنْ تُـرْبٍ تَقُـومْ[7]
رجـلُ الصَّحـراءِ روحـاً قـد مَنَـحْ وإلـى صحـرائِـه عنهـا نَـزحْ[8]
ومحـا مـنْ لـوْحنـا كـلَّ القـديـم جَـدَّدَ العَصْـرَ ، وليـس بـالمقيـم
إنَّهـم لـم يـذكـروا فَضْـلَ العَـرَبْ
وَمِـنَ الإفـرنـجِ ذابـوا فـي اللَّهَـبْ !

* * *

---

(١) الرجام : جمع رجم ، وهو القبر .
(٢) رستم : أعظم أبطال الأساطير عند الفرس . وحيدر : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
(٣) البهيم : الذي لا ضوء فيه إلى الصباح . يقول : إنَّ كل شيء فيها كان قديماً بالياً حتى ليلها ونهارها .
(٤) الترب : التراب . والوهج : اتقاد النار .
(٥) يشير إلى فتح العرب لفارس ، ويشبهه بالبعث والحياة الأخرى .
(٦) التحنان : الرَّحمة .
(٧) الرؤوم : الرحيمة . وفي الأصل الطاهرة .
(٨) نزح : بعد ورحل .

ظهور روح ناصر خسرو العلوي واختفاؤها وإنشاد غزل رقيق[١]

لِلْحُسامِ واليَراعِ تجعلُ الكفَّ المدارا
منْ جَوَادِ الجسم بَعْدُ ، أنْتَ لا تخشى العِثَارا[٢]
الحسامُ واليَرَاعُ منهما فَضْلٌ عميم
يا أخيَّ مَصْدَرُ النُّورِ لدينا كانَ نارا[٣]
عِنْدَ كفارٍ أجنبي أيُّ خيرٍ فيهما
لهما بالدِّين سِعْرٌ يشتري حتى النُّضارا[٤]
عِزَّةُ الدِّين بعلمٍ وبجهلٍ ذلَّةٌ
دينُ جُهَّالٍ كزهرِ الثَّورِ قَدْ جابَ القِفَارا[٥]
مِثْلُ كُرْباسٍ وإلياسٌ يَخيطُ نِصْفَهُ

---

(١) ناصر خسرو : من شعراء إيران في القرن الخامس الهجري ، وكان من دعاة المذهب الإسماعيلي ، وجمهرة أشعاره في المسائل المذهبية والفلسفية . ولما قدم مصر ، وكل إليه الخليفة الفاطمي نشر المذهب الإسماعيلي في خراسان ، وجعله رأس الباطنية في تلك الجهات .

(٢) الحسام : السيف . واليراع : القلم . وهذا الشعر نوني القافية في الأصل . ويقول الشاعر : إنك إذا جعلت من كفك ميداناً يجول فيه القلم والسيف ، فإن جواد جسمك لا يكبو من بعد .

(٣) أخي : تصغير أخ . وهو يقول : إنَّ الحسام واليراع مصدر الخير ، كما أن النار مصدر النور .

(٤) النُّضار : الذهب . وإذا اقترن القلم والسيف بالدِّين غلا ثمنهما ، وعظمت قيمتهما .

(٥) يقول : إنَّ الدين يُعزُّ بالعلم . والدين عند الجاهل كالزَّهرة عند الثور الذي يتجوَّل في الصحارى .

ويهـوديٌّ لكفْـنِ نِصْفِـه الثـانـي استعـارا[1]

أبداليّ

وفتـىً مُلْكـاً عظيمـاً قـد أقـامـا ... للجبـالِ عـادَ واختـارَ المَقَـامـا
أضْـرَمَ النيـرانَ فـي تلـكَ الجبـال ... أحْـرَقَتْـهُ ؟ أمْ شجـاعٌ لا يبـالـي

***

زنده رود

الشعـوبُ بينهـا صَفْـوُ الإخـاء ... إخوةٌ ، في حَرْبِها أو في المِرَاء[2]
وحيـاةُ الشَّـرْقِ كـانَـتْ مـنْ حَيَـاتِـه ... ابنُـه الجنـديُّ أمسـى مـنْ حُمَـاتـه !
ذاتَـه مِـنْ ذاتِـه جهـلاً سَلَـبْ ... مـالَـهُ مِـنْ ممكنـاتٍ مـا حَسَـبْ[3]
ولـه قلـبٌ وعنـهُ غـافِـلُ ... للجسومِ والقُلوبِ منْ فراقٍ فَاصِلُ[4]
إنَّمـا الجـوَّالُ ضـلَّ كـلَّ غـايـه ... روحُـه مـا إنْ دَرَتْ معنـى النِّهـايَـهْ

---

(١) الكرباس : ثوب من القطن الأبيض وقيل هو الثوب الخشن . والكفن : تكفين الميت .
وإقبال يومىء إلى حقيقة تاريخية هي ظهور النبي إلياس في اليهود بعد انقسام مملكتهم قسمين شمالي وجنوبي . وقد أراد أن يهدي اليهود إلى دين قويم أساسه توراة موسى ، وكان يلبس قباء أبيض . وما زال اليهود إلى اليوم يصلون بقباء أبيض لا يجيزون الصَّلاة إلا به .
وقد تلقينا هذه المعلومات عن الأستاذة منى ناظم المعيدة بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب من جامعة عين شمس ، فلها الفضل وإليها الشُّكر .

(٢) المراء : الجدال . يقول : إنَّ الشعوب إخوة إلا أنَّها على الدوام تتحارب وتتجادل .

(٣) حسب الشيء : عدَّه وأحصاه .

(٤) يقول : إن الفراق حدٌّ يفصل بين الأجسام والقلوب .

يعـــرفُ الأفغـــانَ حقّـــاً شـــاعـــرُ قـــالَ مـــا قَـــدْ قـــالَ وهـــو السَّـــادِرُ[١]
إنَّـــه كـــانَ حَكِيْـــمَ شَعْبِهـــمْ بـــذلَ الـــوُسْـــعَ بِقَصْـــدِ طَبِّهـــم[٢]
ســـرُّ قـــومٍ قَـــدْ دراهُ ثـــمَّ قـــالا مـــا رآه الحـقُّ لـم يَخْـشَ الـوَبـالا[٣]

« فتـــى الأفغـــانِ لـــو يلقـــي البعيـــرا
يحمـــلُ الجـــوهـــرَ والـــدُّرَّ الـــوفيـــرا
مـــا تملَّـــى ذلـــكَ الـــوَسْـــقَ الكبيـــرا[٤]
وأرادَ جُلجُـــلَ الهـــادي الصَّغيـــرا[٥]

أبدالي

إنَّ مِـــنْ قلـــبٍ لنـــا الطَّبْـــعُ اتَّقَـــدْ وصَحَـــا منـــهُ التُّـــرابُ أوْ رَقَـــدْ
وبمـــوتِ القَلْـــبِ جِسْـــمٌ غُيِّـــرا ودمـــاً أمســـى النَّضِيـــحُ أحمـــرا[٦]
بفســـادِ القلـــبِ مـــا هـــذا الجَسَـــدْ ؟ وَحْدَهُ كُنْ مَنْ على القَلْبِ اعْتَمَدْ
آسيـــا جســـمٌ وَمِـــنْ مـــاءٍ وطيـــن قلبُهـــا الأفغـــانُ خفَّـــاق الـــوَتِيْـــن[٧]
ولهـــا منـــه الفســـادُ إنْ فَسَـــدْ وانطـــلاقٌ مِنْـــهُ يـــا نِعْـــمَ المـــدد ![٨]
بـــانطـــلاقِ القَلْـــبِ فـــالجِسْـــمُ الطَّليـــق أوْ لـــريـــحٍ كـــانَ بـــالقـــشِّ الخُفُـــوقْ[٩]

---

(١) السادر : الذي لا يبالي .
(٢) طَبُّهم : علاجهم من المرض .
(٣) الوبال : سوء العاقبة .
(٤) تملَّى الشيء : تمتع برؤيته . الوَسْقُ : الحِمْلُ .
(٥) الجلجل : الجرس الصغير . والهادي : العنق .
(٦) النضيح : العرق .
(٧) الوتين : عرق في القلب .
(٨) المدد : العون .
(٩) يقول : إن الجسم إذا لم ينطلق بانطلاق القلب ، كان شبيهاً بالقشَّةِ إذا اشتدت بها الريح في يومٍ عاصف .

ولـه كـالجسـم بـالعُـرف القُيُـود دينُـه أحيـاهُ والمـوتُ الحُقُـود[1]

بمقـامٍ وَحْـدةٍ قـد عـزَّ دِيـنْ

ذلـكَ الشَّعْـبُ بهـا شَعْـبٌ يكـونْ

ذاتَـه يفقـدُ ذا الشَّـرقُ المُقَلَّـدْ لَيْتَـهُ النَّقـادُ لِلْغَـرْبِ المُفَنِّـدْ[2]

عـزُّ هـذا الغـرب لا بـالمطربـات لا ولا رقـصِ الغـوانـي العـاريـات

لَـمْ يَهَبْـهُ قَـوَّةً وَرْدُ الخُـدود وقصيـرُ الشَّعْـرِ أو مَيْـسُ القُـدود[3]

مجـدُه مـا كـانَ مِـنْ تَـرْكٍ لِـدِيْـن لَيْسَ مِـنْ خطٍّ لـديـهِ بـالمَكِيْـن[4]

العلـومُ والفنـونُ سـرَّهُ وبمصبـاحٍ لَـدَيْـهِ نَـوْرُهُ

لستَ بـالثَّـوبِ حكيمـاً كـالأعـاظـم أيُضارُّ العِلْمُ مِنْ لُبْسِ العمائم[5]

تُـدْرِكُ العِلْـمَ بِعَقْـلٍ أنـتَ مـالـك لا بثـوبٍ تستعيـرُ مِـنْ هُنـالـك[6]

ليـسَ فـي هـذا السبيـل غيـرُ عِلْـم مـا علـى رأسِـك مِـنْ غَيْـرِ المُهِـمْ

إنْ مَلَكْـتَ الفِكْـرَ هـذا الفكـرُ حَسْبُـك

كـلَّ شـيءٍ عَنْـهُ مـا يُغنيـكَ ، طَبْعُـك

السَّنَـاجَ فـي الليـالـي إنْ أكَلْتَـه فإلى العلم السبيلُ قَدْ وَجَدته[7]

من رأى يوماً حدود مُلك مُعَنَّىٰ ؟ يَطْلُبُ المطلـوب مجهـوداً وأيْنَـا[8]

---

(١) الحقود : الأحقاد .

(٢) فَنَّده : كذَّبه وخطَّأ رأيه .

(٣) الميس : التبختر .

(٤) هذا الخط في الأصل هو الخط اللاتيني . والمكين : صاحب الحظوة .

(٥) ضاره : ضره .

(٦) يريد بهذا الثوب زي أهل الغرب .

(٧) السناج : أثر دخان المصباح . وأكلُ سناج المصباح في الفارسية كنايةٌ عن سَهَرِ الليالي في طلب العلم .

(٨) الأين : التعب .

فَقَــدَ الأتــراكُ ذاتــاً بــالمُــدَام فـالفـرنـجُ أسْكَـرُوهـم بـالسُّمـام[1]
إنَّ تِـرْيـاقَ العِـرَاقِ مـا لَـدَيْهِـمْ رحمـةً يـا ربِّ فـابْسُطْهـا عليهـم[2]
وعبيــدُ الغَــرْبِ يبغــونَ الظُّهــورا إنَّهم يُرْضُوْنَ بالرَّقْصِ الغُرورا !
روحَهـم فـي اللَّهـوِ كـانـوا يَفْقِدُونـا يَصْعُـبُ العلـمُ ، بلهـوٍ لـنْ يكـونـا
يَطْلُبـونَ السَّهـل لكـن مـنْ كَسَـلْ طبعُهـم مـا يبتغـي سَهْـلَ العَمَـلْ

اليَسيــرُ السَّهْــلُ لَـكِــنْ إنْ طلبتــا
أنــتَ روحــاً لــكَ مــنْ جسـمٍ فَقَـدْتـا

* * *

زنده رود

الفِـرَنْـجُ بـالـرقـيِّ مـا أرادوا ؟ ألفَ فردوسٍ من الألوانِ شادوا[3]
ظــاهــرٌ مِنْهُــم ديــاراً حــرَّقــا والغصــونَ بــالعِشــاشِ مَــزَّقــا[4]
ظــاهــرٌ يبــدو لعيــنٍ لامعــا وَهَــنَ القلــبُ لعيــنٍ خــانعــا[5]
يــزلــقُ القلــبُ وللعيــن النَّظَــرْ وأمــامَ المَعْبَــدِ الخفَّــاقُ خَــر[6]
ومصيــر الشَّــرْقِ هــذا مَــنْ دَرَىٰ ؟ أيُّ تــدبيــرٍ وتبغــي مَظْهَــرا

---

(١) يقول : إن الأتراك سكروا بخمرة الغرب ، وهي كناية عن افتتانهم به . والسُّمام : جمع سم .

(٢) الترياق : دواء السُّموم . وفي أشهر كتاب من كتب الأدب الفارسي ، وهو كتاب كلستان لسعدي الشيرازي عبارةٌ مشهورةٌ مأثورةٌ ، وهي : (يُسْلم الملدوغُ الروحَ قبل أن يُحضروا له الترياق من العراق) .

(٣) شاد البناء : رفعه .

(٤) العشاش : جمع عش .

(٥) الخانع : الخاضع في ذل .

(٦) الخفاق : القلب .

أبدالي

وعلـــى تغييـــرِ ذاكَ القَـــادِرِ ... بهلـــوي إيـــران قُـــلْ أوْ نَـــادِرِ
بهلـــوي ملـــكُ قُبـــاذِ نـــالـــه ... كـــلُّ معقـــودٍ لـــديـــه حَلَّـــه[1]
ومـــن الـــدَّرَّانييـــن كـــانَ نـــادِرُ ... وهـو لـلأفغـانِ ذخـرٌ مَـنْ يُكـابِـرُ ؟
إنَّـــه لِلـــدِّيـــن يَـــأْسَـــىٰ والـــوَطَـــنْ ... قـادَ جيشـاً فـي جبـالٍ قَـدْ كَمَـنْ[2]
بطـــلُ الهيجـــاءِ حقَّـــاً والأميـــرْ ... والحـديـدُ عنـد قـوْمٍ والحـريـرْ ![3]
مـــنْ رأى ذاتـــاً لـــه إنـــي فَـــدَيْتُـــهْ ... وازنَ العَصْـرَ بحـذقٍ مَـنْ هَـوَيْتُـهْ

كـم لأهـل الغـربِ مـنْ فَـنٍّ سَحَـرْ
إنْ نَسِيْـتَ الـذَّات كُنْـتَ مـنْ كَفَـرْ !

* * *

السُّلطانُ الشَّهيد

عَـنْ بـلادِ الهنـدِ حَـدِّثني طـويـلا ... قَشُّهـا يَفْضُـلُ بستـانـاً جميـلا[4]
مسجدٌ فيها خلا مِنْ صوتِ حَشَدْ ... ديـرُهـا مـا فيـهِ نـارٌ بَعْـدُ خَمَـدْ
قلبنـا حـزنـاً علـى الهنـدِ انْفَطَـرْ ... روحُنـا شيئـاً سِـواهـا مـا ادَّكَـرْ[5]

---

(١) بهلوي : هو رضا شاه بهلوي المتوفى عام ١٩٤٤م الذي أسس الأسرة المالكة في إيران بعد أن أسقط الأسرة القاجارية عام ١٩٢١م ورضا شاه مؤسس إيران الحديثة وعلمٌ عظيمٌ من أعلام تاريخها . وقباذ هو كيقباذ أول ملوك الأسرة الكيانية في إيران ، وفي عهده هزم البطل رستم التورانيين أي الأتراك هزيمة ماحقةً .

(٢) يأسى : يَحْزنُ .

(٣) الهيجاءُ : الحَرْبُ .

(٤) فضله : كان أفضل مّنه .

(٥) ادَّكر : ذكر .

حـــزْنُهـــا قِسْـــه بـــأحـــزانٍ لنـــا ليـــس يـــدري مـــنْ نُحِـــبُّ حـــالَنـــا

زنده رود

الهنـــودُ أنكـــروا قـــانـــونَ غَـــرْب كـــلُّ سحـــرٍ رَفَضُـــوهُ كـــلَّ خَلْـــب[1]
إنَّ عُـــرْفَ الغيـــر روحـــاً يُثْقـــلُ مِـــنْ سمـــاءٍ إنَّـــه لا يَنْـــزِلُ !

* * *

السُّلطانُ الشَّهيد

وإذا الإنســـان مـــنْ طيـــنٍ خَـــرَجْ قَلْبُـــهُ مـــنْ رغبـــةٍ فيـــه اخْتَلَـــجْ
لـــذَّةُ العصيـــانِ كـــانَـــتْ مُتْعَتُـــهْ رؤيـــةُ الـــذَّاتِ رآهـــا بَهْجَتُـــهْ
هـــذه الـــذَّاتُ بعصيـــانٍ تُنَـــالْ وانعـــدامُ الـــذَّاتِ معناهُ الـوَبـالْ[2]
أنْـتَ فـي أرضـي وفـي داري حَلَلْتـا وبعيـــنِ قبـــريَ البـــالـــي مَسَحْتَـــا
وعـــرفـــتَ حَـــدَّ كـــلِّ الكـــائنـــات فـي الجنـوبِ أيْـنَ آثـارُ الحيـاة[3]

زنده رود

في الجنوبِ قَدْ نَثَرْتُ الدَّمْعَ حَبّا فـاكتســتْ أرضٌ بِـهِ وَرْداً وأبّـا[4]
نهرُ « كاويري » يَسيرُ في جموحهْ ورأيـتُ وَقْـدةً أخـرىٰ بِـروحِـهْ[5]

---

(١) الخلب : الخداع .
(٢) الوبال : سوء العاقبة .
(٣) اخترنا هنا كلمة جنوب عوضاً من « دكن » وهو اسم إقليم في جنوب الهند . وكلمة دكن في الأوردية بمعنى جنوب .
(٤) الأبُّ : المرعى .
(٥) اسم النهر الذي تقع عليه مدينة سرنجاباتم .

السُّلطانُ الشَّهيد

قـولُـكَ النُّـورُ بـه ضـاءت قُلـوبْ ... لـكَ دمـعٌ نـاره منهـا أذُوبْ[1]
عـالِـمُ الأسـرارِ دَوْمـاً مـنْ ظَفَـرْ ... مِـنْ عُـروقِ العُـوْدِ أنهـاراً حَفَـرْ[2]
ونشيـدُ الـرُّوحِ إنْ أنْشَـدْتَـهُ ... اللهيـبُ فـي الحشـا أوْقَـدْتَـهُ
عنـد مـولى الكـلِّ كُنْـتَ حاضِـرا ... مـنْ سِـوَاهُ كـانَ يهـدي سـائـرا
وعلـى القَـوْلِ هنـاكَ مـا شجُعْـت ... رؤيـةٌ بـالـرُّوح كـلُّ مـا استطعـت
وأنـا مـنْ أحـرقتنـي نـارُ شِعْـرِكْ ... ولساني لا يني عن ذِكْرِ فِكْرِكْ[3]
قـال « بَيْـتٌ قلتَـه مـنْ قـالـه ؟ ... ضجَّـةُ الـدُّنيـا ومـا فيهـا لـه »
ببيـانٍ لـكَ فـي الـرُّوح اسْتَعَـرْ ... نَهْـرَ كـاويـري فَصِـفْ وَارْوِ الخَبَـرْ

زنـده رود أنـت وهـو زنـده رود
إنَّ لحنـاً مـع لحـنِ مـا يجـود[4]

رسالةُ السُّلطان الشَّهيد إلى نَهْرِ كاويري
حقيقةُ الحياةِ والموتِ والاستشهاد

إنَّ هـذا النَّهْـرَ قـد سـارَ الهُـوَينـى ... ودوامُ السَّيْـرِ مـا أضنـاهُ أينـا[5]
نـائحـاً بيـنَ الجبـالِ ، كُنْـتَ تَعْبُـرْ ... وطـريقـاً لـكَ بـالأهـدابِ تَحْفُـرْ !
أنـتَ مِـنْ جِيحـونَ خيـرٌ والفـرات ... للجنـوبِ كُنْـتَ وهَّـابَ الحيـاة
يـا لأرضٍ أنْـتَ قـد عـانقتهـا ... بـرواءٍ كـانَ فِيْـكَ زِنْتهـا

---

(١) ضاء : أنار وأشرق .
(٢) عروق العود هنا هي أوتاره . وفي الأصل من دماء تلك العروق .
(٣) يني : يفتر ويضعف .
(٤) يجود : يحسن .
(٥) الأين : التعب .

شِخْتَ لكنْ أنْتَ فيَّاضُ الشَّباب والبهاءُ لكَ كالسِّحرِ العُجاب
بنتُ موجاتٍ لديكَ دُرَّةٌ فلتثُر موجاً عليك طُرَّةٌ[1]
حُرْقَةُ العيشِ تغنِّيها نشيدا أعلِمْتَ منْ لِذَا كانَ البريدا[2]
إنَّه منْ طُفْتَ حَوْلَ سَطْوَتِه لَكَ مرآةٌ لِوَجْهِ قُوَّتِهْ[3]
الصَّحارىٰ جنَّةٌ منْ قُدْرَتِهْ بدماهُ كانَ رَسْمُ صُوْرَتِهْ
الأماني منْ ثراهُ تَقْتَرِبْ منْ دِمَاه فِيْكَ مَوْجٌ يَضْطَرِبْ
كانَ فعلاً كلُّ قولٍ قالَه
لم يَنَمْ ، والشَّرْقُ نامَ ليلَه
إنَّنا الأمواجُ في نَهْرِ الحياة إنَّما التَّبديل شأنُ الكائناتْ
ما الحياةُ غَيْرَ تجديدٍ تجدَّدْ عالماً تطلبُ في شوقٍ تمهَّدْ
الذَّهابُ والمجيء ما هما الكيانُ لِلْوُجودِ مِنْهُما
الطَّريقَ راحلون في سَفَرْ سَفَرٌ يخفى لكي يبدو الحَضَرْ
النِّياقُ والصَّحارى والنَّخيل تِلْكَ أشجاها وأبكاها الرَّحيل
برهةً حَلَّتْ وُرودُ الرَّوض ضيفا لاختبارٍ عُرِّضت حسناً وعَرْفَا[4]
مأتمٌ في الرَّوضِ أمْ أفراحُ سُوْرْ ؟ برعمٌ في الحِضْنِ ، نَعْشٌ لِلزُّهُوْرْ[5]
أحمرُ الوَرْدِ لهُ قُلْتُ احْتَرِقْ قالَ سرِّي ما عَرَفْتَ يا لَبِقْ !
مِنْ هشيمٍ للوُجودِ ذا البناء
للظُّهورِ حسرةً كانَ الجزاء
ما مضى أو ما يكونُ ، اِمْضِ عَنهُ المجيءُ للوُجودِ ، دَعْكَ مِنْهُ

---

(١) الطرة : شعر مقدم الرأس . يشبه الأمواج بالشَّعر الثائر .
(٢) البريد : الرَّسول .
(٣) في الأصل : أنت حامل المرآة لوجه سطوته .
(٤) العرف : الرائحة الذكية .
(٥) السور : كلمة فارسية تستخدم في العربية ، وهي بمعنى الوليمة والضيافة .

لا تَضِعْ مِثْلَ الشرارِ إنْ قَدِمْت ... اطلبنَّ بَيْدراً إمّا مَضَيْت[1]
وإذا أشْبهتَ شمساً في الصِّفات ... فارتفعْ بَيْنَ الشُّموسِ المشرقات
الرياضَ احْرِقْ وآكامَ الصَّحارى ... والسِّماكَ أصْلِ بقاعِ اليمِّ نارا[2]
وإذا عوَّدْتَ جُرْحَ السَّهْمِ صَدْرا ... فلتعشْ صَقْراً وكُنْ في الموتِ صَقْرا
السكونُ في الحياةِ للثَّباتِ ... ما سألتُ اللهَ طَوْلًا في حياتي !
دينُنا والعُرْفُ في تِلْكَ الحياةِ
برهةً كاللَّيْثِ لا عاماً كشاةِ[3] !
الحياةُ برضاكَ أحْكِمَتْ ... قَتَلَتْكَ أُخْذةٌ قَدْ دُبِّرت[4]
الرَّدَى ظبيٌ وهذا المرءُ ضَيْغَمْ ... منْ مقاماتِ حِمامَ المرء فاعلم[5]
إنَّما الكاملُ يحتاجُ الحِماما ... كالشواهين إذا صادت حماما[6]
ويموتُ العَبْدُ خوفاً من حِمام ... لَمْ يَكُنْ عيشٌ له غَيْرَ الحرام !
لكنِ الحرَّ هذا شأنُه ؟ ... روحُه الأخرىٰ لَدَيْهِ حَيْنُه[7]
ليس يُجري ذِكْرُ موتٍ بتَّةً ... ويموتُ الحُرُّ لَكِنْ بَغْتةً[8]
دَعْكَ منْ مَوْتِ القُبُورِ والتُّراب ... إنَّه الموتُ وَلٰكِنْ في التُّراب
ما يُرَجِّي مؤمنٌ منْ ربِّه ... موتُ إطلاقٍ له منْ تُرْبه
لطريقِ الشَّوْقِ هذا الموتُ غايه ... وهو للتكبير في حربِ نهايه

---

(١) البيدر : الموضع الذي يدرس فيه القمح .
(٢) السِّماك : جمع سمك .
(٣) أي عش برهةً كالأسد ولا تَعِشْ عاماً كالشاة .
(٤) الأخذة : الرقية تأخذ العين كالسِّحر .
(٥) الضيغم : الأسد .
(٦) الكامل : الرجل الكامل . يجتاح : يقهر . الحمام : الموت . الشواهين : جمع شاهين ، وهو طائر كالصقر .
(٧) الحين : الهلاك ، والمراد هنا الموت .
(٨) بتة والبتة : بمعنى لا رجعة فيه .

ليس للمؤمن غَيْرُ الأطيب ... أيُّ موتٍ مِثْلُ موتِ ابنِ النَّبي[1]
الملوكُ حاربوا منْ أجْلِ سَلَبْ ... كالنَّبيِّ مؤمنٌ في خَوْضِ حَرَبْ[2]
وبها يمضي إلى دارِ الحبيب ... يَهْجُرُ الدُّنيا لِوَصْلٍ منْ قَرِيْب
قالَ للقومِ النبيُّ ذو المحامد ... راهبُ الإسلام منْ كانَ المجاهد[3]
الشَّهيدُ وَحْدَهُ هذا دَرَاه
بدمٍ أجْرَاهُ في الحرب اشْتَراه

* * *

زنده رود يغادرُ الجنَّة العالية
وطلبَ حور الجِنان

كأسُ صبري أصْبَحَتْ بعضَ الفُتات ... قال لي الروميُّ قُمْ قَبْلَ الفَوات[4]
يا حديثَ الشَّوْقِ يا جَذْبَ اليقين ! ... يا لإيوانٍ على الأسِّ المتين[5]
دامِيَ القَلْبِ إليه قَدْ وصَلْت ... وعلى أعتابِه حُوْراً رَأَيْت
قالتِ الحورُ تَعَالَ زِنْدَهْ رُود ... لكَ عَذْبُ اللَّحن يشجي ، والوُقود[6]
خفقاتٌ منْ ضَجِيْجِ حَوْلَنا ... زِنده رود اجْلِسْ قليلاً بيننا

* * *

---

(١) ابن النبي هنا هو الإمام الحسين رضي الله عنه سيد الشهداء .
(٢) أي أن المؤمن يشبه النبي ﷺ ، ويقتدي به في الجهاد .
(٣) الإشارة إلى قوله ﷺ : « الجهاد رهبانية الإسلام » .
(٤) الفتات : ما تفتت من الشيء وكسارته . والفوات : فوات الأوان .
(٥) يا هنا للتعجب . والأسُّ : الأساس .
(٦) الوقود : النار .

زنده رود

كـلُّ مـنْ يَعْـرِفُ سِـرّاً للسَّفَـرْ ... يَرْهَبُ المَنْزِلَ لا لصَّ الممَرْ[1]
الـوِصَـالُ مـا أراحَ قَـطُّ عِشْقـا ... بَـلْ أراحَ سـرمـديَّ الحُسْـنِ حَقّـا
وابتـداءً عِنْـدَ حَسْنـاءِ سُجُـود ... بـانتهـاءِ حُطِّمَـتْ تِلْـكَ القُيـود
سَـادِرٌ مـا كـفَّ يـومـاً عـنْ رَحِيْـل ... وهو في غيرِ المكانِ ابنُ السَّبيل[2]

دِينُنـا يُشْبِـهُ مـوجـاً أسـرعـا
مـا أقـامَ بـلْ أرادَ المَهْيَعـا[3]

حُوْرُ الجنَّة

لَـكَ دَلٌّ مِثْـلَ دلِّ للـزَّمـان
فعلينـا لا تَضِـنَّ بـالأغـانـي

غزل زنده رود

أإلى المرءِ وَصَلْتَ ؟ لك رَبّاً كَيْفَ تَطْلُب ... وَمِنَ الذَّاتِ فَرَرْتَ أنْتَ صَحْباً كيفَ تَطْلُب
شاحبَ الوجْهَ تَعَلَّقَ بالغُصونِ الطَّلّ وارْشُفْ ... لك شيئاً مِنْ نسيمٍ هبَّ هبّاً كَيْفَ تَطْلُبْ
قطرتـان مـنْ دمـاءِ ذاكَ مـا سَمَّـوْهُ مِسْكـاً ... يا غزالَ المسك مسكاً مِنْك عُجْباً كَيْفَ تَطْلُب[4]
إنَّ عـزَّ المُلْـكِ والسُّلْطـانِ معيـارٌ لِفَقْـرِ ... الحطامَ ما طَلَبْتَ المُلْكَ وَهْباً كَيْفَ تَطْلُب

---

(١) في الأصل : أنَّ رهبةً من المنزل أشدُّ من رهبة من قاطع الطريق .
(٢) السَّادر : الذي لا يبالي بما صنع ، والمراد به : العِشْق .
(٣) المهيع : الطريق الواسع .
(٤) يعتقد القدماء أنَّ المسك مِن دم الغزلان ، وفي ذلك يقول المتنبي :
وإن تَفُـقِ الأنـامَ وأنْـتَ منهـم ... فـإنَّ المِسْـكَ بَعْـضُ دَمِ الغـزال
والعجب : التيه والخيلاء . وفي الأصل يا غزال الحرم في الخطا ماذا تطلب .
والخطا : اسم لشمال الصين ، وهذا الإقليم يشتهر بغزلان المسك .

عَرَفُوهُ في الوُرُوْدِ الحُمْرِ بالبستانِ يَبْدُو لحنُنا الدَّامي الحزينُ قدَّ قلباً كَيْفَ تَطْلُب
مَنْ له قلبٌ مُنيرٌ زادَ نوراً كلَّ عينِ ليت شعري لِعَشَى العَيْنَيْنِ طَبّاً كَيْفَ تَطْلُب
زاهدون ، رؤيةُ الدُّنيا كراماتٌ لنا
نظرةً منا ، وما يغويك خلباً كَيْفَ تَطْلُب

في الحَضْرَةِ الإلهيَّة

مِنْ تَجَلِّي اللهِ كانَتْ جَنَّتُه لا يريحُ الرُّوْحَ إلا رُؤْيَتُه
نَحْنُ قومٌ قَدْ جَهِلْنَا أصْلَنا نحنُ طَيْرٌ وأضعنا عُشَّنا[1]
علَّمَنَا إنْ كانَ ساءَ جَوْهرا كانَ لِلْعَيْنِ الحِجَابَ الأكبرا
وإذا بالعِلمِ حَقَّقْنا النَّظَرْ فالسَّبيلُ والدَّليلُ يُعْتَبَر
وَيُريكَ للوجودِ قِشْرَه ويقولُ سَلْ تبيَّنْ سِرَّهُ
رامَ تمهيدَ الطَّريقِ دائما أيْقَظَ الشَّوْقَ وكانَ نائما
وَهَبَ النَّارَ لقلبٍ والوجيبا وبجوفِ اللَّيْلِ قَدْ أهدىٰ النَّحيبا[2]
إنَّه ما فسَّرَ الدُّنيا لَنَا عَيْنَنَا رَبَّى وَرَبَّىٰ قَلْبَنا
وإلى جَذْبٍ وَشَوْقٍ يَرْفَعُكْ مِثْلَ جبريلَ أراهُ يُبْدِعُكْ[3] !
هَلْ يُتيحُ العِشْقُ يوماً عزلةً إنَّه يَحْسُدُ مِنْهُ مُقلةً[4] !
كان في البَدْءِ الرَّفيقَ والطَّريقا
ثم يمضي بَعْدَ أن يَنْسَىٰ الرَّفيقا
عَنْ قصورٍ سِرْتُ عَنْ حُورٍ بَعُدْت زورقي روحي وفي نورٍ فَقَدْت

---

(١) الطير : الطيور .
(٢) الوجيب : خفقان القلب . والنَّحيب : رفعُ الصوت بالبكاء .
(٣) يبدع : يخلق .
(٤) أي إن العشق لا يتيح للعاشق خلوةً مع الحبيب .

والغريقَ كُنْتُ في هذا الجمال ... وهو بالتَّبديل يحمي منْ زوال !
وَفَقَدْتُ في ضَميرِ الكائنات ... فالحياةُ كالرَّبابِ الصَّادِحات[1]
إنَّما أوتارُها كانَتْ رَبابا ... كلُّ لحنٍ كانَ في قلبي جِرَابا
أسرةٌ نَحْنُ بها نارٌ وَنُوْر ... آدمٌ والشمس جبريلٌ وَحُوْر
وأمامَ الرُّوحِ مرآةٌ أُقيمت ... باليقينِ حَيْرَةٌ طالتْ فَشِيْبَتْ[2]
وصباحُ اليومِ ملءُ العَيْنِ نُور ... لغدٍ فيهِ وللأمْسِ الظُّهور
وبأسرارٍ لهُ ربِّي بدا ... نَفْسَه بالعين منِّي شاهدا
وازديادٌ لا يَحُوْرُ أنْ يُرىٰ ... بلْ خروجُ الجسم مِنْ قَبْرِ الثَّرى[3]
ردَّدَ العَبْدُ ومولاهُ النَّظَرْ ... فإذا شكواهُما شَكْوىٰ الحسَر[4]

طلبٌ تِلْكَ الحياةُ حَيْثُ كانَتْ
أيُنا الصيدُ ؟ رموزٌ ما اسْتَبانَتْ

لذةُ الرؤية كانت في جَنَاني ... وَمِنَ العِشْق جَرُؤتُ في لساني[5]
« أنتَ نورَ العالمين قَدْ وَهَبْنا ... فإلى دنيا الثَّرى هلاَّ نَظَرْتا
ما رأى الإنصافَ مِنها الحرُّ مَرَّهْ ... غير شوكٍ لم يَجِدْ في كلِّ زَهْرَه
غالبٌ في العَيْشِ مسرورٌ طَرِبْ ... والليالي عدَّها منْ قَدْ غُلِبْ !
إنَّ الاستعمارَ مِنْهُ كُلُّ نَكْسِ ... يا له ليلاً يُريدُ حَجْبَ شَمْسِ
وعلومُ الغَرْبِ نَهْبٌ يُذْكَرُ ... وبلا حَيْدَرَ دَيْرٌ خَيْبَرُ[6]

---

(١) الرباب : من آلات الطرب .
(٢) شابه : مزجه .
(٣) يحور : ينقص .
(٤) الحسر : التعب .
(٥) الجنان : القلب .
(٦) المراد بيذكر أنَّ هذا النهب معروف للناس يذكرونه جميعاً . وإقبال يشير إلى ما كان مِنْ أمر عليٍّ كرَّم الله وجهه في غزوة خيبر ، وقد سبق بيان ذلك .

إنَّمـا المسكيـنُ قـالَ : لا إلهـا فِكْـرُهُ نَـدَّ وَمِنْـهُ العَقْـلُ تـاهـا[1]
نحـنُ فـي الـدُّنيـا نمـوتُ أربعـا اذكـرنْ مِنهـا المُـرابـي الأجْشَعـا[2]
أيليـقُ بـكَ هـذا العَـالـمُ
منـه فـي ذَيْلِـكَ طيـنٌ أقْتَـمُ[3]

* * *

نداءُ الجمالِ الأبديِّ

مِـنْ جميـلٍ وَقبيـحٍ ربُّنـا خـطَّ نقشـاً ، إنَّ هـذا نَقْشُنـا
ما الوجودُ هَلْ عَرَفْتَ يا نجيب ؟ مِنْ جمالِ الله أنْ يُلفىٰ النَّصيب[4]
كـانَ هـذا الخَلْـقُ نِشـداناً لِعِشْـق والظهـورُ بـالجمـالِ عِنْـدَ خَلْـقِ[5]
وضجيـجٌ مـا يكـونُ أو غَبَـرْ بجمـالٍ عنـدنـا يبـدي الأثـر[6]
الفنـاءُ للحيـاةِ والبَقـاء إنَّهـا خَلْـقٌ وَشَـوْقٌ لِلِّقـاء
أنـت حـيٌّ ؟ حـنَّ شـوقـاً واخْلُـقِ كـلَّ أفـقٍ مِثْلَنـا فلتَطْـرُقِ
مـا تـراهُ لا يـواتـي فَلْتُحطِّـمْ عـالمـاً مِنْـكَ إليـكَ فَلْتُقَـدِّمْ[7]
كـلُّ حُـرٍّ كـان مَكـروبـاً حـزينـا أنْ حَـوَاهُ عـالـمٌ لـلآخـرينـا
أعلـى الإبـداع أنْـتَ غَيْـر قـادر ؟ لَسْـتَ فـي رأيٍ لَـدينـا غَيْـرَ كـافِـر

---

(١) ندَّ : نَفَر وشرد .
(٢) أي نموت أربع مرات . وفي الأصل أنَّ السبب في ذلك أربعة وهم المرابي ، والوالي ، وشيخ الطريقة ، والشيخ .
(٣) الأقتم : الذي يعلوه اللون القاتم .
(٤) يلفى : يوجد .
(٥) النشدان : الطلب . والخلق في الشطر الثاني بمعنى الناس .
(٦) غبر : مضى .
(٧) يواتي : يوافق .

وعـــدمـــت حسننـــا حتَّـــى الأثـــر مِـنْ نخيـلِ العَيْـشِ مـا ذُقْـتَ الثَّمـر
مِـنْ رجـالِ الله ؟ كـنْ سيفـاً حُسَـامـا
عالمَ التَّقديرِ فاخْلُقْ ، والمَرَاما[1] »

* * *

زنده رود

عـالَـمُ الألـوانِ عَنْـهُ مـا الخبـر هلْ يعودُ الماءُ يجري في النَّهَرْ ؟
سِـرُّ تكـرارٍ عَـنِ الـدُّنيـا غَـرِيـبْ وهـو فـي طبـعٍ لهـا أمـرٌ عَجِيـبْ
لا تجـوز رَجْعَـةٌ تحـتَ السَّمـاءْ لـم يَقُـمْ قـومٌ تـلاشَـوا فـي الفَنـاءْ
لا يَقُـومُ الشَّعْـبُ مِـنْ أعمـاقِ قَبْـرِ
مـا لَـهُ مِـنْ بَعْـدُ قَبْـرٌ غَيْـرَ صَبْـرِ

نداء الجمال الأبدي

الحيـاةُ أهـي تَكْـرارُ النَّفَـس ؟ أصلُها مِنْ قولِ « يا حيُّ » انْبَجَسْ[2]
إنَّ قُرْبَ الرُّوحِ مِنْ ﴿ إني قريب ﴾ مِنْ حياةِ الخُلْدِ للمرءِ النَّصِيبْ[3]
يـرفـعُ التَّـوحيـدُ فـرداً بـالتُّقـاة يَجْعـلُ الشَّعْـبَ أحـاديـثَ الرُّواة[4]

---

(١) السيف الحسام : القاطع .
(٢) انبجس الماء : تفجر .
(٣) قال جل وعلا في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] والله قريب علماً وإجابةً لتعاليه عن القرب مكاناً . قيل : إنَّ أعرابياً سأله ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية . والإيمانُ والعملُ الصَّالح شرط في قبول الدعاء .
(٤) التقاة : التقوى . وأردنا بجعل الشعب أحاديث الرواة أنَّ هذا الشعب مشهورٌ عند الناس رفيع القدر . =

وعَـنِ الشِّبلـي سمعـتُ أو أبـي ذَرْ طغـرلٌ كـانَ لِشَعـبٍ ثُـمَّ سنْجَـرْ[1]
بـالتَّجلِّـي كـانَ لِلْمَـرْءِ الثَّبـات إنَّـه لِلْفَـرْدِ والشَّعْـبِ الحَيَـاة
وَلَقـدْ نـالا بتـوحيـدٍ كمـالا حقَّقَـا هـذا جـلالًا ذا جَمَـالا
وهمـا سلمـانُ فـي الفَقْـرِ التَّقـيّ وسليمـانُ لـه المُلْـكُ العلـيّ[2]

ويـرىٰ الـواحـدَ هـذا ، ذاكَ واحـدْ
جـالسـنْ هـذا وذاكَ فلتُعَـاضِـدْ

= وينقسم التوحيد أقساماً عدة : أولها التوحيد الإيماني الذي يمكن أن يسمى التوحيد الامتثالي والتقليدي والتعبدي ، وهو توحيد العوام والمقلدين ، والثاني التوحيد الاستدلالي والعقلي ، وهو توحيدٌ علميٌّ تحقيقيٌّ . وهذا توحيد علماء الكلام والحكمة الإلهية . وثالثها توحيدُ الواصلين من الصُّوفية ، وهو توحيدٌ حاليٌّ وكشفيٌّ . وعندهم أنَّ حال التوحيد وصفٌ لازم لذات الموحِّد ، وللتوحيد نورٌ يكشف الظلمة عن الصُّوفي ، وبذلك يشاهد الجمال الإلهي ، ويفضي به الأمر إلى أن يعدَّ التوحيد صفةً له ، ويصبح أشبه شيء بالقطرة التي تسقط من ذلك التوحيد في بحر .

(١) في الأصل بايزيد والشبلي وأبو ذر . وبايزيد هو بايزيد البسطامي من أهل القرن الثالث الهجري ، من كبار الصوفية ، وأول من نسبت إليه الشطحات . والشبلي صوفي بغدادي ، يقال : إنه أول من صعد المنبر لينشر في الناس مبادىء التصوف ، وكان يعظم الشرع ، ومات عام ٣٣٤هـ . وأبو ذر صحابيٌّ جليلٌ مشهور بالزهد والورع ، وأحد الأركان الأربعة عند الشيعة . طغرل بك : أول سلاطين السلاجقة ، وقد اتسع في الفتوح ، واستولى على بغداد ، وذكر اسمه في الخطبة ، وتزوج ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وكانت وفاته عام ٤٥٥هـ . وسنجر : آخر عظيم من سلاطين السلاجقة ، وفي عهده أغار الأتراك على مملكته ووقع مع زوجه في أسرهم وتوفي عام ٥٥٢هـ .

(٢) سلمان الفارسي أعلى صحابة الرسول ﷺ قدراً ، وله شهرةٌ مستفيضة بالعلم ، والزهد ، والورع ، وهو مذكورٌ في الشعر الفارسي خصوصاً على أنه المثل الأعلى للمسلم التقي الذي رفعته تقواه إلى منزلةٍ ما بعدها من منزلة . أما سليمان فهو سليمان بن داود عليه السلام ، وكان عظيم الحكمة ، وسخر الله الرياح له يصرفها بأمره ، وله بساطُ الريح يطير به ، كما كان له من الجنِّ جنودٌ وملكٌ عظيم .

أنـت يـا مَـنْ « لا إلـه » قُلْـتَ مَـرَّهْ أيُّ شيءٍ ألفُ عينٍ خَلْفَ نَظْرَهْ ؟
ولأهـلِ الحـقِّ دَعْـوى وَحَّـدَتْ وَلَهُـمْ قلـبٌ ودورٌ أبْعَـدَتْ
تُصْبِـحُ الـذَّرَّةُ شمسـاً بـالنَّظَـرْ نظـرةً كُـنْ ، والإلـهُ مـا اسْتَتَـرْ !
نظـرةٌ بـاللهِ كَيْـفَ تـزدريهـا والتَّجلِّـي كـانَ لِلتَّـوحيـدِ فيهـا
وإذا التَّـوْحيـدُ شعبـاً أَسْكَـرا
فَمَكـانُ الشَّعْـبِ فـي أعلـى الـذُّرَى[1]
إنَّ رُوْحَ الشَّعْـبِ بَيْـنَ النَّاسِ كَـانَتْ لِلْحُلـولِ قـطُّ جسمـاً مـا أَرَادَتْ
بـاجتمـاعِ القَـوْمِ لِلـرُّوحِ البَقَـاءْ والشَّتـاتُ فيـهِ لِلـرُّوْحِ الفَنَـاءْ[2]
نظـرةً شـرِّد بهـا نـومَ اللُّحـود عِشْ طويلاً دَعْكَ منْ هذا الشُّرود[3]
وَحْـدَةُ الأفكـارِ والأعمـال حَقِّـقْ
خـاتَـمَ المُلْـكِ إليـهِ اليـومَ فـاسْبِـقْ

زنده رود

مَـنْ أنـا مَـنْ أنْـتَ أيـنَ العـالَـمُ طـالَ بُعْـدٌ بيننـا ! لا أعْلَـمُ
قـلْ لمـاذا كُنْـتَ فـي أسْـرِ القَـدَرْ لا تمـوتُ وأمـوتُ مـا الخَبَـرْ ؟

نداءُ الجمالِ الأبديّ

أنْـتَ فـي دنيـا الحـدودِ الأربعـه كـلُّ مـنْ فيهـا يـلاقـي مَصْـرَعَـهْ
إنْ تَـرِدْ عيشـاً فتلـك الـذَّاتُ أسْبَـقْ بعضُها في بعضها الدُّنيا لِتَغرَقْ[4]
مـنْ أنـا مِـنْ بَعْـدُ تـدري بـلْ وأنتـا كَيْـفَ فـي دُنْيـاكَ عِشْـتَ ثُـمَّ مُتَّـا

---

(١) الذُّرى : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء .
(٢) الشتات : التفرُّق .
(٣) أردنا بالشرود هنا ماً أراد إقبال بعدم المركزية ، أي : الخروج على الجماعة .
(٤) أسبق هنا بمعنى أفضل ، وقبل كل شيء .

أعـذرِ الجـاهـلَ بـالجهـلِ اعْتَـذَرْ والنِّقـاب ارْفَعْـهُ عَـنْ وَجْـهِ القَـدَرْ
ثـورةٌ للـرُّوس والألمـانِ كـانَـتْ خَفْقَـةُ الأرواحِ فـي الإسلامِ بـانَـتْ
دبَّـرَ الشَّـرْقُ وهـذا الغَـرْبُ دَبَّـرْ قُـلْ أجبني مـا الـذي كـان المُقَـدَّر

ظهورُ تَجَلِّي الجلال

بَغْتَـةً دُنيـا لـذاتـي مـا رَأَيـتْ إنَّ أرضـي وسمـائـي قَـدْ شَهِـدتْ
غَـرِقَـتْ دنيـايَ فـي نـورِ الشَّفَـقْ وَعَلَيْهَـا الأحْمَـرُ القـانـي انْطَبَـقْ
بـالتَّجلِّـي مـاجَ عُمْـقُ مُهْجتـي كـالكليـمِ بـالتَّجلـي نَشْـوتـي[1]
نُـوْرُه أبـدى الخفـيَّ لِلْعِيَـانْ مِنْـهُ قَـدْ أصْبَحْتُ مسلوبَ اللِّسانْ

مِـنْ ضَمِيْـر عـالَـمٍ لِلْكَيْـفِ والكـمْ
أطْـرَبَ السَّـامـعَ مشبـوبُ النَّغَـمْ
« إنسَ شرقاً لا تَكُنْ منْ سِحْرِ غربٍ كالأسيرْ
فـالقَـدِيْـمُ والجَـديـدُ مـا هما غَيْـرَ النَّقيـرْ[2]
عِنْـدَ شيطـانِ قُمـرتَ وَفَقَـدْتَ خـاتمـاً[3]
ولـدى جبـريـلَ رَهْـنٌ أعْسَـرَ الأمـرَ العَسيـرْ !
الحيـاةُ زانَـتِ الجَمْـعَ وَصَـانَـتْ ذاتَهـا
أنتَ في الرّكبِ وحيداً كُنْ وواكبْ في المسير[4]

---

(١) الكليم : موسى عليه السلام .
(٢) النقير : النكتة في ظهر النواة ، وهي مضرب المثل في الحقارة . يقال لا يملك شروى نقير ، أي : مثل نقير ، بمعنى : لا يملك شيئاً .
(٣) قَمَرَ : غلبَ في القِمار .
(٤) الرَّكب : أصحاب الإبل في السفر ، والمراد هنا : القافلة . وواكب : ساير ، وركب=

فُقْتَ شمساً في ضِيَاءٍ تَغْمُرُ الآفاقَ نوراً
عِشْ وكلَّ ذرةٍ في الكونِ فاغمرْها بنُور
كَهَشِيْمٍ حَمَلَتْه بالجناحينِ الصَّبَا
انْقَضَتْ أيامُ خُسْرُو ، دالَ عَصْرٌ للجهير[1]
ضِيْقُ كأسٍ في يديكَ كانَ للحاناتِ عاراً
ارْتَشفْ كأسَ الحُميَّا وَلْتَكُنْ ذاتَ الخرِير »[2]

* * *

= مع الراكبين .

(١) خسرو : هو خسرو برويز الذي أوفد النبيُّ ﷺ إليه رسولاً في العام السادس للهجرة يحمل كتاباً فيه الدَّعوة إلى الإسلام . ولكن خسرو غضب ، ومزَّق الكتاب ، فمزق الله ملكه ، وسلط عليه ولده شيرويه الذي قتله . وقد تطاولت الحروب بينه وبين الروم ، ويعدُّ آخر عظيم من ملوك الساسانيين .
ودال الزمان : انقلب من حالٍ إلى حال . والجهير : الخليق بالخير والمعروف . وقد أردنا به الملك دارا ، وذلك لأنَّه حين قدم إلى مصر عام ٥١٧ قبل الميلاد ؛ أظهر لرجال الدين من المصريين كلَّ آيات التسامح والتبجيل ، وأمر بترميم المعابد ، وعرف كيف يجذب قلوب المصريين إليه حتى عدوه من فراعينهم . وقد أصلح نظم الري . وجلب الكتب من إيران لتزويد المكتبات في مصر بها ، وبسط رعايته على العلوم ، وعلم الطبِّ خاصة .

(٢) الحميا : الخمر . ولإقبال في هذا من كلامه نزعةٌ صوفيةٌ جليةٌ ؛ لأن الخمر في شعر الصوفية رمزٌ إلى نشوة العشق الإلهي .

القسم الثامن

كلمة

إلى الجيل الجديد

برلبِ شاں زندہ رود، اے زندہ رُو زندہ رود، اے صاحبِ سوز و سرود!

فردوسِ بریں سے روانگی
اور حورانِ بہشتی کا تقاضا

ان کے ہونٹوں پر پیالے زندہ رود، اے زندہ رود شاد باد اے زندہ رود اے صاحبِ سوز و سرود!

اک جہانِ شور و غوغا زیر و بالا دائیں بائیں ایک دو لمحے ہمارے ساتھ بھی فردوس میں!

وفي الأخير أن الدكتور محمد إقبال يتمنى للإسلام جيلاً جديداً ، شبابه طاهر نقي ، وضربه موجع قوي ، إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الشرى ، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى ، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع الأعداء وذلك مع الأولياء ، إذا تكلم كان رقيقاً رفيقاً ، وإذا جد في الطلب كان شديداً حفياً ، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفاً نزيهاً ، آماله قليلة ، ومقاصده جليلة ، غني القلب في الفقر ، فقير الجسم والبيت في الغنى ، غيور في العسر ، رؤوف كريم عند اليسر ، يظمأ إن أبدى له الماء منة ، ويموت جوعاً إن رأى في الرزق ذلة ، إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة ، وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة ، كان طلاً وندى ، تتفتح به الأزهار وترف به الأشجار ، وكان طوفاناً تصطرع به الأمواج وترتعد له البحار ، إذا عارض في سيره صخوراً وجبالاً كان شلالاً ، وإن مر في طريقه بحدائق كان ماء سلسالاً ، يجمع بين جلال إيمان الصدِّيق ، وقوة علي ، وفقر أبي ذر ، وصدق سلمان ، يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطه بحكمته وفراسته ، وبأذان السحر ، الشهادة في سبيل الله أحب إليه من الحكومات والغنائم ، يقتنص النجوم ، ويصطاد الأسود ، ويباري الملائكة ، ويتحدى الكفر والباطل أينما كان ، يرفع قيمته ويزيد في سعره ، حتى لا يستطيع أن يشتريه غير ربه ، شغلته مآربه الجليلة ، وحياة الجد والجهاد عن زينة الجسم والتأنق في اللباس ، شعر بإنسانيته ، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه ، والعندليب في حسن صوته[1] .

إنَّ تَنْميـقَ الكـلامِ غَيْـرُ مُجـدِ فالفؤادُ ما احتواهُ لَيْسَ يُبْدي

---

(١) مقتبس من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ص٧٣ ـ ٧٤ . طبع دار ابن كثير بدمشق .

قلتُ قولاً ما عليه مِنْ حِجَاب ... ما تبقَّى مِنْهُ يَنْبُو عَنْ كتاب !
بالكلامِ كلُّ معنىً لي تَعَقَّدْ ... ويزيدُ اللَّبْسُ مِنْ صَوْتٍ تَرَدَّد
نظرتي منها افهمنَّ ما اسْتَعَرْ[1]
أو أنيني وصداهُ في السَّحَرْ
دَرْسَكَ الأولَ أمٌّ لَقَّنَتْ ... بالنَّسِيْمِ بُرْعُماً قَدْ فَتَّحَتْ
ونسيمُ الأمِّ هذا عطَّرَكْ ... فَعَزَزْتَ ، وبحسْنٍ صَوَّرَكْ
دولةٌ لِلْخُلْدِ منها نِلْتها ... عَلَّمَتْكَ « لا إله » قُلْتَها
يا بُنيَّ أنْتَ خُذْ عنِّي النَّظَرْ ... واحترقْ مِنْ « لا إله » في الشَّرَرْ
« لا إله » قُلْ ومِنْ روحٍ عَمِيقْ ... ليكونَ الجسمُ كالمِسْكِ الفَتِيقْ[2]
إنَّها شمساً وبدراً قد أدَارَتْ ... شعلةً في القشِّ والأطوادِ صَارَتْ[3]
يا لها حرفينِ ليسا في الكلام ... بَلْ هما في كفِّ مِضْرابٍ حُسَام[4]
نارُها نَصْرٌ مبينٌ عِشْ بها
إنَّها ضَرْبٌ أفِدْ مِنْ ضربها
مؤمنٌ دأبٌ له عَقْدُ النِّطاق ... مؤمنٌ بالغَدْرِ يَرْضى والنِّفاق !
وَبِفلْسٍ شَعْبَهُ والدِّينَ باعا ... أحْرَقَ الدَّارَ فَضَاعَتْ والمتاعا
في صَلاةِ البَقَاءُ والفَنَاءْ ... وهما كانا دلالاً في الدعاء[5]
إنَّ نوراً ما تبقَّى في صَلاتِه ... والتَّجَلِّي قَدْ نأى عَنْ كائناته
كلُّ مَنْ يَعْبُدُ في الدُّنيا الحُطاما ... عَشِقَ المالَ كما خافَ الحِمَامَا

---

(١) استعر : اشتعل .
(٢) المسك الفتيق : المخلوط بشيء أدخل عليه ؛ لتسطعَ رائحته .
(٣) كاه في الفارسية بمعنى قش ، وكوه بمعنى جبل . وقد أراد الشاعر أن يتلاعب بهذين اللفظين .
(٤) المضراب : الكثير الضَّرب . والحُسَام : السيف .
(٥) يقول : إن لا إله هي البقاء والفناء في صلاته ، كما أنَّها دلالٌ في دعائه .

ما انتشى ما ذاقَ شيئاً منْ حُبُورْ وكتابُ الدِّينِ في جَوْفِ القُبُورْ[1]
ويقولُ ما يظُنُّ اليَوْمَ حقا عنْ نَبِيِّين تَلَقَّىٰ ما تَلَقَّىٰ
منْ بلادِ الفُرْسِ هذا ، ذاكَ هِنْدي « حكمُ حجٍّ وجهادٍ لَيْسَ عندي » ![2]
إنَّ حجّاً وجهاداً واجبان لصلاةٍ أو لصومٍ كالجَنانِ[3]
إنَّ روحاً في الصَّلاةِ والصِّيام إنْ نأتْ فالشَّعْبُ مختَلُّ النِّظام
ليس للقرآنِ في القلب الأثر فيهما الآمالُ خابت لِلْبَشَر[4] !

مسلمٌ عن ذاتِه تلكَ انْفَرَدْ
قد طغى الماءُ فيا خضرُ المَدَدْ[5] !

سَجْدةً ، والأرضُ منها زُلْزِلَتْ وأرادتْ ، فالشُّموسُ أُجْرِيَتْ
والصُّخورُ إنْ دَرَتْ عَنْهَا الخَبَرْ فهي في الجوِّ دُخانٌ وانْتَثَرْ[6]
ذاكَ عَصْرٌ كان فيه خفضُ هام دبَّ ضعفُ الشَّيْخ منه في الحُطام[7]
« ربي الأعلىٰ » أكانَتْ عِنْدَنا ! ذَنْبُه هذاكَ أوْ ذَنْبٌ لَنَا ؟
في سبيلٍ كلُّنَا قد أسرعا له النَّاقَةُ جافَتْ مَهْيَعَا[8]

صاحبُ القرآن ما ذاقَ الطَّلَبْ !
العَجَب ثمَّ العَجَب ثُمَّ العَجَبْ

إنْ بِفَضْلِ الله فاضَ عِلْمُكا فسيأتي للزَّمان غَيْرُكا

---

(١) الحبور : البهجة .
(٢) ما بين قوسين كلام هذين الرجلين .
(٣) الجنان : القلب ، وفي الأصل : الروح .
(٤) أي أن أمثال هذين الرجلين اللذين لم يذكر إقبال اسماً لهما .
(٥) انفرد : تنحى ، واعتزل . وهو يستنجد الخضر بعد أن طغى الماء وخيف الغرق . والخضر هو الذي دل الإسكندر على ماء الحياة وقد أسلفنا الإشارة إلى خبره .
(٦) أي إن عرفت الصخور خبر تلك السجدة .
(٧) الهام : جمع هامة وهي الرأس .
(٨) جافت : أبعدت . والمهيع : الطريق الواسع .

لـم يَخَـفْ عقـلٌ وَقَلْـبٌ لَـمْ يَـذُبْ ما اسْتَحَتْ عَيْنٌ وغاصَتْ في الكَذِبْ
كـلُّ عِلْـمٍ كـلُّ فـنٍّ كـلُّ ديـن لا تكُـفَّ عـن طـوافٍ حَـوْلَ طيـن
آسيـا أرضُ الشُّمُـوسِ المُشْـرِقَـاتْ عينُهـا لِلْغَيْـرِ ، مـا كـانـتْ لِـذَاتْ
لا جـديـدَ جـدَّ لِلْقَلْـبِ الغـريـر نِلْتُ منها الرِّيح أوْ حبَّ الشَّعِيرْ ![1]
وحـواهـا ذلـكَ الـدَّيـرُ القـديـم فـي جُمُـودٍ وخُمُـودٍ لا تـريـمْ[2]
صَيْـدُ شيـخٍ أوْ لسلطـانٍ مَلَـك فكـرُهـا ظبـيٌ ولكـنْ فـي الشَّـرَكْ
عَقْلُهـا والـدِّيـنُ بَـلْ حتَّـى الشـرف منْ ركاب « اللورد » كانت في طرف
فعلـى أفكـارِهـا كُنْـتُ المغيـرا وعـن الأسـرارِ مَـزَّقْـتُ السُّتـورا

فَـاضَ قَلْبي بـالـدِّمـا مـنْ فَـرْطِ جَهْـدي
ثُـمّ دُنيـاهـا أنـا غَيَّـرتُ وَحْـدي

وبطبـعِ العَصْـرِ قُلْـتُ لفظتيـن إنَّ لـي بحـريـنِ فـي قـارورتيـن
لَفْظـةٌ تَلْتَـفُّ أخـرىٰ تَلْسَـعُ والعقـولُ فـي شـراكـي أجْمَـعُ[3]
لفظـةٌ كـانـتْ بمقيـاسِ الفِـرَنْـج نغمـةً سكـرى ومِـنْ أوتـارِ صَنْـج[4]
أصـلُ هـذي الـذِّكْـرُ تِلْـكَ بنـتُ فِكْـرِ قدْ ورثتَ ذا وهذا ، لستَ تدري[5] ؟
إننـي نَهْـرٌ ومِـنْ نَبْـعٍ لأصلـي إنَّ فصلي كانَ فصلاً وهو وصلي[6]

طَبْـعُ عصـري ذاك لمَّـا أنْ تغيَّـر

---

(١) الغرير : من لا تجربة له . والشعير مضرب المثل في رخص القيمة . يقول : إنه لا يظفر منها إلا بالريح والشَّعير ، فكأنه لم يظفرْ منها بشيء .

(٢) رام : فارق المكان .

(٣) يشبه إحدى هاتين اللفظتين بالأفعى التي تلتف ، والأخرى بعقربٍ تلسع ، وهو يشير بذلك من طرفٍ خفي إلى كتابٍ له بالإنجليزية بعنوان « إعادة بناء الفكر الدِّيني في الإسلام » كما يريد بجمع العقول والقلوب في شراكه : إقناعها ، وجذبها .

(٤) الصنج : معزف ذو أوتار .

(٥) أي : لتكن وارثاً للذكر والفكر .

(٦) يريد بهذا المنبع هذين البحرين اللذين أسلف الإشارة إليهما .

غَيَّرَ الأصداءَ صوتٌ لي تَحَرَّرْ

ظَمِيءَ الفتيانُ ما في الكوبِ قَطْرَهْ ... عَقْلُهم نورٌ ، بروحٍ ليل حَسْرَهْ
شَكُّهمْ يَرْبُو ويجتاحُ اليقينا ... ما رأوا شيئاً ، وكانوا البائسينا
يُنكرونَ الذَّاتَ ! إيمانٌ بِغَيْرِ ! ... رفعوا مِنْ تُرْبهم بُنْيَانَ دَيْرِ[1]
ليس يدري القَصْدَ منه المكتبُ ... أنْ تناسى ما بقلبٍ يُجْذَبُ
وَمِنَ الأرواحِ يمحو نُوْرَ فطره ... غُصْنُه ما كانَ فيه قطُّ زَهْرَهْ
صَفَّ أحجارَ البناءِ لَيْسَ يدري ... وطباعَ البَطِّ يَهْدي لابنِ صَقْرِ
وعلى وَقْدٍ إذا لم يَعْتَمِدْ ... لذةً للواردات لمْ يَجِدْ[2]
وبهِ شَرْحُ المَقَامِ كانَ غَايَهْ ... لم يكنْ حقَّاً سوى تفسير آيه
وبنارِ الحسِّ طوعاً فاحْتَرَقْ ... عَنْ لجينٍ لَكَ صُفْرٌ يَنْفَرِقْ[3]

بادىء بالحسِّ يُنهىٰ بالحضُور
آخرُ العلم أيبقى في الشُّعور !

كَمْ كتابٍ فيهِ أعْشَيْتُ البَصَرْ ... خيرُ علمٍ ما عَرَفْتُ بالنَّظر[4]
إنَّ هذا العلمَ صَبٌّ خمرةٍ ... يا لها مِنْ بَعدُ رَشْفُ سَكْرَةٍ !
تُطفىءُ المصباحَ أنفاسٌ لِفَجْرِ ... وردةُ البستانِ منها كأسُ خَمْرِ[5]
لا تُطِلْ في القَوْلِ واقْنَعْ بالغِرَارْ ... حولَ ذاتي كنْ كَفِرْجارٍ مَدَارْ[6]
منكرُ اللهِ لدى شيخٍ كَفَرْ ... منكرُ الذَّاتِ لديَّ مِنْهُ شَرّ[7]

---

(١) الترب : التراب . والبنيان : الجدار .
(٢) الوقد : النار . والواردات : ما يرد على القلب من خواطر .
(٣) اللجين : الفضة . والصفر : النحاس الأصفر . انفرق عنه : انفصل .
(٤) أعشاه : جعله أعشى ، أي لا يرى ليلاً .
(٥) يقول : إن نسيم الفجر يطفىء نور المصباح ، كما يفتح البرعم ، فيصبح زهرة ينسكب فيها الندى ، فكأنها كأس خمر .
(٦) الغرار : القليل من النوم . والفرجار : آلة ذات ساقين ترسم الدوائر .
(٧) أي : أنَّ منكر الذات أشدُّ كفراً ، وأكثر شرّاً من منكر الله .

منكـــرُ اللهِ بـــإنكـــارِ عَجُـــولْ ذا عجـــولٌ وظلـــومٌ بـــلْ جَهُـــولْ
وعلـــى الإخـــلاصِ شـــدِّد قَبْضَتَـــكْ رهبـــةَ السُّلطـــانِ جَنِّـــبْ شِيْمَتَـــكْ[1]
ارضَ عَـــنْ عَـــدْلِ القـــوي لا تَبْتَعِـــدْ فـــي غنـــاكَ بَـــلْ وفـــي الفَقْـــرِ اقْتَصِـــد
يَصْعُـــبُ الحُكْـــمُ ؟ حـــذارِ لا تـــؤوِّلْ وعلـــى قلبـــك مصبـــاحـــاً فَعَـــوِّلْ[2]
يحفـــظُ الأرواحَ ذِكْـــرٌ ثُـــمَّ فِكْـــر يحفـــظُ الجِسْـــمَ لِتِلْـــكَ النَّفْـــسِ أَسْـــر
كـــلُّ حكـــمٍ فـــي انخفـــاضٍ وارتفـــاعِ نـــالَـــهُ جسمـــاً وروحـــاً مـــنْ يُـــراعـــي
لـــذةٌ لِلسَّيْـــر غـــايـــاتُ السَّفَـــرْ لا تَطِـــرْ إنْ خِطْـــتَ بـــالعِـــشِّ النَّظَـــر[3]
ويـــدورُ البَـــدْرُ يحظـــى بـــالمَقَـــام مـــا المَقَـــام عِنْـــدَهُ غَيْـــرُ الحَـــرام[4]
أنْ تَطِيْـــرَ ، للحيـــاةِ متعـــةٌ والتـــزامُ العِـــشِّ فيهـــا ضَيْعَـــةٌ

الغُـــرابُ رزقُـــه فـــي جَـــوْفِ قَبْـــر
عِنْـــدَ شَمْـــسٍ رزقُ شـــاهيـــن ، وَبَـــدْر

إنَّ ســـرَّ الـــدِّيـــن أكـــلٌ لِلْحَـــلالْ وهـــو صِـــدْقٌ والتَّملِّـــي للجمـــال[5]
كُـــنْ قـــويـــاً وابـــغِ بـــالـــدِّيـــن اليقينـــا واربـــطِ القَلْـــبَ بـــربِّ العَـــالمينـــا[6]
بعـــض ســـر الـــديـــن ممـــا ليـــس يظهـــر يا بنيَّ اسمعْ حَديثي عَنْ مُظَفَّر[7]

---

(١) جنب شميته رهبة السلطان : أي أبعد طبعه عن الخوف من السلطان .

(٢) عول عليه : اعتمد عليه .

(٣) يقال في الفارسية : خاط عينه بكذا : أي حدَّق فيه ، ولم يبعد عنه نظره . وفي الأصل : إن كانت لك نظرة على العش .

(٤) المقام : هو المرحلة في الطريق الذي يسلكه الصُّوفي . وينبغي أن يمر بسبعة مقامات هي : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا .
ويريد إقبال بالمقام هنا مطلق المنزلة العالية . أما المقام بضم الميم فبمعنى الإقامة .

(٥) التملِّي : التمتع .

(٦) في الأصل : كنْ صلباً كالماس وأبْعِدْ عن نفسك الوسواس .

(٧) مُظفَّر : من سلاطينْ كجرات ، وهو ابن السلطان محمود الذي يسميه مسلمو الهند : بيكره .

وهو في أعماله فَرْدٌ فَريد ... في عُلُوٍّ لِلمَقَام بايزيد
فرساً كان يُعِزُّ كالوَلَدْ ... منْ حروبٍ خاضَ أمسى في كَبَدْ[1]
أدْهَمٌ منْ خيرِ أفْراسِ العَرَب ... ونجيبٌ وكريمٌ في النَّسب[2]
ولدى المؤمنِ عزَّ أو نَفُسْ ... الكتابُ والحُسَامُ والفَرَسْ[3]
أيُّ وصفٍ ؟ إنَّه خَيْرُ الجياد ... مرَّ ريحاً بالغدير والنِّجاد ![4]
في الحُروبِ مُشْبِهٌ لَمْحَ البَصَرْ ... أوْ كريحٍ زَلْزَلَتْ طَوْدَ الحَجَرْ
عَدْوُهُ موْزٌ وفوْزٌ يَوْمَ حَشْر ... يَسْحَقُ الحافرُ مِنْهُ كلَّ صَخْر
أشبهَ الإنسانَ فاعتلَّ الجَواد ... ذاتَ يومٍ ، قيل أضناهُ الكُباد[5]
أحضَرَ البيطارُ دَنّاً منْ شراب ... وسقاه فانتفى داءُ العَذَابْ[6]
غَضِبَ العاهلُ قالَ لا أريد ... ذا الجوادَ ، فالتُّقَى مِنِّي بعيد

نِلْتَ منْ رَبِّكَ قلباً مُنِحْتَه
مسلمٌ هذا تأمَّل طَاعَتَهْ

إنَّما الدِّينُ احتراقٌ في الطَّلَبْ ... وَهوَ عِشْقٌ ثُمَّ يتلوهُ الأدَبْ
وبلونٍ عزَّ وَرْدٌ أو بِعِطْر ... أدبٌ إنْ غابَ كانَ شرَّ إصْر[7]
إنْ رأيتَ الشَّابَّ هذا قَدْ فَقَدْ ... فنهاري ضاعَ في لَيْلِ الأبَدْ
وتزيدُ حُرقةٌ كانتْ بِصَدْري ... فَلأيَّامِ النَّبيِّ كانَ ذِكْري
وأتوبُ مِنْ زماني الحاضِرِ ... لأغيبَ في الزَّمانِ الغَابِرِ

---

(١) في كبد : في تعب .
(٢) الأدهم : الأسود . وقد يكون هذا السواد شديداً أو هيناً .
(٣) عز : صار عزيزاً ، ونفس : صار نفيساً . والمراد بالكتاب : القرآن الكريم .
(٤) الغدير : النهر . والنجاد : جمع نجد ، هو ما ارتفع من الأرض .
(٥) اعتلَّ : مرض . والكباد : داء الكبد .
(٦) البيطار : طبيب الخيل . دَنُّ الشراب : جَرَّةُ الخمر . انتفى : طرد .
(٧) الإصر : الذنب .

يَسْتُرُ المرأة زوجٌ أو تُرَاب ... والرِّجالُ حِذْرَهم كانَ الصِّحاب[1]

تَنْطِقُ العوراءُ ؟ ذا كلُّ الخطأ ... كافِرٌ أو مُؤْمِنٌ ربِّي برأ[2]

أنْتَ إنسانٌ ؟ أخاكَ فاحْتَرِمْ ... ليسَ منَّا غيْرَ هذا مَنْ عَلِمْ[3]

تربطُ الناسَ جميعاً عُرْوةٌ ... مِنْكَ في هذا الطريق خُطْوةٌ ؟

ولعبدِ العِشْقِ مِنْ ربٍّ طَرِيْق ... وعلى الكافِرِ والبَرِّ الشَّفِيْق[4]

ضمِّن الدِّين وكفراً قَلْبَكا ... وإذا ما الدِّينُ فرَّ ويلكا !

لَيْسَ هذا القَلْبُ إلا سجنُ طِيْن
إنَّ فيه كلَّ أفقٍ كالوَضِين[5]

إنْ رأستَ القَوْمَ أو صِرْتَ الغنيَّا ... فعلى الفَقْرِ احْرِصَنَّ يا بُنَيَّا[6]

إنَّه في الرُّوحِ مِنْكَ يَتَّقِدْ ... عنْ أبٍ خمراً وَرِثْتَ بلْ وجَدّ[7]

لا تؤمِّل غَيْرَ قلبٍ ذي أَلَمْ ... ادعُ ربَّاً وانسَ كلَّ مَنْ حَكَمْ

---

(١) يقول : إنَّ المرأة يسترها أن تتزوج أو تموت . كما يستر الرجل أنْ يأخذ حذرَه من أصدقاء السوء .

(٢) العوراء : الكلمة القبيحة . وبرأ : خلق .

(٣) أي لا يعد إنساناً منَّا من تناسى وجوب احترام أخيه في الإنسانية .

(٤) البَرُّ : من يطيع الله .

(٥) الوضين : ما انطوى وانثنى .

(٦) الفقر من مقامات الصُّوفية . وهو ليس فقدان الغنى ليس إلا ، بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه ، فينبغي للصُّوفي أن يكون خالي اليد والقلب جميعاً ، وعلى هذا المعنى لا يتعارض الفقر مع جاه بعض الصُّوفية ، ورفعة قدرهم ، وقد يكون لهم قدرٌ من المال ، ولكن الله يخفي حقيقتهم عن أهل الظاهر . قيل : إنَّ الفقير هو الذي لا يملك ولا يملك ، والذي استصفى نفسه في فقره تقرباً . كما قالوا : إن الفقر لباس المرسلين ، وزينة الصالحين ، وتاج المتقين ، وغنيمة العارفين ، ورغبة المريدين ، ويؤثر عن الصوفية قولهم « الفقر فخري » .

(٧) يشبه الفقر بالخمر المعتقة . والخمر في مصطلح الصُّوفية نشوةُ العشق الإلهي .

كمْ حصيفٍ وهوَ بالحقِّ البَصير غَمَرَتْهُ نِعْمةٌ فَهُوَ الضَّرير[1]
فبها تِلْكَ القلوبُ أصْلَدَتْ ودعاءَ العَبْدِ عنها أبْعَدَتْ[2]
في البلاد جُلْتُ أعواماً طِوالا لغنيٌّ ما رأيتُ الدَّمعَ سالا[3]
أهلَ فَقْرٍ منْ فَدَيْتُ ، طِبْتُ نَفْسَا
ويلُ مَنْ بالنِّعْمَةِ الرحمنَ يَنْسَىٰ
أترومُ الذَّوْقَ عِنْدَ المُسْلِمِيْنَا وتُريدُ الشَّوْقَ فيهمْ واليَقِيْنَا
إنَّ لِلْقُرآن علماً لَيْسَ يُعْرَف والذئابُ إنَّهم أهْلُ التَّصوُّف !
الصِّياحُ والعَجِيْجُ في الخوانقْ أيَنْ خِمِّيرٌ لِحُسْنِ الله عَاشِقْ[4]
قلَّدَ الإفرنجَ منَّا المسلمونا منْ سرابٍ كوثرٌ ما يطلبونا
وَبِسرِّ دِيْننا ما عِلْمُهُمْ ؟ أهلُ حِقْدٍ وعداءٍ كُلُّهُمْ
كلُّ خيرٍ لِلْخَوَاصِّ كالحَرَام ما رأيتُ الصِّدْقَ إلا في العَوَام
التقيَّ مِنْ غَوِيٍّ مَيِّزَنْ مَعَ أهْلِ الحقِّ والفَضْلِ اجْلِسَنْ
إنَّما النَّسْرُ تقاليداً ألفْ
سطوةُ الشَّاهِيْنِ طارَ ، تختلف
رَجُلُ اللهِ يَلُوْحُ مِثْلَ بَرْق حطباً يَجْعلُ مِنْ غَرْبٍ وَشَرْق
نحنُ كُنَّا في ظلامِ الكائنات وَهُوَ ذو حِذْقٍ بِحَلِّ المُعْضلات
والكليمُ والمسيحُ والخليلْ والنَّبيُّ والكتابُ ، جبرئيلْ[5]
إنَّ أهلَ القلبِ شَمْسُ الكائنات نورُها وهَّابُ هاتِيْكَ الحياة

---

(١) الحصيف : العاقل .
(٢) أصلدت الأرض : صلبت .
(٣) يريد ليقول : إنه لم يصادف غنياً رقيق القلب يحزن لمصاب غيره .
(٤) الخوانق : جمع خانقاه ، وهو المبنى الذي يقيم فيه الصوفية معتزلين متعبدين . والخميرُ : مدمن الخمر . والمراد به الصُّوفي .
(٥) الكليم : موسى ، والخليل : إبراهيم عليهما السلام . والكتاب هنا : هو القرآن الكريم .

وهي في نورٍ لها قَدْ أحرقَتْكا ... ذلكَ السُّلطانَ بَعْدُ علمتكا

نَحْنُ بالنَّار لها أصحابُ قَلْب ... أو فما ماءٌ وطينٌ مِثْلَ شَوْب ![1]

أنْتَ في عَصْرٍ ولٰكِنْ أيُّ عَصْر ... غارقٌ في الجسم ، روحاً لَيْسَ يدري

قَحْطُ رُوْحٍ سِعْرُ جسمٍ أنْقَصا ... رَجُلُ اللهِ لذاتٍ نكَّصا[2]

إنَّ هذا ما درىٰ معنى الطَّلَبْ ... وهوَ بالعَيْنِ يَرَىٰ يا لَلْعَجَبْ

ذوقُ ذاك البَحْثِ لا تَتْرُكْهُ مدَّهْ ... وَلْتُوَاجِهْ في الحياةِ ألفَ عُقْدَهْ

صُحْبةَ النَّدْب اللبيبِ إنْ عَدَمْتَا ... ما لديَّ عن أبي هلاَّ أخَذْتَا

اجْعَلِ الرُّومِيْ رفيقاً في الطَّريق ... يُنْعِمُ اللهُ بمشبوبِ الخُفُوْق[3]

يَعْرِفُ الرُّومي لُبَاباً مِنْ قُشُور ... في الطَّريق كانَ مَوْصُولَ المسير

فسَّروهُ ما درى المعنى أحَدْ ... إنَّ معناه غَزَالٌ قَدْ شَرَدْ

رَقْصَ جِسْمٍ منه كانوا يَفْهَمُونا ... رَقْصَةَ الرُّوح تناسىٰ الغَافِلونا

رقصةُ الجِسْمِ تَدُورُ بالتُّراب ... رَقْصَةُ الرُّوح لها نَجْمُ السَّحَاب

رَقْصةُ الأرواحِ عِلْمٌ وهي حُكْمْ ... وإلينا الأرضُ والخضرا تُضَمْ[4]

---

(١) الشوب : القطعة من العجين . والمراد بها جسم الإنسان .

(٢) نكص : رجع . وفي الأصل : أنه اختفى في ذاته .

(٣) المشبوب : المشتعل .

(٤) الحكم : الحكمة . والخضراء : السماء . وإقبال هنا يحدّثنا عن رقص الدراويش المولوية أتباع جلال الدين الرومي المعروف بمولوي المتوفى بقونية في الأناضول عام ٦٨٣هـ . فقد كان مريدو جلال الدين الرومي يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوُّف في قلوبهم . وجرت عادتهم بالاجتماع فيما يعرف بسماع خانه أي بيت السماع ، وهو بهو متراحب الأرجاء في صدره مجلس للعازفين . ويدخل الدراويش بالطويل من قلانسهم والضيق من سراويلهم . وبعد التسليم على شيخهم تبدأ رقصتهم ، فيرفعون أذرعهم ، وقد اتجهت راحة يدهم اليمنى إلى أعلى وراحة اليسرى إلى أسفل . ويدورون بعض أطراف أصابعهم دوران الرحى حول قطبها بينما ينفخ في الناي وتقرع الطبول ثم يصلون على النبي ﷺ واضعين أيديهم على صدورهم ، ويحنون قامتهم ، وبذلك تنتهي رقصتهم . =

جـذبـةٌ لِلْفَـرْدِ منهـا كـالْكَلِيـمْ كلُّ شَعْبٍ كانَ ذا المَلِكُ العَظِيْم[1]
إنَّ هـذا ليـس سهـلاً فـي التَّعَلُّـم وَلِغَيْـر اللهِ فـي القلـب التَّضَـرُّم[2]
وبنـار الحـرص إنْ قلبـاً حـرقتـا فبـروحٍ منـك قـطُّ مـا رَقَصْتَـا[3]
يُضْعِـفُ الإيمـانَ فـي الإنسـانِ هَـمْ يـا بنـيَّ إنَّـه نِصْـفُ الهَـرَمْ[4]
هَلْ عَلِمْتَ ؟ الحرصُ فقرٌ حاضِرُ إنَّ مـولاي لـذاتٍ قـاهِـرُ[5]
بـكَ يـا « جـاويـدُ » لـي روحٌ تطيـب آهِ لـو وافـاكَ مِـنْ هَـذَا نَصِيـبْ[6]

لَشَـرَحْـتُ دِيْـنَ خَيْـرِ الأنبيـاءِ
وأطَلْـتُ لـكَ فـي قَبْـرِي دعـائـي

* * *

= وفي رأي الصوفية أنَّ السماع وما يفضي إليه من رقص يرقق القلوب وينتزعهم من عالم الثرى ليسمو بها إلى العالم العلوي ، كما يثير الطرب في النفوس والخوف عند التائبين ، ويضرم نار المشتاقين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي (إذا ما ذكرت البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيئين متباينين ، لأن أمواج البحر هي البحر نفسه ، ولكن في ارتفاعٍ وانخفاض . والموجُ بَعْدَ هبوطه إلى البحر يعود . وما مَثَلُ البحر إلا مثل بني الإنسان ، لأنَّهم أمواج الله . وإلى الله مرجعهم بعد موتهم) .
ومن مستطرف ما يروى عن السُّلطان سليم العثماني ، أنَّه مرَّ بإقليم قونية وعاصمته قونيه ، فتعجب من كثرة الأعاصير ، وقال له أحد رجاله متبسطاً : إنَّ ما في تلك الأرض من تلال وأحجار وغبار يرقص رقصة المولوية .

(١) الكليم : هو موسى عليه السلام .
(٢) التضرُّم : اشتعال النار .
(٣) حرق : بمعنى أحرق .
(٤) قال النبيُّ ﷺ : « الهمُّ نصف الهرم » .
(٥) يشير إقبال إلى قوله ﷺ : « إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر » وفي الأصل : إني عبدٌ لمن قهر ذاته .
(٦) جاويد : اسم ابنِ إقبال الذي أهدى إليه المنظومة ، والمراد بهذا في قوله هو رقص الروح . ووافاك : بمعنى أتاك .

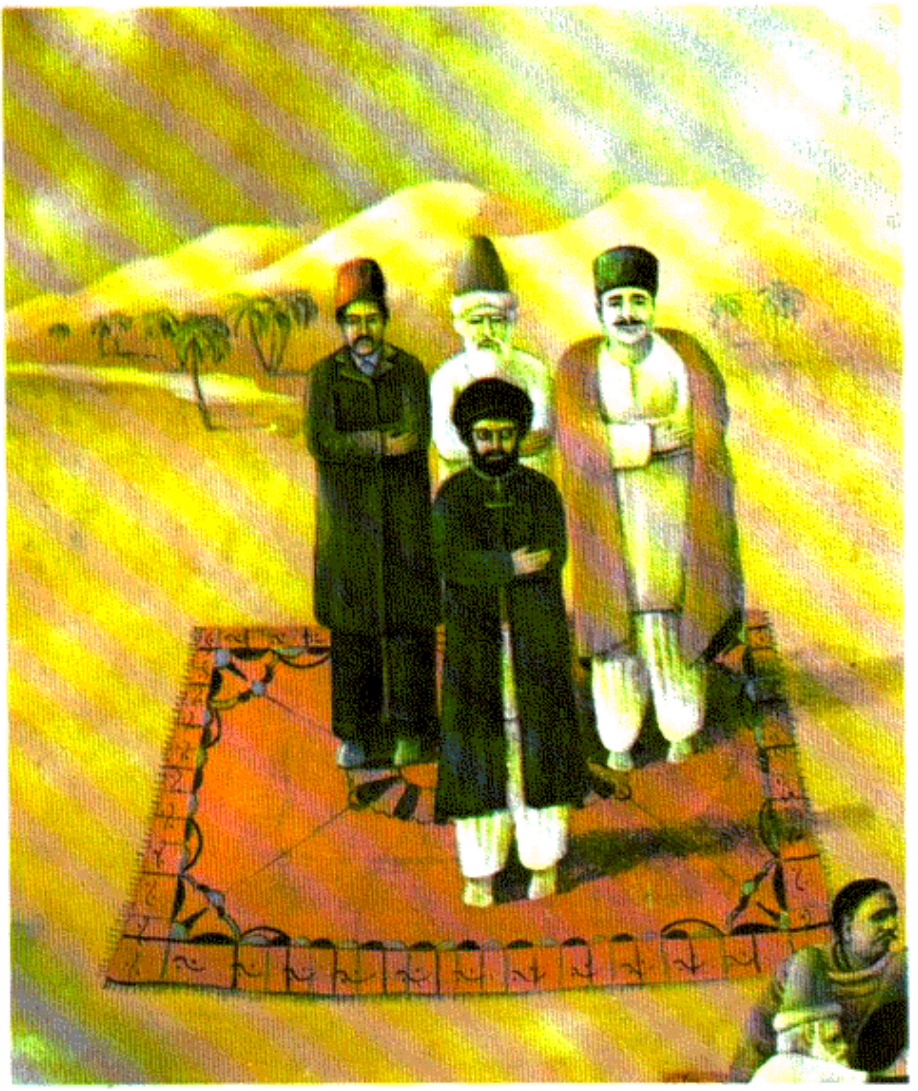

رفتم و دیدم دو مرد اندر قیام — مقتدی تاتار و افغانی امام

میں نے دیکھا آگے بڑھ کر دو بشر کا تھا قیام — مقتدی تاتار، آگے ایک افغانی امام

مرشدِ رومی ہمیشہ آرزومندِ حضور — اس کا چہرہ تمتما اُٹھا ہمہ ذوق و سرور!